مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تصدر عن

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وزارة التّعليم العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة السابعة- العدد الخامس عشر

نيسان ١٤٤٣هـ- شهر رمضان ٢٠٢٢م

الترقيم الدولي: ISSN 2414–1313
العنوان: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة
مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢١٧٨ لسنة ٢٠١٦م
للمعلومات والاتصال
٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠
٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣
الموقع الإلكتروني: www.inahj.org
البريد الإلكتروني: info@inahj.org

تنويه: إن الأفكار والآراء الواردة في أبحاث هذه المجلة تعبرّ عن وجهة نظر كتّابها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وكل شيء أحصيناه في إمام مبين

(سورة يس، الآية: ١٢)

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda.

رقم تصنيف LC: BP1.1 M83. V7. N15 2022.

الرقم العالمي للدوريات(ردمد): ١٣١٣- ٢٤١٤.

العنوان: المبين: مجلة فصلية محكمة تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

بيان المسؤولية: مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.

بيانات المطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة- مؤسسة علوم نهج البلاغة، ١٤٤٣هـ= ٢٠٢٢م

الوصف المادي: مجلد.

سلسلة النشر: (مؤسسة علوم نهج البلاغة:)

تبصرة دورية: الوصف مأخوذ من: السنة السابعة، العدد الخامس عشر (١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م)

تبصرة دورية: فصلية.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ للهجرة- سيرة- دوريات.

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ للهجرة- نهج البلاغة- شرح- دوريات.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ للهجرة- أحاديث- دوريات.

مصطلح موضوعي: البلاغة العربية- دوريات.

مصطلح موضوعي: الإسلام- دوريات.

مصطلح موضوعي: عقائد الشيعة الإمامية- دوريات.

مؤلف إضافي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ للهجرة- نهج البلاغة-شرح- دوريات.

عنوان إضافي: نهج البلاغة. شرح. دوريات.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ISBN 978-9933-582-00-5

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.: الرقم: ب ت 4 / 10669
Date: التاريخ: 2019/11/10

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المبين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أشارة الى كتابكم المرقم ٢١٤٤٣ في ٣١/ ٨/ ٢٠١٩ بشأن اعتماد مجلتهم التي تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة واعتمادها لأغراض الترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات العلمية الاكاديمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٧/١١/ ٢٠١٩ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية .

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده بإسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ... مع التقدير.

أ.د. غسان حميد عبدالمجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
١٠/١١/٢٠١٩

نسخة منه الى :

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي / أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على اصل مذكرتنا المرقم ب ت م٤/ ٧٦٨٠ في ٧/١١/٢٠١٩ / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير .
- قسم المشاريع الريادية / شعبة المشاريع الالكترونية / للتفضل بالعلم واتخاذ مايلزم ... مع التقدير
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التاليف والنشر والمجلات / مع الاوليات .
- الصادرة .

مهند ، أنس
٧ / تشرين الثاني

رَئِيسُ التَّحْرِير

أ.د. عَبَّاس عَلِيّ حُسَيْن الفَحَّام

جَامِعَةُ الكُوفَة - كليّة التَّربية لِلبَنَات

مُدِيرُ التَّحْرِير

الأُسْتَاذ الدكتور حَسَن حَمِيد فَيَّاض

كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ الأَسَاسِيَّةُ - جَامِعَةُ الكُوفَةِ

هيأة التحرير

أ. د. صلاح مهدي الفرطوسي
جامعة روتردام الإسلامية- هولندا

أ. د. عبد علي سفيح الطائي
مستشار وزارة التربية- فرنسا

أ. د. عبد الحسين عبد الرضا العمري
جامعة ذي قار- كلية الآداب

أ. د. جواد كاظم النصر الله
جامعة البصرة- كلية الآداب

أ. د. محمد حسنين النقوي
جامعة بهاء الدين- باكستان

أ. د. حسين علي الشرهاني
جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. د. مصطفى كاظم شغيدل
جامعة بغداد- كلية الآداب

أ. م. د. نعمة دهش فرحان الطائي
جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد

أ. م. د. أحمد حسين عبد السادة
جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الإنسانية

م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني
مديرية التربية- النجف الأشرف

مراجعة النصوص العربية

أ.م.د. كريم حمزة حميدي　　م.د عمار حسن الخزاعي

م.م. علي عباس الربيعي

الإدارة والمالية

م.م. علي عباس الربيعي　　أحمد عدنان المعمار

زمان جعفر كاظم　　م. م. علي جاسم محمد علي

ترجمة

حسنين علي عبد الأمير الطائي

الإخراج والتصميم

أحمد عباس مهدي

قَصيدَةٌ تُؤَرِّخُ صدورَ مَجَلَّةِ المُبين سَنَةَ ((١٤٣٧ هـ))

مِنْ رَوضِ سِبْطِ المُصْطَفَى الأَمِينِ ... وَفَيضِ جُودِ مَنْحَرِ الحُسَينِ

وَمِنْ سَنَا نَهْجِ بَلاغَةٍ سَما ... إلى السَّما بِالأَنْزَعِ البَطِينِ

مَجَلَّةُ المُبِينِ حَقًّا أَشْرَقَتْ ... عَلى مَدَى مَعَارِفِ اليَقِينِ

وَعَرَّجَتْ عَلى رُبَى أَهْلِ التُّقَى ... بِغَيثِهَا ذِي الجَوهَرِ الثَّمِينِ

فَأَزْهَرَتْ بِحَرْفِهَا وَأَبْهَرَتْ ... بِحُسْنِهَا الفَتَّانِ كُلَّ عَينِ

وَكَيْفَ لا وَهْيَ عَلَى بُرَاقِها ... تَطِيرُ فَوقَ كَنْزِهَا الدَّفِينِ

فَقَدْ نَمَتْ وأَيْنَعَتْ وَأَثْمَرَتْ ... بِنَهْجِ عَدْلٍ وَهُدَىً وَدِينِ

مَجَلَّةٌ تَزْهُو بِرَوْضِ حَرْفِها ... وَسَبْكِها الجَمِيْلِ وَالرَّصِينِ

لِذا نَرَاها بالسَّنا تَوَشَّحَتْ ... وَاعْتَصَمَتْ بِحَبْلِها المَتِينِ

وَتُوِّجَتْ فَصَاحَةً مِنْ حَيْدَرٍ ... وَأُشْرِبَتْ مِنْ بَارِدٍ مَعِينِ

وَمِنْ رِيَاضِ السِّبْطِ سِبْطِ المُصْطَفَى ... وَمَوْجِ نَزْفِ الْقَلبِ وَالوَتِينِ

إلى الهُدَى وَالحَقِّ داعِيها دَعَا ... يَطْوِي بِنَشْرٍ رَقْدَةَ السِّنِينِ

زِدْ آخِرَ الدَّاعِي وَأَرِّخْ: ((صَادِحاً ... قَدْ أَزْهَرَتْ مَجَلَّةُ المُبِينِ))

الشَّاعر: علي الصَّفَّار

الافتتاحية:

حضارة الكلمة

كلمة مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والصلاة والسلام على خير النعم وأتمّها محمد وآله الأخيار الأطهار.

أمّا بعد:

فإنّ لكلِّ أمة حضارتها التي تفتخر بها على غيرها من الأمم، ولكلِّ حضارة رجالها الذين بنوها بالفكر والعمل والجد والاجتهاد، ولكلِّ حضارة شواهدها الشامخة وعلاماتها القائمة، وهي تحاكي الأجيال على كرور الأيام أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكن ليس كلُّ من رأى حضارة أمةٍ تَفَكّر في حالها، واعتبر بأخبارها وأُفول نجمها، ولم يبق منها سوى مواضع الأطلال، تصهرها أشعة شمس النهار، وتغزوها الأمطار، وتندب حالها الأطيار التي اتّخذتها أوكارًا لأعشاشها، ومأوى لفراخها، وكأنّ قدرها قد حتّم عليها أن لا يلحظها سوى فراخ هزيلة، وزواحف دخيلة، تجوب شقوق جدران هياكل الحضارة، وهي تَؤُزُّ بأصواتها لتدعو الإنسان أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكننا هنا في حضارة ليست كغيرها من الحضارات، فشموخها قائم في الأذهان وعلاماتها حاضرة في القلوب، وهياكلها تشدّ الأرواح لتهفو إليها أسيرة لأمرها، ومنقادة لنهيها تغفو على المعنى هنا، وترتشف الدَّلالة هناك، وتنتشي العِبْرة هنالك، فضلًا عن حيرتها في نسق التعبير وجمالية المغزى وقوام الجملة، إننا في حضارة الكلمة، كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام)، تلك الحضارة التي عجزت عن محوها الأنداد من الأعراب والأعاجم، فتكسَّرت على جدران حقائقها المعاولُ، وتقهقرت بساحات معارفها الفطاحلُ، ويئِست عن بلوغ مغزاها الأعاظم.

لأنها حضارة الكلمة.. كلمة أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) الذي لم يزل صدى دعوته مرددًا «أن هاهنا علمًا جمًا لو أَصبت له من حملة».

ومن هنا: اتّخذت مؤسسة علوم نهج البلاغة منهجها في النهوض بهذا التراث المعرفي الذي اكتنزه كتاب نهج البلاغة، فقامت بتأسيس مجلة علمية فصلية مُحَكَّمَة مُعْتَمَدة لأغراض الترقية العلمية في المجال الأكاديمي، تهدف إلى استنهاض الأقلام العلمية والفكرية للارتشاف من معين علوم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكتاب نهج البلاغة الذي يعد بوابة يلج منها أهل الفكر والبحث إلى حضارة الكلمة، كلمة الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقرآنه الناطق علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لذا:

تدعو أُسرة (مجلة المبين) المفكرين والباحثين في الجامعات والحوزات العلمية إلى الكتابة فيها والإسهام في رفدها بالأبحاث العلمية والدراسات المعمّقة؛ ليدلوا بدلائهم في رياض معين حضارة الكلمة الفياضة فتنتشي الأرواح، وتقر العيون، وتأنس النفوس، وهي تجوب بين أروقة علومها العديدة، وحقول معارفها الجمة.

ولا سيما أنّ (المبين) تُعدّ أوَّل مجلة علميةٍ محكمةٍ في العالمِ الإسلامي مختصةٍ بعلوم كتاب نهجِ البلاغة، وسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

سائلين الله تعالى التوفيق والتسديد لإدامة هذا الصرح المعرفي، ونسأله بلطفه وسابق رحمته، وخير نعمه وأتمها محمد وآله أن يديم علينا فضله وفضل رسوله الكريم وهو القائل وقوله حق ووعده صدق:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ الإسراء -٥٩-.

اللهم إنا إليك راغبون ولفضلك وفضل رسولك سائلون، والحمد لله رب العالمين...

السيد نبيل قاوري حسن الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

سياسة النشر في مجلة المبين

١. مجلة (المبين) مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة للعتبة الحسينية المقدسة وتستقبل البحوث والدراسات للمؤلفين من داخل العراق وخارجه التي تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره في مجالات المعرفة كافة.

٢. يكون البحث المقدم للنشر ملتزم بمنهجية وأخلاقيات البحث والنشر العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٣. أن لا يكون البحث قد نشر سابقًا أو حاصل على قبول للنشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى ويقوم الباحث بتوقيع تعهد خاص بذلك.

٤. لا تقوم المجلة بنشر البحوث المترجمة إلا بتقديم ما يثبت موافقة المؤلف الأصلي وجهة النشر على ترجمة البحث ونشره.

٥. يتحمل مؤلف البحث المسؤولية الكاملة عن محتويات بحثه المرسل للنشر، وتعبر البحوث عن آراء مؤلفيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

٦. يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.

٧. يبلغ المؤلف باستلام بحثه من لدن المجلة خلال مدة لا تتجاوز العشرة أيام اعتباراً من تاريخ الاستلام.

٨. يبلغ المؤلف بالموافقة أو عدم الموافقة على نشر بحثه في المجلة في مدة لا تتجاوز الشهرين اعتبارًا من تاريخ استلام البحث من قبل المجلة.

٩. لا تعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلفيها.

١٠. يلتزم المؤلف بإجراء التعديلات اللازمة على بحثه وعلى فق تقارير هيأة التحرير أو المقيمين وإعادته الى المجلة في مدة أسبوع من تاريخ استلامه للتعديلات.

١١. جميع البحوث المقدمة للنشر تخضع لعملية التقييم العلمي من قبل ذوي الاختصاص.

١٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى فحص الاستلال الالكتروني.

١٣. تنقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني للبحوث الى المجلة وعلى وفق صيغة تعهد يقوم المؤلف بتوقيعها ولا يحق لأية جهة أخرى إعادة نشر البحث أو ترجمته وإعادة نشره إلا بموافقة خطية من المؤلف ورئيس هيأة التحرير لمجلة المبين.

١٤. لا يجوز للمؤلف سحب بحثه بعد صدور قرار قبول النشر، ويجوز له سحب البحث قبل صدور قرار قبول النشر وبموافقة السيد رئيس هيأة التحرير حصرًا.

١٥. يمنح المؤلف ثلاث مستلات مجانية مع نسخة من العدد الذي نُشر فيه بحثه.

١٦. يتوجب على المؤلف الإفصاح عن الدعم المالي أو أي من أنواع الدعم الأخرى المقدمة له خلال إجراء البحث.

١٧. يتوجب على المؤلف إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه لوجود خطأ كبير في البحث أو عدم دقة بالمعلومات وأن يساهم في تصحيح الخطأ.

دليل المؤلفين

١. تستقبل المجلة البحوث والدراسات التي تكون ضمن محاورها المبينة في سياسة النشر.

٢. أن يكون البحث المقدم للنشر أصيلا ولم يسبق نشره في مجلة أو أي وسيلة نشر أخرى.

٣. يعطي المؤلف حقوق حصرية للمجلة تتضمن النشر والتوزيع الورقي والالكتروني والخزن وإعادة الاستخدام للبحث.

٤. لا تزيد عدد صفحات البحث المقدم للنشر عن عشرين صفحة.

٥. ترسل البحوث إلى المجلة عبر بريدها الالكتروني:

Almubeen.mag@gmail. و inahj.org@gmail.com

com

٦. يكتب البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ (word) أو (LaTeX) وبحجم صفحة (A4) وبهيأة عمودين منفصلين ويكتب متن البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم ١٤.

٧. يقدم ملخص للبحث باللغة الإنكليزية وفي صفحة مستقلة وان لا يتجاوز (٣٠٠) كلمة.

٨. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

- عنوان البحث.
- اسم المؤلف / المؤلفين وجهات الانتساب.
- البريد الالكتروني للمؤلف / المؤلفين.
- الملخص.

- الكلمات المفتاحية

٩. يكتب عنوان البحث متمركزًا في وسط الصفحة وبنوع خط: Simplified Arabic وحجم Bold 16.

١٠. يكتب اسم المؤلف / المؤلفين متمركزاً في وسط الصفحة وتحت العنوان وبنوع خط Simplified Arabic وبحجم Bold 14.

١١. تكتب جهات الانتساب للمؤلفين بنوع خط Simplified Arabic وبحجم Bold 12.

١٢. يكتب ملخص البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم: Italic ,Bold 12.

١٣. تكتب الكلمات المفتاحية التي لا يتجاوز عددها عن خمسة كلمات بنوع خط Simplified Arabic وبحجم Italic ,Justify 12.

١٤. جهات الإنتساب تثبت كالآتي (القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد) وبدون مختصرات.

١٥. عند كتابة ملخص البحث، تجنب المختصرات والاستشهادات.

١٦. عدم ذكر اسم المؤلف/ المؤلفين في متن البحث على الاطلاق.

١٧. تراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق والاشارة بذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة، مع ضرورة أن تكون مرقمة ترقيمًا متسلسلا وتوضع في نهاية البحث.

١٨. يلتزم المؤلف بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، كما يجب مراعاة وضع

صور المخطوطات (للنصوص المحققة) في مكانها المناسب في متن البحث.

١٩. تثبيت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة:

Harvard Reference style.

٢٠. جميع الدراسات التي تم الاستشهاد بها في متن البحث أو الجداول أو الصور يجب أن تثبت وبشكل دقيق في قائمة المصادر وبالعكس.

٢١. يلتزم المؤلف/ المؤلفون إلى بيان فيما إذا كان البحث المقدم للنشر قد تم في ظل وجود أية علاقات شخصية أو مهنية أو مالية يمكن تفسيرها على أنها تضارب في المصالح.

دليل المقيمين

إن المهمة الرئيسية للمقيم العلمي للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة وتقييمه وفق رؤى ومنظور علمي أكاديمي لا يخضع لأي آراء شخصية، ومن ثم يقوم بتثبيت ملاحظاته البنّاءة والصادقة حول البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقييم، يرجى من المقيم التأكد فيما إذا كان البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصصه العلمي، فهل يمتلك المقيم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، إذ إن عملية التقييم يجب أن لا تتجاوز العشرة أيام.

بعد موافقة المقيم على إجراء عملية التقييم وإتمامها خلال الفترة المحددة، يرجى إجراء عملية التقييم وفق المحددات الآتية:

١. هل أن البحث أصيلاً ومهمًا لدرجة يجب نشره في المجلة؟.

٢. فيما إذا كان البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها.

٣. هل أن فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة؟ إذا كانت نعم، يرجى الإشارة إلى تلك الدراسات .

٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه؟.

٥. بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته.

٦. هل تصف المقدمة في البحث ما يريد المؤلف الوصول إليه وتوضيحه بشكل دقيق، وهل وضح فيها المؤلف ما هي المشكلة التي قام بدراستها.

٧. مناقشة المؤلف للنتائج التي توصل إليها خلال بحثه بشكل علمي ومقنع.

٨. يجب ان تجرى عملية التقييم بشكل سري وعدم اطلاع المؤلف على أي جانب فيها.

٩. اذا أراد المقيم مناقشة البحث مع مقيم آخر فيجب ابلاغ رئيس التحرير بذلك

١٠. يجب أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقيم والمؤلف فيما يتعلق ببحثه المرسل للنشر، ويجب أن ترسل ملاحظات المقيم إلى المؤلف من خلال مدير التحرير في المجلة.

١١. إذا رأى المقيم بأن البحث مستلاً من دراسات سابقة، توجب على المقيم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.

١٢. إن ملاحظات المقيم العلمية وتوصياته سيعتمد عليها وبشكل رئيسي في قرار قبول البحث للنشر من عدمه، كما يرجى من المقيم الإشارة وبشكل دقيق إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديل بسيط ممكن أن تقوم بها هيأة التحرير وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهري يجب أن يقوم بها المؤلف نفسه.

نموذج تعهد الملكية الفكرية ونقل حقوق الطبع والتوزيع في مجلة المبين

أنا / نحن الموقع / الموقعون أدناه نقر بأن البحث الموسوم

والمقدم للنشر في مجلة المبين هو نتاج جهدي/ جهدنا الخالص وجميع الآراء والاستنتاجات التي تضمنها البحث هي نتاج عملي/ عملنا خلال فترة إنجازه باستثناء ما تمت الإشارة إليه في متن البحث، حيث إن دراسات الآخرين وأفكارهم وآرائهم التي استعملت في هذا البحث قد تمت الإشارة إليها في متن البحث ووضعت بدقة ضمن قائمة المصادر، كما أتعهد/ نتعهد بالفهم والتطبيق الكامل لقواعد البحث والنشر العلمي المعتمدة في مجلة المبين وإن العمل الذي أدى الى إنتاج هذا البحث قد تم وفق أخلاقيات البحث العلمي المعروفة عالمياً، فضلاً عن ذلك، فأنا/ نحن أتعهد/ نتعهد بأن هذا البحث لم يسبق وأن نشر أو قُدم للنشر في مجلة أو أية وسيلة نشر أخرى وأمتلك/ نمتلك الحقوق الحصرية الكاملة لنشر البحث لغاية تاريخ توقيع هذا العقد، وبذلك أوافق/ نوافق على نقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني لهذا البحث إلى مجلة المبين أو من تخوله هذه المجلة.

ت	اسم المؤلف / المؤلفون	البريد الالكتروني	التوقيع والتاريخ

ملاحظة : يملئ هذا الحقل في حال كون المؤلف مخول من بقية المؤلفين لتوقيع هذا التعهد نيابة عنهم

اني ..... مخول/ مخولة من جميع المؤلفين المشتركين معي في هذا البحث للتوقيع على هذا التعهد نيابة عنهم وأتعهد بصحة كافة معلوماتي الشخصية التي وردت في هذا التعهد ولأجله وقعت.

التوقيع: التاريخ:

البريد الالكتروني: رقم الهاتف:

المحتويات

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٦	كلمة العدد	أ. د. عباس علي حسين الفحام رئيس التحرير
٢٨	ملف العدد	الخطاب الوعظي وأثره في الهوية الإسلامية
٢٩	تحليل الخطاب الوعظي دراسة تطبيقيَّة في خطبة المُتَّقين للإمام عليّ (عليه السلام)	م. حسن كاظم حسين الزُهيريّ المديرية العامة لتربية بابل
٦٣	عناصر الوعظ والحكمة في نهج البلاغة	د. السيد حميد الجزائري د. محمد عشايري منفرد مهدي الساري
٨٩	الأثرُ الفِكرِيُّ وَالسُّلُوكِيّ لِلإِمَامِ عَلِيٍّ (عليه السلام) فِي الحِفَاظِ عَلَى هُوِيَّةِ المُجتَمَعِ الإِسلَامِيّ	الأستاذ الاوّل المتمرّس صَاحِب مُحَمَّد حُسَين نَصّار

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
١١٩	إبلاغية الإشارة في نهج البلاغة	أ. د. عباس علي حسين الفحام أ. م. د. وسام جمعة لفتة الباحث: نور ياسين كريم
١٤٩	المنهج التصويبي عند علي أمير المؤمنين (عليه السلام) للغة مقاربة في ضوء مفهومي الكفاءة والأداء	د. عمَّار حسن الخزاعي مديرية تربية كربلاء المقدسة
٢٢٩	حُضُورُ شَخصِيَّةِ الإِمَامِ عَلِيٍّ (عليه السلام) فِي القَصَائِدِ الأَندُلُسِيَّةِ قَصِيدَتَي ابنِ جَابرٍ وَابنِ الجيَّابِ أنمُوذَجًا دِرَاسَةٌ فِي الوَصفِ وَالسَّردِ	أ. م. لَيلَى منَاتِي مَحمُود
٢٥٩	الملحق: قراءة في مقدمة سماحة آية الله محمد رضا الخرسان (قدس سره) لكتاب الانتصار للشريف المرتضى (قدس سره)	أ. د. صلاح مهدي الفرطوسي

كلمة العدد

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا لآلائه، والحمد لله الذي من علينا بنعمة الإيمان وجعلنا من موالي سيد الأنام وآل بيته الكرام صلوات الله عليهم أجمعين.

كان من نعم الله علينا فيما مر من السنتين الأخيرتين أن استمر عمل المجلة وتقييم البحوث وإصدار الأعداد على الرغم من التحديات الصحية القاهرة التي أصابت العالم عامة والبلاد خاصة، فأفقدتنا أحباءنا وغيرت أسلوب حياتنا الاجتماعية والعلمية، غير أن الإنسان المؤمن عليه أن يجتهد في أدائه على أمثل ما يكون ويبتكر آليات عمل جديدة على مختلف الصعد، ومنها المجالات العلمية فعجلة الحياة لا تتوقف.

وكان من فضله تعالى صدور العدد الجديد (الخامس عشر) من عمر مجلة المبين منتهجين أسلوب اعتماد الأقلام الرصينة والبحوث النافعة ضمانا لسيرورة العمل النوعي وتواصلا مع كتابنا وطلاب المعرفة، فكان أن بلغنا بهذا العدد السلسة الجديدة للمجلة، في ظل خدمة تراث أمير المؤمنين عليه السلام وكتابه الخالد نهج البلاغة.

وإن مما يسر أن يجتهد الباحثون دائما في البحث عما هو جديد قدر المستطاع في هذا الإرث الخالد الذي يستقي من القرآن الشريف لذلك لا ينضب مهما نهل منه الباحثون وكتب فيه أهل العلم، ونسعد أن نقدم شيئا مكملا لما سبق من الأعداد الماضية للمجلة لأننا نعتقد أن العلوم المختلفة التي تتبنى سياسة مجلة المبين نشرها تكمل بعضها بعضا وإن كنا طموحين في التركيز أكثر على الجوانب التطبيقية العلمية المحضة في علوم الصحة والجيولوجيا والفلك ونحو ذلك في الأعداد القادمة إن شاء الله.

وهذا العدد الجديد تضمن موضوعات وعظية مختلفة مما حفل بها هذا الأثر العلوي الكبير، ومازج بين النظرية والتطبيق، وحاول الاقتراب

كثيرا من مشكلات العصر، ومصطلحاته الإبلاغية والإعلامية، فجرى متنوعا منتقلا من منهج إلى آخر، ليثبت بشكل عملي علمي موسوعية نهج البلاغة وقدرته على توليد الفنون واستشفاف العلوم ورصد الظاهرة الجديدة، وهذا ما ننشده دائما في سياسة المجلة وهو تتبع القيم العلمية الجديدة المضافة إلى المكتبة والدارسين، ولعل تلك هي أهداف النشر وأسس المجلات الرصينة المحكمة التي تنشد تقديم الدليل وتبيان الحجة فقد حفل نهج البلاغة في تقديم البراهين الدالة والبينات الواضحة لكل ذي مسكة من عقل التي تثبت براعة منشئها وفرادته بل وعصمته عليه السلام.

ونستثمر المناسبة دائما في استنهاض همم الكتاب والمبدعين ونذكرهم بأن مجلتهم رائدة في هذا المجال فتدعوهم الى إغناء الدراسات العلمية بمثل ذلك، فسيرة أمير المؤمنين وكلامه المجموع فيه الغنى لما يبتغي المجتمع والجيل الجديد، وما على طلاب الحقيقة والباحثين إلا إعمال الفكر وتفعيل الأقلام بالدرس والتحليل والاستقصاء والاستنتاج والتعليل مما تحتاجه أجيال اليوم من فك عقد هذا العصر الذي نعيشه.

ويشرفنا برغم التحديات القاتلة أن يطل العدد الجديد من عمر مجلة (المبين) من جديد لنضعه بين يدي القراء وطلاب المعرفة الحقة آملين أن يكون إضافة علمية رصينة في المكتبة العلوية، وأن يكون سبيلا لتشجيع الباحثين على تزويد المجلة بمزيد من نتاجاتهم المناسبة لسياسة المجلة وتوجهاتها في خدمتهم، والله تعالى ندعو ونسأل منه سبحانه السداد في خدمة العلم وأهله، فنحن نرمي إلى الأخذ بيد القارئ نحو الحقيقة وتجنب التكرار، ومحاولة تقديم الجدة دائما، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين.

رَئِيسُ التحريرِ

ملف العدد

الخطاب الوعظي وأثره في الهوية الإسلامية

*تحليل الخطاب الوعظي دراسة تطبيقيَّة
في خطبة المُتَّقين للإمام عليّ (عليه السَّلام)

* عناصر الوعظ والحكمة في نهج البلاغة

*الأثرُ الفِكرِيُّ وَالسُّلُوكِيِّ لِلإِمَامِ عَلِيٍّ (عَلَيهِ السَّلَامُ) فِي الحِفَاظِ عَلَى
هُوِيَّةِ المُجتَمَعِ الإِسلَامِيِّ

تحليل الخطاب الوعظي دراسة تطبيقيَّة
في خطبة المُتَّقين للإمام عليّ (عليه السَّلام)

Discourse Analysis of Preaching: A Practical Study of Imaam Ali's speech to the pious people

م. حسن كاظم حسين الزُهيريِّ
المديرية العامة لتربية بابل

by Hassan K. Hussein Az-Zuhairy
General Directorate of Babylon Education

ملخص البحث

ينطلق البحث من فرضيَّة مفادها أنَّ الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة تمتلك ذخيرة معرفيَّةً خطابيَّة تصنع تاريخها وتشكِّل وعيها، وتتكون هذه الذخيرة من نصوص وكلام يشقّ طريقه إلى ذاكرة الأمَّة، ليصبح امتدادًا لهذا العمق التاريخي، ويرتبط مثل هذا الكلام والنصوص بشخصيات استثنائيَّة، ومن بين الخطابات الَّتي لا تزال حاضرة حضورًا فاعلًا في التاريخ العربيّ والإسلاميّ خطب الإمام عليّ (عليه السَّلام)، فما زالت عقول الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة كاملةً مُهيَّأةً لتلقيها والانفعال بها، ومن بين تلك الخطب الَّتي ما زالت حاضرة وفاعلة بإشراقاتها الوعظيَّة إلى يومنا هذا (خطبة المُتقين)، الَّتي ستكون موضوع هذا البحث المُتواضع، واستنارةً بهذا المعطى، سيعيد البحث قراءة هذه الخطبة برهانات معرفيَّة مُتجدِّدة، هي دراستها ضمن الدراسات الحديثة بما يسمَّى بتحليل الخطاب، واقتضت خطة البحث أن تتكوَّن من أربعة مباحث تسبقها مقدِّمة؛ جاء الأوَّل: بمقاربة معرفيَّة نظريَّة مُختصرة في تعريف التداوليَّة ودرجاتها، وجاء المبحث الثاني دراسة تطبيقيَّة للإشاريات وأثرها في خطبة المُتَّقين، ودرس المبحث الثالث: التحليل الحجاجيّ في الخطبة، أمَّا المبحث الرابع: فدرس القوَّة الإنجازيَّة لأفعال الكلام في خطبة المُتَّقين، ثمَّ خاتمة تضمَّنت أهمَّ النتائج الَّتي توصَّل إليها البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع الَّتي توكَّأ عليها البحث، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسَّلام على أشرف خلقه أجمعين محمَّدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين.

Abstract

The present study addresses the assumption that Arab- Islamic nation has a cognitive and discoursal repertoire that makes its history and shapes its awareness. This repertoire involves texts and speeches that make their way to the nation's memory and to become extention to the historic depth .

These sermons and texts are associated with exceptional figures whose presence has remained actively present in the Arab-Islamic history like Imaam Ali's (pbwh) speeches and sermons. The nation's minds are still ready to receive such speeches and sermons and interact with them. One of which is " the sermon directed to the pious people". Therefore, this paper is concerned with this sermon by studying it from a discoursal perspective. The plan of the study consists of : four parts preceded by introduction; the first part tackles the definitions of pragmatics, the second part concerns itself with the practical analysis of cohesive devices found in the sermon.

As for the third part, it introduces argumentative analysis of the sermon while the fourth part tackles the performative force of the speech acts found in the sermon to the pious people. Finally, the conclusions were introduced followed by list of references .

المقدِّمة:

من المعلوم أنَّ إدراك مفهوم اللغة مُرتبطٌ منذ القدم بمفهوم مزاوج لها، هو وظيفتها التواصليَّة والتبليغيَّة، وهو ما نتلمس وجوده في التراث اللغويِّ العربيِّ منذ نشأته، ومعلوم أيضًا أنَّ القائل والسّامع خاضعان لنواميس اللغة وقواعدها، فالكلام لا يكون إلَّا على سمتها وقوانينها، وقد عبَّر أبو الفتح بن جنِّي (ت ٣٩٢هـ) عن مفهوم اللغة بأصدقِ تعبير فحدّ اللغة عنده (إنَّها أصواتٌ يعبِّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم)[١].

سيتمّ التركيز في هذه الورقة البحثيَّة المتواضعة على تطبيق الآليات التداوليَّة الَّتي تسهم في تحليل خطبة المُتَّقين، ثمَّ لِفهم مضامينها الدلاليَّة، لكون تحليل الخطاب طريقة وثيقة الصلة بدراسة التداوليَّة، وهي تتلاقى مع منطقة تحليل الخطاب[٢]، ولكون التداوليَّة نسق معرفي استدلالي واسع، يُعالج الملفوظات ضمن أنساقها التلفظيَّة، والخطابات ضمن أنساقها التخاطبيّة، وينماز بكفاية علميَّة تفسيريّة لدراسة الظواهر الخطابيّة التواصليّة[٣]، بمعنى آخر أنَّها نظرية تدرس الوظيفة الحقيقيَّة للغة المتمثِّلة في الاتصال: كيف يتمّ؟ لمن يوجَّه؟ في أيِّ مناسبة؟ ممَّا يدخل في تحليل الخطاب، إذ تعدُّ اللغة نظامًا للاتصال والتعبير بين بني البشر[٤]؛ أي اللغة ومواقف التواصل والخطابات الَّتي يستعملها الناس لفَهم العالم، إنَّما هي صناعة اجتماعيَّة، ونتاجٌ تاريخيّ لشبكة التفاعلات القائمة بينهم[٥]. وتظهر العلاقة الوثيقة بين الخطاب والتداولية؛ لكون الخطاب بصورة خاصة هو حدثٌ تواصليّ حقيقي أداته اللغة، أو هو سلوك علامي يحمل المعنى، وبما أنَّ الخطاب مصدر ونتيجة معرفتنا باللغة يجعلنا

نعيد تسييق الممارسة الاجتماعيَّة عبر الخطاب[٦].

المبحث الأوَّل

مقاربة نظريَّة معرفيَّة

التداولية:

- التداولية لغةً:

تحيلنا المعاجم العربيَّة إلى دلالات عدّة لمادة (دَوَلَ)، ففي لسان العرب: (دول الدَّوْلَةُ والدُّوْلَةُ: العُقبَةُ في المالِ والحَرْبِ سواءٌ، وقيلَ: الدُّولةُ بالضَّمِّ في المالِ، والدَّوْلَةُ بالفَتْحِ في الحَرْبِ...والجَمْعُ دُوَلٌ ودِوَلٌ... ومِنْهُ الإدالَةُ الْغَلَبَةُ، وأَدَالَنا اللهُ مِنْ عَدُوِّنَا، مِنْ الدَّوْلَةِ وَتَدَاوَلْنَا الْأَمْرَ: أَخَذْنَاهُ بِالدُّوَلِ، وَقَالُوْا دَوَالَيْكَ، أَيْ مُدَاوَلَةً عَلَى الأَمْرِ، وَدَالَتْ الأَيَّام أَيْ دَارَتْ، والله يُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)[٧]. ونجد في معجم مقاييس اللغة أنَّ دلالة (دول) (لها أصلان:

أحدُهما يدلُّ على تحوِّل شيءٍ مِنْ مَكانٍ إلى مَكان، والآخر يدلُّ على ضعفٍ واسترخاء؛ فأمَّا الأوَّل فقال أهل اللغة: انْدَالَ القَوْمُ، إذا تَحوَّلُوْا مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ، ومن هذا الباب، تَدَاوَلَ القَوْمُ الشيء بينهم؛ إذْ صار من بعضهم إلى بعضٍ، وأمْرٌ يتداولونَهُ، فيتحوَّل من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا.

وأمَّا الأصل الآخر: من دَالَ الثَوْبُ يَدُولُ، إذا بَلِيَ، ومن هذا الباب إنْدَالَ بطنه؛ أيْ استرخى)[٨].

- التداوليَّة اصطلاحًا:

بما أنَّ اللغة عندما تتحقَّق في المجتمع لا يخلو هذا التحقُّق والأداء من آثار التّفاعل مع الظواهر الأخرى، والموافقة معها في المجتمع، وهذا التحقّق يحصل بين المخاطِب والمخاطَب لا يقتصر على الإخبار والتبليغ؛ بل على عمل ونشاط يقوم به المتكلمون، وقد أدَّى هذا إلى توجّه اهتمام الدارسين إلى العناية المتعلقة بالكيفيّة الَّتي تُستعمل بها اللغة؛ أي

بالكيفيَّة الَّتي تُحقَّق بها اللغة بالفعل عند الاستعمال عند التخاطب وهذا يندرج في إطار تيار من الدراسات والنظريات سُمِيَ بالتداوليَّة[٩]. ويمكننا القول إنَّ التداوليَّة تنطلق من هدف أساس هو استثمار الممكن والمُتاح من الآليات لتوصيل رسالة لُغويَّة مُعيَّنة، وجعل المَعنيّ بها يعيها ويتحرَّك في إطار إنجازها[١٠]. فهي نسق معرفي استدلاليٌّ واسع ثري يعالج الملفوظات بضمن أنساقها التلفظيَّة، والخطابات وبضمن أنساقها التخاطبيَّة، ويتميَّز هذا النسق بكفاية علميَّة تفسيريَّة معتبرة؛ لدراسة الظواهر الخِطابيَّة التواصليَّة للغات الطبيعيَّة ومنها اللغة العربيَّة[١١]. وتبدأ الحلقة الأولى في قصَّة التداوليَّة في أواخر سنة ١٩٦٨م، عندما بدأ كاتز Katz في اكتشاف كيفية دمج المعنى في النظرية اللغويَّة الشكليِّة... وعندما ناقش لاكوف Lakoff (١٩٧١م) عدم منطقيّة فصل دراسة التراكيب النحويَّة عن دراسة استعمال اللغة، بعد أن كانت التداوليَّة لم تُذكر من قَبْل إلَّا نادرًا عند اللغويين على وفق رؤية جنحت التداوليَّة فيها إلى أن تُعالَج بوصفها سلَّة مُهملات يودع فيها ركام البيانات المُستعصية على التصنيف العلميِّ بشكل مناسب...[١٢]. ويتفق كثير من الباحثين على أنَّ التداوليَّة هي العلم الَّذي يوجِّه اهتمامه وقصده لدراسة الاستعمال اللغويِّ في إطاره الاجتماعيِّ، ومعرفة ماهيَّة وظائف الأقوال اللغويَّة في أثناء التواصل، أي علاقة المعنى بالعمل المُنجز، أي استدعاء عناصر أخرى مُرتبطة بهذا الاستعمال وتابعةٍ له مثل المُتكلِّم، والمُتلقي، والكلام، واللفظ، والمقام، والتواصل، والغرض[١٣] فهي تعالج الخطاب بوصفه نتاجًا لعوامل خارجيَّة[١٤].

ويعدّ تعريف الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس (Charles Morris) عام ١٩٣٨م في كتابه «أسس نظرية العلامات» أقدم تعريف لهذا المصطلح؛ إذ يقول (التداوليَّة جزء من السيميائيَّة الَّتي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات[١٥] وقد لقيَ المصطلح الَّذي وضعه الدكتور طه عبد الرَّحمن في اللغة العربية الَّذي كان مقابلًا للمصطلح الغربيِّ (براغماتيقا) قبولًا من لدن الدارسين؛ لأنَّه يدلُّ على معنيي «الاستعمال» و«التفاعل» معًا[١٦]. ويعرفها الدكتور صلاح فضل بأنَّها (أحدث فروع العلوم اللغويَّة، وهي الَّتي تُعنى بتحليل عمليات الكلام والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللغويَّة وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام)[١٧]. ويقوم التداخل المفهومي بين التداوليَّة وتحليل الخطاب أساسًا على دراسة ظاهرة واحدة هي الخطاب؛ لكونه تواصلًا إنسانيًّا، وكون التداوليَّة من أعلق الأدوات المنهجيَّة في دراسة النصّ والخِطاب لكونهما نسقًا مفتوحًا لا يمكن أنْ يُدرسا دراسة بنيويَّة مُغلقة معزولة عن أدوات الاتصال الأخرى.

- درجات التداوليَّة:

يعدّ هانسون (Hansson) أوَّل من ميَّز التداوليَّة بثلاث درجات، وأوَّل من اختار اصطلاح الدرجات بدلًا من الأجزاء، وتعتمد كلّ درجة على مظاهر السِّياق الَّذي يختلف من درجة إلى أخرى وهذه الدرجات هي[١٨]:

١- تداوليَّة الدرجة الأولى: وتتجلَّى في دراسة الرموز الإشاريَّة وبحسب ظروف استعمالها من المخاطِب والمخاطَب ومحددات الزمان والمكان.

٢- تداوليَّة الدرجة الثانيَّة:

وتتجلَّى في دراسة الكيفية أو الطريقة الَّتي ترتبط بها القضية بالجملة المعبر عنها؛ أي بمعنى آخر دراسة قوانين الخطاب، والظواهر الضمنيَّة للغة[١٩].

٣- تداوليَّة الدرجة الثالثة: وتتجلَّى في نظرية أفعال اللغة.

المبحث الثاني

الإشاريات وأثرها في خطبة المتَّقين

يرجع الفضل في تأسيس الذاتيَّة (Subjectivity) والإشاريات (Indexicality) إلى بريل (Breal)[٢٠]، وتعتمد الإشاريات في تفسيرها على المُتكلِّم والسَّامع اللذينِ يشتركان في سياق واحد، وقد ميَّز الباحثون لهذه الإشاريَّات خمسة أنواع: شخصيَّة، وزمانيَّة، ومكانيَّة، وخطابيَّة واجتماعيَّة[٢١].

١- الإشاريات الشخصيّة personal deictics وتشمل:

الإشاريات الدَّالة على المُتكلِّم، أو المُخاطب، أو الغائب، وأوضح هذه العناصر الإشاريَّة ضمائر الحاضر الشخصيَّة الدَّالة على المُخاطب المفرد والمثنى والجمع المذكر منه أو المؤنث.

٢- الإشاريات الزمانيّة temporal deictics: وهي (كلمات تدلُّ على زمان يحدِّده السياق بالقياس إلى زمان التكلُّم، فزمان التكلُّم هو مركز الإشارة الزمانيَّة في الكلام ومثل ذلك كلمات مثل: أمس، وغدًا، والآن، والأسبوع الماضي، ويوم الجمعة والسنة المقبلة ومنذ، وشهر...)[٢٢].

٣- الإشاريات المكانيَّة spatial deictics: وتدلُّ هذه العناصر على مكان المُتكلِّم ووقت التكلُّم[٢٣].

٤- الإشاريات الشخصيّة personal deictics:

وتتمثل بالضمائر الدالة على المُتكلِّم وحده، وتشمل «أنا»، أو أنا المتكلِّم ومعه غيره مثل «نحن»، وكذلك

الضمائر الدالة على المخاطب مفردًا، أو مثنى، أو جمعًا مذكَّرًا أو مؤنثًا، وتتمثَّل الإشاريات الشخصيَّة في ضمائر المُتكلِّم (أنا، نحنُ، تاء المُتكلِّم، ياء المُتكلِّم) وضمائر المُخاطب (تاء المُخاطب، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنَّ)[٢٤]. وقد رصدَ البحث مجموعة من الضمائر الشخصيَّة في الخطبة موضوع الدِّراسة مثل قول همَّام: «**يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ**».

عند الرُّجوع إلى الخطبة السابقة نجد حضورًا واسعًا للضمائر الشخصيَّة تشير إلى المُتكلِّم، وجاءت على صور مختلفة مثل (ياء المُتكلِّم) المتصلة كما في (لي، وكأنِّي، وبنفسي، وغَيْرِي، وَرَبِّي، وبِي، ومِنِّي، وبِنَفْسِي، ولا تُؤَاخِذْنِي، وَاجْعَلْنِي، ولِي) أو مثل الضمير المنفصل كما في (أنا)، أو كما في قول الخطيب: (أنظُر) فمرجع الوحدة المُبهمة المُتصلة، (الياء) لا تشير إلَّا إلى المُتكلِّم (همَّام) نفسه، وكذا الضمير المنفصل (أنا)، وكذلك الضمائر في الأفعال الذي تقديره (أنا)، والسؤال الَّذي يطرحه البحث، هل استعمال الخطيب لضمير المُتكلِّم دلالة على الذاتيَّة، كما يشير هذا العنصر الإشاريِّ في أصل وضعه؟ والجواب إنَّ استعمال المُرسِل لضمير المُتكلِّم هو استعمال للجمع، فهو يتقاسم الشعور والإحساس مع كلِّ المُتقين، لذلك يتكلِّم باسمهم وعنهم وعن عقولهم وعن ضمائرهم، وكأنَّه يعيش الواقع بكلِّ تفاصيله كما يعيشها المتقين، وهذا ما جعل الخطيب يعبِّر بكلامه عن ضمير المُتكلِّم الَّذي وضع للحديث عن الذات البشريَّة؛ لأنَّه من الممكن -والقول لبنفنست- أنْ يتطابق (أنا)، و(نحن) في حال الخطاب[٢٥]. ونجد الخطيب بعدها يبرز الإشارة الشخصيّة

متمثلةً بضمير المتكلم في (أنظُرُ)، وكأنّ المُتكلِّم (همَّام) يريد جلب انتباه المخاطبين لأمر مهم وخطر بعد أنْ استعمل لإثارة انتباههم في المرّة الأولى النداء بقوله: (يا أمير المُؤمنين)، وكأنّ الأمر فيه مشاركة من الجانبين. فالإشارة والتعابير الإشاريّة تتجاوز مجرد تحديد المكان، إلى تحديد ما هو أكبر من ذلك وهو تحديد المكانة والدور والعلاقة بين المشاركين في الخطاب[٢٦]، فالخطيب عبر استعماله لضمير المتكلِّم (أَنْظُرُ) يُظهر الدلالات الوظيفيَّة لضمير المُتكلِّم في إحالته على أدق المعاني والمقاصد الظاهرة منها والمُضمرة، وبحسب سياقات الكلام المُختلفة، كون الضمائر وبحسب «بنفنست» هي: (أشكال فارغة دون مضمون ما دامت لم تدخل في السِّياق مادة فارغة من كلِّ مفهومٍ وموضوعٍ، لكن هذه الأشكال والصيغ تجد لنفسها محتوى انطلاقًا من لحظة تلفظ الفرد بها بضمن حال الحديث، ويكون المُتكلِّم قادرًا عن طريقها على الإحالة إلى نفسهِ)[٢٧].

٢- الإشاريات الزمانيّة temporal deictics:

وهي عناصر إشاريَّة تدلُّ على زمان يحدِّده السياق قياسًا إلى زمان التكلُّم، فزمان التكُّلم يشكِّل مركز الإشارة الزَّمانيَّة في الكلام، ومن ثمَّ فإذا لم يعرف هذا الزَّمان التبس الأمر على المتلقي[٢٨]. ولكي يُدرك المُتلقي لحظة التكلُّم؛ أي زمان التكلُّم يجب عليه تحديد مرجع الأدوات الإشاريَّة وتأويل الخطاب تأويلًا صحيحًا، فيتخذها مرجعًا يحيل عليه ويؤول مكونات التلفظ اللغويَّة بناءً على معرفتها[٢٩].

نلحظ أنَّ الخطيب لم يستعمل الإشاريات الزَّمانيَّة مثل (الآن)، و(منذ فترة) في كلامه، ولكن اتَّجه

إلى تحديد الدَّلالة الزَّمنيَّة عن طريق استعمال زمن الفعل وهذا ما نجده في استعماله للفعل المبني للمجهول كما في قوله: «رُوِيَ، ويُقَالُ، وعَظُمَ ونُزِّلَتْ، وفَصَغُرَ، وخُولِطُوا، وزُكِّيَ، وحُذِّرَ».

فهذا الاستعمال للفعل المبني للمجهول جاء لزيادة القوَّة الإنجازيَّة؛ أي الواقع الاجتماعيِّ الَّذي قيلت فيه العبارة اللغويَّة بضمن تطبيق الاستراتيجيَّة التضامنيَّة من طرف الخطيب؛ أي لحظة التلفظ بها[٣٠]. فالخطابات لا تنفك عن النظام اللغوي للثقافة الَّتي تنتمي إليه، لقد عمد الخطيب عبر استعماله للأفعال المبنيَّة للمجهول على إخضاع اللغة لسلطة أخرى هي سلطة المُرسِل لِكونه الفاعل الرئيس.

٣- الإشاريات المكانيَّة spatial deictics:

ومن الأدوات الإشاريَّة المكانيَّة الَّتي وظَّفها الخطيب وتطالعنا في هذه الخطبة اسم الإشارة (هذا) في قول الإمام: «**فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ**».

ما نلحظه ونحن نتفحّص هذه الخطبة هو استعمال العنصر الإشاريِّ «هذا» للمكان القريب؛ ليفسِّر معاني الإشاريات المكانيَّة إذ يصعب على الإنسان استعمال، أو تفسير معاني الإشاريات المكانيَّة إلَّا إذا وقف على ما تشير إليه من مكان[٣١]. فقد استعمل اسم الإشارة «هذا» ليشير به إلى قول الإمام لـ (همَّام) الَّذي لم يقتنع به وأراد تفصيلًا دقيقًا لحال المُتَّقين وما تبع هذا الطلب من ردّة الفعل من قبل الإمام، وهذا ما أسماه بعض الباحثين بـ «المسافة العاطفيَّة» أو «الإشارة الوجدانيَّة»[٣٢]. وهذا يدلُّ على حرص الإمام على صاحبه همَّام ممَّا سيُخبر به بعد أنْ أبدى عدم قناعته بما قاله له الإمام،

فاستعمال الخطيب لبعض الصيغ اللغويَّة (التعابير الإشارية) بحسب تسمية الدكتور مجيد الماشطة جاء لتحديد المقصود؛ أي قول الإمام؛ أي الاعتماد على ما يفترض المُتكلِّم أنْ يعرفه السامع[٣٣].

المبحث الثالث

التحليل الحجاجيِّ في خطبة المتقين

١ - الرابط الحجاجيِّ (النفي):

يعدُّ النفي آليَّة إقناعيَّة تتوافر في اللغات الطبيعيَّة تعمل على تفتيت أسس الرأي المضاد وتدحضه؛ لقلب اعتقاد المتلقي وإبطاله، يستعمل الجحد المتمثِّل في إنكار أطروحته؛ وذلك باستعمال أحد أدوات النفي، ويسعى النفي إلى الاعتراض على رأي الخصم وتفنيده[٣٤] ويسعى أيضًا إلى كشف مغالطاته لفتح (ثغرات في البناء الإقناعي الذي يستند إليه)[٣٥]. ويصدق عليها قول أنسكمبر (يوجد في اللغة عوامل حجاجيَّة تشدُّ الملفوظ وتبدِّله، وتقوم بتوجيه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته)[٣٦]. والنفي -والقول للناجح- هو العامل الَّذي يحوِّل القضية الصحيحة إلى خاطئة وبالعكس، وهذا ما دعا ديكرو أنْ يجعل للنفي النصيب الأعظم في تحديد وجهة الخطاب الحجاجيَّة عادًّا إيَّاه من أدقِّ العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السُلَّم الحجاجيِّ[٣٧]. ففي قول الإمام: «لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ. أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا، لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى. لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، لا يُضِيعُ مَا

اسْتُحْفِظَ وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ وَلَا يَشْمَتُ بِالْمُصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ»[٣٨].

وبالرجوع إلى الفقرات الَّتي احتوت على النفي نجد النفي حاضرًا في هذه الخطبة بشكلٍ لافتٍ للنَّظر، سنحاول الكشف عن أبعاده الحجاجيَّة، فقد يؤديِّ النفي دورًا فعَّالًا في نصوص هذه الخطبة الَّتي تتعلَّق بصفاة المُتقين، ومن الواضح أنَّ النفي أو الإنكار آلية إقناعيَّة وحجاجيَّة وكما يقول ديكرو: (لكلِّ تلفظٍ له وظيفة حجاجيَّة وتوجيه المتقبِّل نحو نتيجة محدَّدة)[٣٩].

فجاء أسلوب النفي في هذه الخطبة، فهو (أي النفي) إذ يرد في الكلام لِكونه يعدُّ آليَّة إقناعيَّة: (تفتت أسس الرأي المضاد وتنزع عنه المصداقيَّة، وتثبت بدله الرأي المتبنَّى)[٤٠] ممَّا جعل هذه الحجج لا تكتمل إلَّا باستعمال الخطيب لأسلوب النفي، الَّذي جاء لقلب اعتقاد السامع عبر الجحد المتمثِّل في إنكار أطروحة المخاطب[٤١].

نخلصُ ممَّا تقدَّم (أنَّ الحجَّة التّداوليَّة تضطلع بدورٍ مُهمٍّ في تثمين الأعمال سواء في وضعها الحاضر أو في وضعها المُستقبلي، ولا يقتصر دورها على ذلك؛ بل يتجاوز المُرسِل بها إلى توجيه السلوك والفعل المُستقبليّ))[٤٢].

٢- الرابط الحجاجي (الواو

والفاء):

وظَّف الخطيب الروابط الحجاجيَّة؛ لغرض الربط بين الحجَّة والنتيجة ويتجلَّى ذلك في قوله: «**فَصَغُرَ، وفَهُمْ، وفَقَدَوْا...**» فقد حرص على استعمال أدوات ربط بعينها مثل: (الواو، والفاء)، فالأداة «الفاء» ربطت بين الحجَّة والنتيجة الواقعة.

وهذه النتيجة: «**فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ**».

وكذلك وظَّف الخطيب لتقوية النتيجة وأثرها الإيجابي «**فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ**»، و«**فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ**»، و«**فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ**».

فجاء الرَّبط من قبل الخطيب بهذه الأدوات ليستفيض بإقناع المُتلقي وتوضيح نتائج تقواهم وزهدهم في الحياة الدنيا.

٣- رابط التساوق الحجاجي (حتَّى):

شكَّل رابط التساوق الحجاجيّ (حتَّى) عاملًا بارزًا في هذه الخطبة، ويتجلَّى ذلك عبر علاقته الواضحة والقويَّة مع المعنى الضمني والمضمر، فأضاف حجَّة جديدة لما يطرحه الخطيب تكون هذه الحجَّة متساوقة مع الحجَّة الَّتي تسبقها، ومن ثَمَّ تزيد من حمولة الطاقة الحجاجيَّة الَّتي ترد في سياق القول ويسعى الخطيب لإيصالها إلى المتلقي[٤٣].

ولتوضيح دور الرَّابط «حتَّى» في خطبة المُتقين نسوق بعضٍ الأمثلة مثل قول الخطيب:

ومن أدوات الرَّبط الَّتي استعملها الخطيب أداة الرَّبط (حتَّى) ويتجلَّى ذلك في قول همَّام: «**يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ**». وفي قوله: «**فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ**». وفي قوله: «**وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ**».

فنجد الرّابط لعب دورًا حجاجيًّا في الربط بين حجَّة ونتيجة على النحو الآتي:

«صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ».

حجّة نتيجة.

فجاءت النتيجتان ما بعد «حتَّى» حجَّجًا مُعلِّلة وشارحة لماذا تحظى بقبول واسع وأراد الخطيب من ذلك التأكيد لبلوغ درجة التثبت والاطمئنان بصحة الخبر أو الحكم، فذكر الشيء مُعلِّلًا يقوِّي تأثيرهُ في النفس وثقتها به(٤٤). فإثبات الحكم مُعلَّلًا أشدُّ من إثباته مُجرَّدًا من التعليل.

ومن ذلك أيضًا قول الإمام: «فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ، حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ».

«حتَّى» لتقوم بدور العلاقة التفسيريَّة بين الحجَّة والنتيجة. فجاءت العلاقة على النحو الآتي:

«فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ».

حجَّة نتيجة.

أو كما في قوله: «وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ».

ما نلحظه هنا أنَّ الرابط (حتَّى) جاء للسببيّة والتعليل وذلك ليربط بين حجَّة ونتيجة فصبر المُتقي جاء بسبب إيمانه بأنَّ الله جلت قدرتهُ هو الَّذي ينتقم فجاءت العلاقة كالآتي:

«وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ».

حجَّة نتيجة.

ما نلحظه أنَّ الرابط (حتَّى) جاء بحجةٍ أقوى من الحجة الأولى أي أن يكونَ ما بعدها غاية لما قبلها، ولذلك نجد ديكرو يقرُّ بأنَّ (الحجَّة المربوطة بواسطة هذا الرَّابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجيَّة واحدة؛ أي أنّها تخدم نتيجة واحدة...)(٤٥)،

فـ (الحجَّة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإنَّ القول المشتمل على (حتَّى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجيّ)[٤٦].

٤- رابط التأكيد الحجاجيِّ (إنَّ):

حرف ينصب الأوَّل ويرفع الثاني[٤٧]. ونجد أنَّ رضي الدّين الاسترابادي يُحدِّد الغرض من التوكيد في ثلاثة أشياء: (أحدهما: أنْ يمنع المتكلِّم غفلة السَّامع عنه، ثانيهما: أن يدفع ظنَّهُ بالمُتكلِّم الغلط، فإذا قصد المتكلِّم أحد هذين الأمرين، فلابدَّ أنْ يُكرِّر اللفظ الذي ظنَّ غفلة السامع عنه، أو ظنَّ أنَّ السامع ظنَّ به الغلط. الثالث: أنْ يدفع عن نفسه ظنَّ السامع به تجوِّزًا)[٤٨]. والملاحظ أنَّ هذه الوظيفة التي ذكرها هي وظائف تداوليَّة يمكن أن تؤدي أدوارًا حجاجيَّة في سياقاتٍ معيّنة، وهذا ما نجده في قول الخطيب: «فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ...، وَلِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ و وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، وفَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ...، وَوَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ».

يشترك في تلقي الخطاب المُرسِل (الخطيب) الذي يمثل الأداة الأولى في العمليَّة الخطابيَّة، وما يحمله من أدوات، ووسائل إقناعيَّة، والَّتي لها دورٌ فعَّالٌ في عمليّة التأثير في المتلقي، وتعدُّ هذه الوسائل الركيزة الأساسيَّة في العمليَّة التَّواصليَّة ومن الواضح أيضًا أنَّ الخطاب يزخر بجملة من المعطيات المُفضية إلى تهيئة السامع نفسيًّا، وتوجيهه لإقناعه -مخاطَبين- بما يطرحه من أمور (إذ ليس في مقدور الخطيب أنْ يثير في جمهوره ما يريد أن يثيره فيهم من عواطف إلَّا إذا كان عارفًا بأحوال

النَّفس البشريَّة، وما يسكنها من مشاعر مختلفة، ونوازع شتَّى، وما يرتبط بكلِّ عاطفة من معتقدات وأحكام تكون بمنزلة المقدِّمات الَّتي تسبق شعور السَّامع بها)[٤٩].

وبالرجوع إلى فقرات هذه الخطبة، نتبيَّن عبر أعمالنا لتقنية الإحصاء هيمنة حرف التأكيد (إنَّ) الوارد ستة مرَّات، وتكرار هذا الحرف أكثر من مرَّة في خطبته، وتكرار ألفاظٍ نراها ذكرت أكثر من مرَّة في هذه الخطبة وهي (ظنَّ) وبعدها (إنَّ)، ونجد (إنَّ) تفيد تأكيد النسبة بين اسمها وخبرها وهو تأكيد القصد منه إزالة الشَّك، أو التَّردد في هذه النسبة من ذهن المتلقي، وظهرت أهمية حمولتها الحجاجيَّة كحرف تأكيد القصد منه ربط النتيجة بالسبب، ولجوء الخطيب إلى أسلوب التّكرار؛ لأنَّه يعدُّ من الرَّوافد الأساسيَّة يستعملها المتكلِّم ليرفد بها حججه وبراهينه الَّتي يقدِّمها لفائدة أطروحةٍ ما[٥٠].

٥- الرابط الحجاجيِّ (النِّداء):

من الملاحظ أنَّ النِّداء شكّل محورًا مهمًا من محاور الخطبة، وذلك بما يوحيه من دلالات خاصّة وبما يشكّله من وقع خاص على المخاطَب، غرضه الأوّل شدّ انتباه السامع وعلى خلاف النداءات المعروفة كقول همَّام: مُخاطبًا الإمام: (يا أمير المُؤمنين) وقول الإمام (عليه السَّلام): (يا همَّام) وكأنّ الإمام يريد جلب انتباه المخاطبين -وبضمنهم همَّام- لأمر مهم وخطير ليقطع الإمام الدفق الإقناعي ويعلن أنَّ شيئًا هامًا سيقال، بعد أنْ استعمل لإثارة انتباههم النداء بقوله: (يا همَّام) وكأنّ الأمر فيه مشاركة من الجانبين. فالإشارة والتعابير الإشاريّة تتجاوز مجرد تحديد المكان، إلى تحديد ما هو أكبر من ذلك وهو تحديد المكانة والدور والعلاقة بين

المشاركين في الخطاب[٥١].

وقول القائل: (فما بالك يا أمير المؤمنين)؟ فاستعمال النِّداء غاية جليّة وواضحة وهي شدّ انتباه السامع، وتهيئته لأمر هام له علاقة مباشرة بما يدور في هذه الخطبة، ونلحظ السؤال الَّذي سبق النداء من قبل أحد المشاركين في الخطبة (فما بالك) يزيد القوّة الإنجازيَّة للخطاب وليتحوَّل السؤال وبعده النداء إلى نيَّة الإنجاز الفعلي، فالاستفهام من أنجع الأفعال حجاجًا، لذا يستعمله كثيرٌ من مُرسلي الخطابات.

المبحث الرابع
القوَّة الإنجازية لأفعال الكلام في خطبة المتقيِّن

تمثِّل أفعال الكلام محور العملية التواصليَّة وعنصرًا أساسيًّا في صناعة المعنى وفقًا للمُقاربة التَّداوليَّة، والفعل الكلامي هو (أصغر وحدة لاتصال أنسانيٍّ يُمارس بها المُتكلِّم فعلًا اتِّجاه سامع)[٥٢].

وقد قسَّم اوستن أفعال الكلام إلى ثلاثة أقسام:

١- (فعل القول: L.cutionary act، ويراد به التلفظ بقولٍ ما استنادًا إلى جملة من القواعد الصوتيَّة، والتركيبيَّة الَّتي تضبط استعمال اللغة)[٥٣].. أوهي: فعل العبارة وهي الإشارات الصوتيَّة بحسب سنن اللغة الداخلي[٥٤].

١- (فعل الإنجاز: Illocytionary، وبراد به القصد الَّذي يرمي إليه المُتكلِّم من فعل القول؛ كالوعد والأمر، والاستفهام، والتحذير....)[٥٥]؛ أي صياغة لفظ ليؤدي وظيفة نريد اتمامها[٥٦].

٢- فعل التأثير: Perlocutionaary؛ ويراد به التأثير الَّذي يحدثه فعل الإنجاز في المُخاطَب؛ أي أنَّهُ يُفهِم المُخاطَب أنَّهُ يحثَّه على أنْ يتَّخذَ موقِفًا مُحدَّدًا تجاه شيءٍ ما (التأثير في

الـرأي).

أمَّـا سـيرل فقـد صنَّـف الأفعـال اللغويَّـة وحصرهـا في خمسـة أصنـاف[٥٧]:

أ- الإخباريات (Assertives).

ب- التوجيهيات (Directives).

ج- الوعديات (Commissives).

د- الإفصاحيات (Expressives).

هـ- الإيقاعيَّات (Declaratives).

١- الإخباريـات (التقريريـات) (Assertives):

ويتضمـن العمـل الإنجـازي فيهـا مـا ينقلـه المُتكلِّـم مـن وقائـع مـا عـبر قضيَّـة يعـبِّر بهـا عـن هـذه الواقعـة، وأفعـال هـذا الصنـف تحتمـل الصـدق والكـذب، وشرط الإخـلاص فيهـا يتمثَّـل في النقـل الأمـين للواقعـة[٥٨].

بـما أنَّ الغايـة المقصـودة مـن كلِّ قـولٍ هـي إحـداث أثـرٍ، أو إنجـازٍ غايـةٍ مـا؛ أيْ فعـلٌ تترتَّـب عليـه نتائـج مـا، فإنَّنـا نجـد أنَّ هـذه الخطبـة قـد تضمنـت أفعـالًا تحـدَّث فيهـا الخطيـب مثـل: (رُويَ، وكان، وفقـال، وتثاقـل، وقـال، وعَـزَمَ، وخلـقَ، وقَسَـمَ، ووضَـعَ وغضُّـوا، وحـرَّمَ، ووقَّفـوا، ونَزَلـتْ، و كتَـبَ، وعَظُـمَ، و صغُـرَ، رآهـا، وصـبروا، ومـرُّوا و ركنـوا، تطلَّعـت...).

مـا نلحظـه أنَّ الأفعـال في هـذه الخطبـة، الزمـن الغالـب فيهـا المـاضي، واستعمال الفعـل المـاضي جـاء لِيُقحِـم قصـدًا استعاديًا مُوجَّهًا نحـو الخطـاب السـابق الَّـذي يفيـد تقريـر الحقائـق، فالخطيـب نقـل وقائـعَ عـن صفـات المُتقـين، فالخطيـب هنـا يُقـرِّر حقيقيـة دينيَّـة وُسِـمَ بهـا المتقـون وهـي الخـوف مـن الله لا غـيره في كلِّ مواقـف حياتهـم، وجميـع هـذه الأفعـال تتوافـر فيهـا جميـع خصائـص الفعـل الأدائـيّ إلَّا خصيصـة المعنـى، أو الدلالـة الأدائيَّـة؛ أي أداء الفعـل أثنـاء النطـق بـه؛ لأنَّ هـذه الأفعـال كلُّهـا خبريَّـة

تقريريَّة لا يُقصدُ منها -عبرَ سياقها في القصَّة- الإنجاز، أو الأداء، ولكن يُقصد ببعضها الإخبار ويقصد ببعضها الآخر الوصف[٥٩]. ونرى التأثير المتوقع حصوله هو ما أصاب همَّام إذ صُعِق بما أخبره به الإمام عليّ (عليه السَّلام).

٢- التوجيهيات (Directives):

وغرضها الإنجازيّ التزام المُتكلِّم للتأثير على المُستمع ليفعل شيئًا ما في المُستقبل، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد[٦٠]. ومن أمثلتها في هذه الخطبة قول الخطيب: «صِفْ، ولَا تُؤَاخِذْنِي، وَاجْعَلْنِي». نلحظ أنَّ أفعال القول في الأفعال السَّابقة هو التلفظ بأصوات هذه الكلمات، والحدث الإنجازي في هذه الأفعال الأمر والنهي، تحمل العبارات السَّابقة في أعطافها فعلًا كلاميًّا غير مباشر، وهو التعبير عن الرَّغبة، وهو فعل ينتج غرض الالتماس، فالسائل (همَّام) هنا يلتمسُ من المخاطب (الإمام) أنْ يصف المُتَّقين، بقوله: (صف) وكذلك الفعل: اجعلني، والفعل لا تؤاخذني، فالفعل الأوَّل خرج إلى معنى الالتماس والثاني خرج الفعلان الآخران لغرض الدعاء وبهذا الفعل يسعى المُتكلِّمُ إلى جذب انتباه المُتلقي وإشعارهُ بأهميتهِ ومشاركته في انتاج الخطاب. وكلُّ هذه الأفعال تضمَّنت توجيهًا وهذا هو عمل الأفعال التوجيهيَّة في الخطاب فهي لا تخلو من أداء مقاصد خطابيَّة و(يكمنُ الهدف الغرضيِّ لهذه الأفعال في حقيقة أنَّها محاولات من جانب المُتكلِّم للتأثير على المُستمع ليفعل شيئًا ما، ومن الجائز أن تكون محاولات ليِّنة جدًا... أو ربَّما تكون محاولات عنيفة جدًا)[٦١].

٣- الوعديات

(الالتزاميـــــــات) (Commissives):

وهـو كلُّ فعـلٍ كلامـيٍّ يقصـد بـه المُتكلِّـم الالتـزام طوْعًـا بفعـل شيء للمُخاطَـبِ في المُستقبل، بحيث يكـون المُتكلِّـم مُخلِصًـا بكلامـه، عازمًـا عـلى الوفـاء بـما التـزم بـه كأفعـال الوعـد، والوعيـد، والمعاهـدة، والضـمان والإنـذار إلـخ، واتجـاه المطابقـة في هـذا النـوع مـن الأفعـال مـن العـالم إلى الكلـمات[٦٢]. ونجـد مثل هـذه الأفعال في خطبـة المُتَّقين ويتجلَّى ذلـك في قـول الإمـام: «اتَّـقِ وَأَحْسِـنْ، وويحَـكَ». استـعمل الخطيـب في هـذه الخطبـة الأفعـال (اتَّـقِ وأحسِـن، وويحـك)، والمخاطَـب (همَّـام، والقائـلُ المجهـول) والقصـد أو الغـرض الإنجـازي مـن استـعمال هـذه الأفعـال هـو تحذيـر المُخاطبـين.

٤- الإفصاحيـات التعبيريـات (Expressives):

وتشـمل الأفعـال المُعـبِّرة عـن مشـاعر المُتكلِّـم وميولـه، إذن هـو تعبـير عـن الحالـة النفسـيَّة تعبـيرًا يتوافـر فيـه شرط الإخـلاص ويمكـن أن يكـون عبـارة عـن سرورٍ، أو ألمٍ، أو حـبٍّ، أو كـرهٍ، أو فـرحٍ، أو نـدمٍ[٦٣]. ونجـد أنَّ خطبـة المُتقـين طُـرِّزتْ بمثـل هـذه الأفعـال كـما في قـول الإمـام: «فَتَثَاقَـلَ عليـه السـلام عَـنْ جَوَابِـهِ، ولَقَـدْ كُنْـتُ أَخَافُهَـا عَلَيْـهِ». ففـي هـذه الخطبـة عـبَّر الخطيـب عـن الحالـة النفسـيَّة، والشـعور الَّـذي يمـر بـه، يشـاركه في هـذا الشـعور مـن حضرَ هـذه الخطبـة، فهـذه الأفعـال غرضهـا الإنجـازي هـو الشـعور بـالألم لمـا سـيصاب بـه همَّـام وهـو تعبـير عـن مـا يختلـج نفـس الخطيـب ومعـه كلِّ الحاضريـن.

نخلـص ممَّـا ذُكِـر أنَّ للأفعـال الكلاميَّـة دورًا في التواصـل بين المُرسِـل والمُتلقـي، وهـي مـن التقنيـات الَّتـي يتوسَّـل بهـا الخطيـب لمُحاولـة التأثـير عـلى المُخاطَـبِ لكسـبه وإثارتـه اهتمامـه

وذلك لتبنِّي طروحاته.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الشيِّقة مع الإشراقات الوعظيَّة لخطبة المُتَّقين لسيد البلغاء (عليه السَّلام) توصَّل البحث إلى النتائج الآتيَّة:

وجد البحث حضورًا واسعًا للضمائر الشخصيَّة تشير إلى المُتكلِّم وجاءت على صور مختلفة مثل (ياء المُتكلِّم) المتصلة كما في (لي، وكأنِّي، وبنفسي، وغَيْرِي، وَرَبِّي، إلخ...)، وجاء هذا الاستعمال من لدن المُرسِل لضمير المُتكلِّم هو استعمال للجمع فهو يتقاسم الشعور والإحساس مع كلِّ المُتقين الَّذين ذكر صفاتهم.

وجد البحث أنَّ الخطيب لم يستعمل الإشاريات الزَّمانيَّة مثل (الآن)، و(منذ فترة) في كلامه ولكن اتَّجه إلى تحديد الدَّلالة الزَّمنيَّة عن طريق استعمال زمن الفعل وهذا ما نجده في استعماله للفعل المبني للمجهول كما في قوله: «رُوِيَ، ويُقَالُ، وعَظُمَ ونُزِّلَتْ، وفَصَغُرَ، وخُولِطُوا، وزُكِّيَ، وحُذِّرَ»، فهذا الاستعمال للفعل المبني للمجهول جاء لزيادة القوَّة الإنجازيَّة؛ أي الواقع الاجتماعيِّ الَّذي قيلت فيه العبارة اللغويَّة بضمن تطبيق الاستراتيجيَّة التضامنيَّة من طرف الخطيب؛ أي لحظة التلفظ بها.

جاء استعمال الخطيب للإشاريات المكانيَّة مثل «هذا» الَّذي يدلُّ على المكان القريب ليفسِّر معاني الإشاريات المكانيَّة إذ يصعب على الإنسان استعمال، أو تفسير معاني الإشاريات المكانيَّة إلَّا إذا وقف على ما تشير إليه من مكان.

وظَّف الخطيب الحجاج بالنفي في خطبته بشكلٍ ملفتٍ للنَّظر؛ لكونه يؤديِّ دورًا فعَّالًا في نصوص هذه الخطبة الَّتي تتعلَّق بصفاة المُتقين، وبوصفه آلية إقناعيَّة وحجاجيَّة.

شكّل رابط التساوق الحجاجيّ (حتَّى) عاملًا بارزًا في هذه الخطبة، ويتجلَّى ذلك عبر علاقته الواضحة والقويَّة مع المعنى الضمني والمضمر، فأضاف حجَّة جديدة لما يطرحه الخطيب تكون هذه الحجَّة متساوقة مع الحجَّة الَّتي تسبقها، ومن ثَمَّ تزيد من حمولة الطاقة الحجاجيَّة الَّتي ترد في سياق القول ويسعى الخطيب لإيصالها إلى المتلقي، وهي إظهار شمائل وصفات المُتَّقين.

وجد البحث أنَّ استعمال الخطيب للرابط الحجاجي (إنَّ) لتأكيد النسبة بين اسمها وخبرها وهو تأكيد القصد منه إزالة الشَّك، أو التَّردد في هذه النسبة من ذهن المتلقي، وظهرت أهمية حمولتها الحجاجيَّة كحرف تأكيد القصد منه ربط النتيجة بالسبب، ولجوء الخطيب إلى أسلوب التّكرار؛ لأنَّه يعدُّ من الرَّوافد الأساسيَّة يستعملها المتكلِّم ليرفد بها حججه وبراهينه الَّتي يقدِّمها لفائدة أطروحةٍ ما.

شكَّل الرابط الحجاجي (النداء) شكّل محورًا مهمًا من محاور الخطبة، وذلك بما يوحيه من دلالات خاصّة وبما يشكّله من وقع خاص على المخاطَب، غرضه الأوّل شدّ انتباه السامع وعلى خلاف النداءات المعروفة.

جاء تحشيد الخطيب للأفعال الكلاميَّة ليس لغرض التلفظ بأصوات هذه الكلمات؛ بل لكونها تحمل في أعطافها فعلًا كلاميًّا غير مباشر، فالأفعال الكلاميَّة لها أثرٌ كبيرٌ في التواصل بين المُرسِل والمُتلقي، وهي من التقنيات الَّتي يتوسَّل بها الخطيب لمُحاولة التأثير على المُخاطَبِ لكسبه وإثارته اهتمامه وذلك لتبنِّي طروحاته.

الهوامش

١. الخصائص، صنعه، أبي الفتح عثمان بن جنِّي، بتحقيق، محمد عليّ النجار، دار الكتب المصريَّة بد. ط، بد. ت، ج١/ ٣٣.

٢. ينظر: تحليل الخطاب مبادؤه- تطبيقاته- نقده، د. صبري إبراهيم السيِّد، مكتبة الآداب القاهرة، ط١، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م: ٢٧٨- ٢٧٩.

٣. ينظر: تداولية الخطاب السردي - دراسة تحليليَّة في وحي القلم للرافعيِّ-، محمد طلحة، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط١، ٢٠١٢م: ٢.

٤. ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، بد. ط بد ت: ٦٦.

٥. ينظر: في التحليل النقدي للخطاب، محيي الدين محسّب، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٩م- ١٤٤٠هـ: ٤٣.

٦. ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم، د. حافظ إسماعيلي علوي، مُنتصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤ م: ١١.

٧. لسان العرب، ابن منظور (٧١١ هـ)، دار المعارف، القاهرة، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، بد ط، بد ت، المجلد الثاني باب الدال، مادة (دول): ١٤٥٦- ١٤٥٧.

٨. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق وضبط عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج٢ مادة (دول): ٣١٤.

٩. ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيميِّ، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط٢ ٢٠٠٦م: ١٥٨.

١٠. ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، د.. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨م: ١٧٥.

١١. ينظر: تداولية الخطاب السردي- دراسة تحليليَّة في وحي القلم للرافعيِّ: ٢.

١٢. ينظر: التداولية البُعد الثالث في سيميوطيقا موريس (بحث)، عيد بَلبَع، مجلة فصول، العدد ٦٦، ربيع ٢٠٠٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٣٦.

١٣. ينظر: النظرية البراجماتيَّة اللسانيَّة (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، د.. محمود عكاشة مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م: ٢٠.

١٤. ينظر: البعد البراغماتيِّ لنظرية تحليل الخطاب «مُقاربة في المفهوم والإجراء»، خالد حسين دلكي، د أحمد محمد أبو دلو، (بحث)، مجلة بيان، السَّنة الأولى، العدد الأوَّل، سبتمبر، ٢٠١٤م: ٧٦.

١٥. المقاربة التداوليَّة، فرانسواز أرمينكو، تر: سعد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط- المغرب، ط١ ١٩٨٧م: ١٢.

١٦. ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرَّحمن، المركز الثقافي العربيِّ، بيروت- لبنان، الدار البيضاء- المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م: ٢٨.

١٧. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس، ١٩٩٢م: ٨.

١٨. ينظر: المقاربة التداوليَّة، فرانسواز أرمينكو: ٥٢.

١٩. ينظر: توجهات تحليل الخطاب في الثقافة الغربيَّة (بحث)، عمر بلخير، مجلة فصول، م (٢٥/ ١)، العدد (٩٧)، خريف ٢٠١٦م: ٢١.

٢٠. ينظر: مسرد التداوليَّة، د. مجيد الماشطة، أ، أمجد الركابي، الرضوان للنشر والتوزيع عمان، ط١ ٢٠١٨م- ١٤٣٩ م: ٢٦.

٢١. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعيَّة، بد. ط،٢٠٠٢م: ١٧- ٢٦.

٢٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٩.

٢٣. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويِّ المعاصر: ٢١.

٢٤. ينظر: تداولية الإشاريات في الخطاب

القرآني- مقاربة تحليليَّة لكشف المقاصد والأبعاد (بحث)، أ حمدي مصطفى، مجلة الأثر، العدد ٢٦ سبتمبر ٢٠١٦: ٦٥.

٢٥. ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: ١١١.

٢٦. ينظر: تبسيط التداوليّة، د. بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ ٢٠١٠م:١٢٩.

٢٧. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: ١٠٨.

٢٨. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويِّ المعاصر: ١٩.

٢٩. ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤: ٨٣.

٣٠. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة: ٨٤.

٣١. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويِّ المعاصر: ٢١.

٣٢. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويِّ المعاصر: ٢٣.

٣٣. ينظر: مسرد التداوليَّة: ٥٧.

٣٤. ينظر: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفيَّة لبعض قضايا التركيب في اللغة العربيَّة، أحمد المتوكِّل، مطابع منشورات عكاظ، الرِّباط، ١٩٩٣م: ١٠٢، وينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، د عبد اللطيف عادل، منشورات الضفاف بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م: ٢٢٣.

٣٥. بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٢٧.

٣٦. العوامل الحجاجيَّة في اللغة العربيّة، د. عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين صفاقس- تونس ط١، ٢٠١١م: ٤٧.

٣٧. ينظر: المصدر نفسه: ٤٨- ٤٩، وينظر: المظاهر اللغويّة للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللّسانيّة، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٤م ١٠٠.

٣٨. نهج البلاغة، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السَّلام)، جمع

واختيار السيِّد الشريف الرَّضي ضبط نصَّهد. صبحي الصالح، دار الحديث للطباعة والنشر، إيران- قم المقدَّسة، لبنان- بيروت، ط١٤٢٦٣ق / ١٣٨٤ش: ٤٥٤- ٤٥٩.

٣٩. العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ٥٠.

٤٠. بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٢٣.

٤١. الوظيفة والبنية مقاربات وظيفيّة لبعض قضايا التراكيب في اللغة العربيّة: ١٠٢.

٤٢. استراتيجيات الخطاب مُقاربة لُغويَّة تداوليَّة: ٢٨١.

٤٣. ينظر: اللغة والحجاج، د أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م: ٢٧.

٤٤. ينظر: التراكيب اللغويَّة في العربيَّة، دراسة وصفيَّة تطبيقيَّة، د. هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد بد. ط، ١٩٧٦م: ٤٧.

٤٥. اللغة والحجاج: ٧٣.

٤٦. اللغة والحجاج: ٧٣.

٤٧. ينظر: الكتاب، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٦، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ج٣: ١٤٢.

٤٨. شرح الرضيّ على الكافية، تصحيح وتعليق، يوسف حسن عمر، منشورات قار يونس بنغازي، ط٢ ١٩٩٦م ج٢: ٣٥٧.

٤٩. منزلة العواطف في نظريات الحجاج، د. حاتم عبيد، عالم الفكر، العدد ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر ديسمبر، ٢٠١١م: ٢٤٢.

٥٠. ينظر: الحجاج في الشِّعر العربيّ بنيته وأساليبه، د. ساميّة الدّريدي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ٢٠٠٧م: ١٦٨

٥١. ينظر تبسيط التداوليّة: ١٢٩.

٥٢. اللغة والفعل الكلاميِّ والاتصال، زيبيله كريمر، تر: د سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١،

٢٠١١م: ٨٩.
٥٣. التداوليَّة أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م:٩٠.
٥٤. ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية- اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧م ٥٩.
٥٥. التداوليَّة أصولها واتجاهاتها: ٩٠.
٥٦. ينظر: التداوليَّة، جورج يول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون- لبنان، دار الأمان- المغرب، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م: ٨٣.
٥٧. نظريَّة الأعمال اللغويَّة، شكري المبخوت، مسكيلياني للنشر والتوزيع، زغوان- تونس، ط١، ٢٠٠٨م: ٩٢-٩٤. وينظر: نظرية الأفعال الكلاميَّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب السيِّد هاشم الطبطبائيّ، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٤م: ٣١، ٣٢، ٣٣.
٥٨. آفاق جديدة في البحث اللغويِّ المعاصر: ٤٩.
٥٩. ينظر: في البراجماتيَّة: الأفعال الإنجازيَّة في العربيَّة المعاصرة دراسة دلاليَّة ومعجم سياقيٍّ، د علي محمود حجيٍّ الصرّاف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م: ٣٢- ٣٣.
٦٠. ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحقّ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٣م: ٢٣٣- ٢٣٤.
٦١. التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد: ٢٣٣.
٦٢. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويِّ المعاصر: ١٠٤.
٦٣. ينظر: مسرد التداوليَّة: ٩٧، وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٥٠.

المصادر والمراجع:

• استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤.

• آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعيَّة، بد. ط،٢٠٠٢م.

• البعد البراغماتيِّ لنظرية تحليل الخطاب « مُقاربة في المفهوم والإجراء «خالد حسين دلكي، د أحمد محمد أبو دلو، (بحث)، مجلة بيان، السَّنة الأولى، العدد الأوَّل، سبتمبر ٢٠١٤م.

• بلاغة الإقناع في المناظرة، د عبد اللطيف عادل، منشورات الضفاف، بيروت– لبنان، ط١ ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

• بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس، ١٩٩٢م.

• تبسيط التداوليّة، د. بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ ٢٠١٠م.

• تحليل الخطاب مبادؤه – تطبيقاته – نقده، د. صبري إبراهيم السيِّد، مكتبة الآداب القاهرة ط١، ١٤٤١هـ – ٢٠٢٠م

• التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحقّ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

• التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم، د. حافظ إسماعيلي علوي، مُنتصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

• التداوليَّة، جورج يول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون – لبنان، دار الأمان – المغرب، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

• التداوليَّة أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ– ٢٠١٦م.

• تداوليـة الإشـاريات في الخطـاب القـرآني -مقاربـة تحليليَّـة لكشـف المقاصـد والأبعـاد (بحـث) حمـدي مصطفـى، مجلـة الأثـر، العـدد ٢٦ سـبتمبر ٢٠١٦.

• التداوليـة البُعـد الثالـث في سـيميوطيقا موريس (بحث)، عيد بَلبَع، مجلة فصول، العـدد ٦٦ ربيـع ٢٠٠٥، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب.

• تداولية الخطاب السردي -دراسة تحليليَّة في وحـي القلـم للرافعـيِّ-، محمـد طلحـة، عـالم الكتـب الحديـث، أربـد- الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

• التداوليـة مـن أوسـتن إلى غوفـمان، فيليـب بلانشـيه، تـر: صابـر الحباشـة، دار الحـوار للنـشر والتوزيـع، سـورية -اللاذقيـة، ط١، ٢٠٠٧م.

• التراكيـب اللغويَّـة في العربيَّـة، دراسـة وصفيَّـة تطبيقيَّـة، د. هـادي نهـر، مطبعـة الإرشـاد، بغـداد بـد. ط، ١٩٧٦م.

• توجهـات تحليل الخطـاب في الثقافـة الغربيَّة (بحـث)، عمـر بلخـير، مجلـة فصـول، م (٢٥/ ١)، العـدد (٩٧)، خريـف ٢٠١٦م.

• الحجـاج في البلاغـة المعـاصرة، د. محمـد سـالم محمـد الأمـين الطلبـة، دار الكتـاب الجديـد المتحـدة، بـيروت - لبنـان، ط١، ٢٠٠٨م.

• الحجـاج في الشِّـعر العـربيّ بنيتـه وأسـاليبه، د. سـاميّة الدّريـدي، عـالم الكتـب الحديـث، إربـد - الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.

• الخصائـص، صنعـه، أبي الفتـح عثـمان بـن جنِّـي، بتحقيـق، محمـد عـليّ النجـار، دار الكتـب المصريَّـة بـد. ط، بـد. ت، ج١.

• شرح الـرضيّ عـلى الكافيـة، تصحيـح وتعليـق، يوسـف حسـن عمـر، منشـورات قـار يونـس بنغـازي، ط٢، ١٩٩٦م ج٢.

• العوامـل الحجاجيَّـة في اللغـة العربيّـة، د. عـز الديـن الناجـح، مكتبـة عـلاء الديـن صفاقـس -تونـس، ط١، ٢٠١١م.

• في أصـول الحـوار وتجديـد علـم الـكلام، د. طـه عبـد الرَّحمـن، المركـز الثقـافي العـربيِّ، بـيروت -لبنـان، الـدار البيضـاء - المغـرب، ط٢، ٢٠٠٠م.

• في البراجماتيَّة: الأفعال الإنجازيَّة في العربيَّة المعاصرة دراسة دلاليَّة ومعجم سياقيٍّ، د علي محمود حجيٍّ الصرّاف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

• في التحليل النقدي للخطاب، محيي الدين محسّب، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١ ٢٠١٩م -١٤٤٠هـ.

• الكتاب، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٦، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ج٣.

• لسان العرب، ابن منظور (٧١١ هـ)، دار المعارف، القاهرة، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، بد ط، بد ت.

• لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع المدينة الجديدة، تيزي وزو، بد. ط بد ت.

• اللغة والحجاج، د أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

• اللغة والفعل الكلاميِّ والاتصال، زيبيله كريمر، تر: د سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

• مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيميِّ، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط٢ ٢٠٠٦م

• مسرد التداوليَّة، د. مجيد الماشطة، أ، أمجد الركابي، الرضوان للنشر والتوزيع عمان ط١ ٢٠١٨م -١٤٣٩م.

• المظاهر اللغويّة للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللّسانيّة، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٤م.

• معجم مقاييس اللغة،لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق وضبط عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مادة (خطب)، ج٢.

• المقاربة التداوليَّة، فرانسواز أرمينكو، تر: سعد علوش، مركز الإنماء القومي،

الربـاط –المغـرب، ط١ ١٩٨٧م.
• منزلـة العواطـف في نظريـات الحجـاج، د. حاتـم عبيـد، عـالم الفكـر، العـدد ٢، المجلـد ٤٠ أكتوبـر ديسـمبر، ٢٠١١م.
• نظريَّة الأعمال اللغويَّة، شكري المبخوت، مسـكيلياني للنـشر والتوزيـع، زغـوان – تونـس ط١، ٢٠٠٨م.
• نظريـة الأفعـال الكلاميَّـة بـين فلاسـفة اللغـة المعاصريـن والبلاغيـين العـرب، طالـب السيِّد هاشـم الطبطبائيّ، مطبوعـات جامعـة الكويـت، الكويـت، ١٩٩٤م.
• النظريـة البراجماتيَّـة اللسـانيَّة (التداوليـة)، دراسـة المفاهيـم والنشـأة والمبـادئ، د. محمـود عكاشـة مكتبـة الآداب، القاهـرة، ط١، ٢٠١٣م
• نهـج البلاغـة، الإمـام أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب عليـه السَّـلام، جمـع واختيـار السـيِّد الشريـف الـرَّضي، ضبـط نصَّهـد. صبحـي الصالـح، دار الحديـث للطباعـة والنـشر، إيـران – قـم المقدَّسـة، لبنـان – بـيروت، ط٣ ١٤٢٦ق / ١٣٨٤ش: ٤٥٤ – ٤٥٩.
• الوظيفـة والبنيـة مقاربـات وظيفيَّـة لبعـض قضايـا التركيـب في اللغـة العربيَّـة، أحمـد المتـوكِّل مطابـع منشـورات عـكاظ، الرِّبـاط، ١٩٩٣م.

INAHJ.ORG

شهر رمضان كريم

قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

الصومُ عبادةٌ بينَ العبدِ وخالقِه، لا يَطَّلِعُ عليها غيرُه، وكذلك لا يُجازي عنها غيرُه

تصنيف نهج البلاغة: ٢٩٦ .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

الصيامُ أحَدُ الصِّحّتَين.

(شرح غرر الحكم ٢:٢٧)

INAHJ.ORG

عناصر الوعظ والحكمة في نهج البلاغة

Preach and wisdom in Nahjul -Balagha

د. السيد حميد الجزائري
د. محمد عشايري منفرد
مهدي الساري

Dr. alsayid Hamayd Aljazayiri

Dr. Muhamad Eashayriun Munfarid

Mahdi Alsaari

ملخص البحث

يدور البحث حول عناصر الوعظ والحكمة في نهج البلاغة، ويبرز فيه عنصران رئيسان، هما العاطفة والعقل، ويظهر في هذا البحث كيف وظّف أمير المؤمنين علي عليه السلام هذين العنصرين لاستمالة القلوب اللاهية والعقول النافرة إلى سعادتها في الدارين، ويأتي بعدها بعض العناصر الأخرى المتفرعة عنهما كدائرة الوعظ واستعمال الزمان بأقسامه الثلاث.

Abstract

The we search deals with Preach and wisdom in Nahjul -Balagha. Two elements that stand out in it are emotion and intellect, we cam see how Imam Ali (pb) uses these two elements to bring back hearts and minds to their happiness in this world and the hereafter. It also contains some other elements as using tenses.

المبحث الأول

بيان المفاهيم

المقدمة

أخذ الوعظ والحكمة مساحة واسعة من نهج البلاغة، بل هو أوسع الأغراض في الكتاب، وهذا الغرض الأدبي أو الموضوع فيه جملة من العناصر التي شكلت هيكلته، وقبل الخوض فيها لا بد من بيان بعض المفردات لغةً واصطلاحاً.

١- الوعظ لغة واصطلاحاً:

لغة: من الفعل الثلاثي: وَعَظَ والاسم: الموعظة وهو واعظ والجمع وُعَّاظْ.

يأتي الوعظ والموعظة والعظة لمعانٍ متعددة قريبة يمكن إرجاعها إلى معنى واحد أ- التخويف، ب-الزجر، ج- التذكير بالخير وما يرق له القلب ويلينه، د-النصح والتذكير بالعواقب، هـ- الأمر بالطاعة والوصية بها[١].

قال الفراهيدي: وعظ: العِظَةُ: الموعظة، وعَظْتُ الرّجلَ أَعِظُهُ عِظَةً وموعظة واتَّعَظَ: تقبّل العِظَةَ وهو تذكيرُك إيّاه الخيرَ ونحوَه مما يرقُّ له قلبُهُ[٢].

ويطلق الوعظ في الاصطلاح على الكلام الذي يلين له القلب، وينزجر به عن المعاصي، وما نهى الله عنه، ويكون بالترغيب أو بالتخويف، أو يستعمل فيه أسلوب الحياء، بغض النظر عن الترغيب بالجزاء الحسن والتخويف من العذاب[٣].

٢- الحكمة لغة واصطلاحاً:

الحِكْمَةُ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الأَشياء بِأَفْضَلِ الْعُلُومِ. وَيُقَالُ لِمَنْ يُحْسِنُ دَقَائِقَ الصِّناعات ويُتقنها: حَكِيمٌ، والحَكِيمُ يَجُوزُ أَن يَكُونَ بِمَعْنَى الحاكِمِ مِثْلَ قَدِير بِمَعْنَى قَادِرٍ وعَلِيمٍ بِمَعْنَى عالِمٍ والحُكْم الحِكْمَةُ مِنَ الْعِلْمِ، والحَكِيمُ العالِمِ وَصَاحِبُ الحِكْمَة. وَقَدْ حَكُمَ أَيْ صَارَ حَكِيماً)

قَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوْلَب:

وأَبْغِض بَغِيضَكَ بُغْضاً رُوَيْدا
إذا أَنتَ حاوَلْتَ أَن تَحْكُما

أَي إذا حاوَلتَ أَن تَكُونَ حَكِيماً. والحُكْمُ: العِلْمُ وَالْفِقْهُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٤].

٣- العُنْصُر لغة:

معناه الأصل[٥]، وورد في المعاجم المتأخرة ثلاثة معانٍ للمفردة: الأصل والحسب يقال فلان من العنصر الآري أو السامي، وفي الكيمياء مادة أولية لا يمكن تحليلها كيماوياً إلى ما هو أبسط منها، والمادة التي تدخل في تكوّن جسم وجمعه عَناصر[٦].

٤. النظرة الوعظية السليمة تجاه الحياة:

من مادة الوعظ الأساسية التزهيد في الدنيا وتبصير السامع والقارئ بأمرها وتنفيره عنها ومن خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في ذم الدنيا: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ- كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَ كَانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرا**»[٧].

كان وعظ الإمام (عليه السلام) متوازنا فلم يدع الناس إلى طرح الدنيا وتركها تركاً تاماً والانقطاع إلى العبادة والرهبنة، بل كان يحذر من الانخداع بالدنيا والركون إليها؛ لأن الغالب على الناس أنهم ينخدعون بها ويركنون إليها وينسون الآخرة، فالإمام (عليه السلام) إنما يقصد هؤلاء، وما كان (عليه السلام) ليدعو إلى نبذ حلال الله نبذاً تاماً،

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف، ٣٢].

وإنما كان في مواعظه وتوجيهه الفكري بوجه عام يدعو إلى مواجهة الحياة بواقعيّة وصدق، محذِّراً من اللّهاث المجنون وراء الآمال الخادعة والأحلام الكاذبة، الّتي ليس لها في واقع الحياة سند ولا أساس[٨].

المبحث الثاني
العناصر الرئيسة للوعظ والحكمة في نهج البلاغة

تمهيد:

إن المتتبع لخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) يجد هنالك جملة من العناصر الرئيسة والفرعية التي اعتمدها في الوعظ والحكمة، منها:

أولاً: الوجدان والعاطفة

وهو حالة شعورية تندفع من النفس بسبب انفعالها بحدث خارجيٍّ يراه أو كلامٍ يسمعه، وهي أهم عناصر الأدب، بل هي التي تميز بين الأدب عن غيره، إذ عبرها يظهر التفاعل بين الأديب وموضوعه.

١-أهمية الخطاب الوجداني العاطفي:

الخطاب الوجداني العاطفي هو أول لبنة في العمل الأدبي؛ لأنّه لو لم تنبعث مشاعر الأديب نحو شيء لما أبدع في التعبير عنه. فانبعاث الأديب العاطفي يبني نصّاً نثرياً أو شعرياً، ويسجل أدقَّ مشاعر الحياة وأعمقها، وبذلك يثير عاطفة المتلقي أيما إثارة.

ولما ذكرناه عدَّها بعض النقاد أساس الأدب، وبها يكون النصّ أدبيّاً وإذا خلا نصّ منها يُعدُّ نتاجاً علميّاً فقط[٩].

فمن نظر إلى العاطفة الصادقة في القصيدة الرثائية الشهيرة لأبي الحسن، علي بن جريج الرومي،

يرى العاطفة كيف صنعت نصّاً من روائع الأدب العربي بل الإنساني، قال يرثي ولده الأوسط:

لقد قلَّ بين المهْد واللَّحْد لُبْثُهُ
فلم ينْسَ عهْدَ المهْد إذ ضُمَّ في اللَّحْدِ
تَنَغَّصَ قَبْلَ الرِّيِّ ماءُ حَياتِهِ
وفُجّعَ منْه بالعُذُوبة والبَرْدِ
ألَحَّ عليه النَّزْفُ حتَّى أحالَهُ
إلى صُفْرَة الجاديِّ عن حُمْرَةِ الوَرْدِ
وظلَّ على الأيْدي تَساقط نَفْسُه
ويذوِي كما يذوي القَضِيبُ من الرَّنْدِ
فَيَالكِ من نَفْس تَسَاقَط أنْفُساً
تساقط درٍّ من نِظَام بلا عقدِ
عجبتُ لقلبي كيف لم ينفَطِرْ لهُ
ولوْ أنَّهُ أقْسى من الحجر الصَّلدِ[١٠]

٢-ركائز عنصر الخطاب الوجداني الوعظي:

يستند الوعظ الوجداني إلى ركيزتين:

أ- الركيزة الأولى: هي شفقة الإنسان على نفسه من الألم والعاقبة التي تلحقه جرّاء خروجه عن الطريق السويّ وعدم انتهاجه، والواعظ يأتي له بصورة ماثلة له، وكأنَّه يرى نفسه على شاشة من المستقبل، فيرى نفسه غرضاً لأحداث الدنيا من مرضٍ وحاجةٍ وانقطاعٍ إلى فراش موتٍ إلى مغتسلٍ إلى نعش إلى لحدٍ يطبق على جسده ونفسٍ تُحاسَبُ حساباً دقيقاً لا يمكن الفلتان منه وهذا النصّ مبني على هذه الركيزة.

ب- الركيزة الثانية: هي علاقة الإنسان بربّه وإثارة الشوق إلى محبوب لا يضاهيه محبوبٌ في رأفته ورحمته وفيضه وتفضّله عليه، فحينما يركز الواعظ على ذلك يلهب قلب المستمع ويدنيه من ربّه، فيجد نفسه في حالة إحساسية تسيل فيها دموعه خجلاً وحياءً وشوقاً إلى ساحة قدسه وقربه.

٣- الخطاب الوجداني في نهج

البلاغة:

يدور الخطاب الوجداني في نهج البلاغة بين واعظ وسامع، أما الواعظ فهو الذي يعيش حالة ما يعظ به تماماً في جميع سلوكه وآنائه فهو المشفق من العذاب والمرتجف في المحراب ليلاً، يلوذ بالله ويعوذ، وأما السامع فيمثّل له الواعظ صورة الوعظ صورةً حيّةً قائمة بين عذابٍ يخيفه وجنّة يهتزّ لها قلبه شوقاً.

قال عليه السلام: «سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ وَ ضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا وَآلَافاً فَافْتَرَقُوا وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَ صَمَّتْ دِيَارُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً وَبِالسَّمْعِ صَمَماً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ وَ أَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ»[11].

إنها صورة معبّرة عن الموتى الذين كانوا يعيشون الغفلة والغرور في الحياة الدنيا، فإذا هم صرعى في ظلمة الأرض ووحشة القبر، ويبين الإمام (عليه السلام) أحوالهم في هذه الخطبة وهي من الفصاحة وبلاغة الصورة والوصف وصدق العاطفة عند الواعظ بمكان، بل هي من مواضع السجود في الفصاحة، ومن قرأها وكان واقفاً على معانيها أثرت فيه أثراً بليغاً كما أخذت بمجامع قلب ابن أبي الحديد فقال: "وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به

لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، وأثرت في قلبي وجيباً وفي أعضائي رعدة، ولا تأملتها إلا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب ودي وخيلت في نفسي أني أنا ذلك الشخص الذي وصف (عليه السلام) حاله"[١٢].

ثانياً: العقل والاستدلال

١-أهمّية الخطاب العقلي:

العقل هو الأساس الذي امتاز به الإنسان عن بقية المخلوقات، فصار به مدركاً مميّزاً بين الحسن والقبيح والنفع والضرر، ومن دونه ما قامت الحياة كما هي الآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة، ١٦٤].

الآيات المذكورة من خلق السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار ومسير السفن الجارية على الماء مبحرة من قُطر إلى قُطر وهطول الغيث وحياة الأرض وانتشار الحياة فيها والرياح المصرّفة ولولاها ما قامت الحياة، كل تلك الآيات لأمرٍ عظيمٍ هو التعقّل، والتعقل هو تفعيل العقل للاتعاظ بتلك الآيات، ليسمع الإنسان ويطيع فيصل إلى الكمال والعبودية.

ويُعد الخطاب العقلي المنطلق الأول وأساس البنية الخطابية، بل إنّ الخطاب الوجداني من دون الاستناد إلى الخطاب العقلي المبرهن هو مجرد وهمٍ وتنميق ألفاظٍ، فالواعظ الحكيم لا بدّ له من الخطاب العقلي كما في هذا النص لأمير المؤمنين

(عليه السلام):

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ... ولَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ولَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ والْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ»[١٣].

بهذا الخطاب العقلي الاستدلالي يضع أساساً لبناء الخطبة الوعظي، فلو لم يكن هذا الأساس فلمَ الوعظ؟ ولماذا يعظ الواعظ؟.

إن الفكر والخطاب العقلي الاستدلالي هو محور الوعظ، فالتفكير في عظيم القدرة وجسامة النعمة من شأنه أن يُرجِع الإنسانَ عن غيّه، ويبعث الخوف والرهبة، ولكنّ المانع هو سقم القلوب ومرضها والبصيرة هي قوة الإدراك والفطنة والعلم والخبرة[١٤]، وبصيرة مدخولة أي معيوبة، من الدَّخَل بالتحريك وهو العيب والغشّ والفساد[١٥]، ففساد الخبرة والفطنة هو الحائل الثاني دون التفكير المحرّك الأساسي للرجوع إلى الصواب، وهنا يتجلى في بيان الإمام عليه السلام أهمّية الخطاب العقلي الاستدلالي.

٢- ركائز عنصر الخطاب العقلي الحكمي في نهج البلاغة:

للخطاب العقلي جملة من الركائز:

الركيزة الأولى: الفقر في الإنسان في كل وجوده، فهو العاري الذي يحتاج إلى كسوة، وهو الجائع المحتاج إلى طعام، وهو المشرّد المحتاج إلى مأوى، وهلمّ جرّا.

الركيزة الثانية: غنى الخالق، فالفقير في تمام وجوده يحتاج إلى الغنى المطلق الذي يخرجه من العوز إلى الاستغناء.

الركيزة الثالثة: الحقيقة الماثلة أمام عين الواعظ والموعوظ كسرعة انقضاء السنين والقرون وبقاء الآثار.

يقف الواعظ مبرهناً على هلاك السامع واضمحلاله، بمن كان أقوى منه وأطول عمراً، فهنا قياس المماثلة التامة أو قياس الأولوية كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. [الإسراء، ٢٣]. وقد نصّ عليه العلماء في تحريم الضرب قياساً إلى كلمة (أفّ) التي هي أهون من الضرب[١٦].

المبحث الثالث
العناصر الفرعية للوعظ والحكمة في نهج البلاغة

ذكرنا فيما سبق بعض العناصر الرئيسة في الوعظ والحكمة، وفي هذا المبحث نشير إلى بعض العناصر الفرعية في الوعظ والحكمة، وهي كما يلي:

١- الوعظ بحسب الزمان

للزمان دور بارز في مادة الوعظ ويأتي بالأقسام الثلاثة:

(١) الوعظ بالزمان الماضي:

من مادة الوعظ والحكمة استحضار الماضي والأمم السالفة وتجاربها الحسنة والسيئة، وخير كلام يبيّن أهمّية الماضي والتجارب المتقدمة هو كلام الله سبحانه، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم، ٩].

فقد حثّ الباري سبحانه على السير واكتشاف الماضي والتدبر فيما

آل إليه أمر السالفين مع شدّة قوتهم وعظمة آثارهم وتوسعة عمرانهم، ويجري هذا المجرى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الإمام الحسن عليه السلام، قال:

«لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ»...[17].

فإن العقل يحكم بالاكتفاء بتجربة تغنيك وأهل التجارب من الصالحين والطالحين أغنوك وكفوك عن ضياع العمر والوقت والفشل المحتمل، فبالوقوف على تجارب السالفين لا يضيع المستقبل ولا يقع اللاحق في فشل وتعب، ثم قال (عليه السلام): «فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ واسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ»[18]، بيّن أن أصحاب التجارب السالفة قبلك قد خاضوا غماراً مجهولةً فأظلم عليهم الأمر حينها ولكنك الآن ترى سبب الإظلام عليهم فتنتفع بشيء غاب عنهم، ثم قال (عليه السلام):

«إِنِّي وإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ونَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ»[19].

فالوقت محدود ولا يمكن أن يتسع حتى يجرّب الإنسان كل شيء، فكيف يوسّع دائرة الوقت لتستوعب تجارب كثيرة يحتاجها ولا سبيل إلى ذلك إلّا إذا نظر الإنسان في تجارب الماضين وبذلك يضيف إلى عمره أعمار الماضين كلهم، فأمير المؤمنين عليه السلام يقول كأنني أضفت أعمار الماضين إلى عمري بالنظر في أعمالهم والتفكير في أخبارهم الواصلة والسير في آثارهم، والنتيجة هي كما

قال (عليه السلام): «فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ونَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ».

فالوعظ بالماضي والحكمة المستخلصة منه جعلا صورة المستقبل مشرقة للمتّعظ، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نص آخر: «لَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ»... بعدما انتهى من التمهيد الوعظي بالقرون الخالية وما جرى على الناس الذين ظنوا أن الدنيا لا تصيبهم بشرّ، فرّع بفاء النتيجة وأعطى حكماً للمستقبل: «فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا ولَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا ولَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا»[٢٠].

تغدر بكم كما غدرت بمن قبلكم وتغرّكم كما غرّت السابقين وتخدعكم كما خدعت الأوائل وتعطيكم شيئاً، ولكنّها تمنع عن ابن آدم نفس الشيء أو تمنع عنه أشياء أخرى وتلبس الإنسان لباساً ثمّ تنزع عنه ذلك اللباس لا يستمر فيها الرخاء والراحة وتعبها لا ينتهي والبلاء فيها مستمر ما دام الإنسان فيها.

ومن اللافت للنظر أن الإمام (عليه السلام) استعمل في النتيجة المتفرعة على حال الأمم السالفة للعطاء والإكساء اسم فاعل (معطية، ملبسة)، وصيغة المبالغة فعّال وفعول في السلب والخديعة وانتزاع ما وهبت والجملة الفعلية الاستمرارية في البلاء وعدم الرخاء فوافقت الألفاظ المستعملة الغرض المراد.

(٢) الوعظ بالحاضر المحسوس:

يختلف الناس في التلقي، فبعض حيُّ القلب ذكيّ مستوعب وتحضر الصورة الوعظية عنده وإن جاء بها الواعظ من الماضي بألفاظ حاكية، وبعض آخر أقلّ استيعاباً للصورة

اللفظية الحاكية عن شيء غائبٍ فتكون الصورة الحاضرة المحسوسة له أجلى وأكثر إيضاحاً، فتارة يقول الواعظ: كان في الزمن الماضي شخص قويّ شديد البنية طاغٍ فاخترمه الموت وصار عبرة، وتارة أخرى يشير الواعظ إلى شخصٍ قد رآه الموعوظ وعايشه، فالموعظة مستمكنة منه؛ لأنّها ما تزال ماثلة في نفسه، قال (عليه السلام):

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ وإِنَّ الآخرة قَدْ أَقْبَلَتْ وأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ أَلَا وإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ وَ السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ أَ فَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ أَلا عامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ أَلا وإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ولَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وضَرَّهُ أَجَلُهُ أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ»[٢١].

في المثال المذكور من النهج يركز الإمام (عليه السلام) على صورةٍ محسوسةٍ ويخاطب السامع ويذكّره بإدبار الدنيا، فالمستمع يرى أيامه تمضي سراعاً وكل يوم يودّعه ولا يرجع إليه أبدا، وإدبار الدنيا بتصرّم العمر وهو واضح للجميع، حتى الغنيّ الموسر المنعّم في رغد العيش فالأيام المتصرمة تؤذن بالوداع الأخير، والنهاية لكل الأيام وما هي إلا أخوات ونظائر لبعضها ولكن هل نهاية الدنيا هي نهاية لكل شيء؟ أم أنها نهاية لبداية أخرى لا تنقطع؟ والجواب في قوله عليه السلام:

«أَلَا وإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ولَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ ومَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ

وضَرَّهُ أَجَلُهُ أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ»[٢٢].

نبّه بحرف التنبيه (ألا) وأكّد بحرف التأكيد (إنّ) ليلفت السامع إلى قوله المشير للحاضر المحسوس الآن «إِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ»، فأيام الأمل هي الحاضر الملموس المحسوس الذي يعيشه السامع، والأمل في كل جوانبها ولا يخفى، إن الأمل سلاح ذو حدّين، فمنه إيجابيٌّ وسلبيٌّ، رُوِيَ عَنِ الإمام الصادق عليه السلام في تصحيح هذا الأمر لما قد يظنّ بعض أن الدين ينفي الأمل من رأسه إلى قدمه، قال عليه السلام: «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً واعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدا ونِعْمَ الْعَوْنُ الدُّنْيَا على الْآخِرَةِ ولَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ولَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ»[٢٣].

فالأمل الإيجابيّ عند أهل البيت (عليهم السلام) هو ما يجعل الإنسان يستمرُّ في حياته ويكون عوناً له على آخرته حتى لا يستولي عليه اليأس فيؤدّي به إلى الكسل والجمود، فبالأمل الإيجابي قوام الحياة ولولاه لكانت ضيقة:

أعلّلُ النفسَ بالآمالِ أرقبُها
ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ[٢٤]

والأمل السلبيُّ هو ما يصرف الإنسان عن الآخرة ويأسر لبّه، فيظنّ أنّه خالد فيها والموت خلق لغيره، وهذا هو المقصود في بيان أمير المؤمنين (عليه السلام).

(٣) الوعظ بالمستقبل:

المستقبل هو شغل الإنسان الشاغل في الحياة ويجب أن يعرف ما يجري له ومن هذا ينطلق الواعظ الحكيم إلى استحضار المستقبل اليقيني الذي غفل عنه السامع، كما قال (عليه السلام):

«وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ

وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ...»[٢٥].

وعظ بالمستقبل سامعه المتطلع إلى معرفة المجهول الذي أمامه، ليخاف من المجاز الصعب وفصّل فيه بفواصل بليغة وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ، اعلموا: فعل أمر لحصول شيء في المستقبل، والمجاز إما مصدر ميميّ أو اسم لمكان الجواز، من جاز يجوز الموضع وبه سار فيه وقطعه[٢٦]، وكلمة مجاز: اسم (أنّ) وخبرها الجار والمجرور (على الصراط)، والبقية عطف على المجرور، إذن مسيركم ومروركم سيكون من مزالق الصراط وهي محل الزَّلَق يقال: زَلَقتْ تزلُق القدم زلقا زلت ولم تثبت[٢٧].

وهذه الصور المخيفة أراد بها أمير المؤمنين (عليه السلام) تفزيع القلوب عن الذنوب لتتقي قال: (اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ)، وهي غاية الواعظ الحكيم، ولكن أراد أيّ تقوى؟ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ، وهو ذو العقل أو ذو العقل الخالص[٢٨].

ثم بيّن عليه السلام من هو اللبيب ذو العقل الخالص الذي ينفعه التصوير المخيف عن أهوال الصراط هو من «شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ وأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ وتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ

وسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ولَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ».

التفكّر في أمر المستقبل المخيف شغل قلب اللبيب وصرفه عن كل صارفات الغرور التي تقعد به عن الآخرة، رأينا أن الصورة الوعظية المستقبلية كيف تصنع من الإنسان اللبيب متّعظاً اجتمعت فيه الخصال المنجية بعدما علمَ بالمخاطر والأهوال التي تنتظر الإنسان المنحرف فانبعثت فيه الهمّة واتقى تقيّة اللبيب العامل الذي جرت التقوى على جوارحه.

٢- الوعظ والحكمة بحسب الدائرة والموضوع:

(١) الأنفسي:

تتجلى علاقة الباطن بالظاهر، والداخل بالخارج، في عملية إصلاح الإنسان لنفسه وسلوكه بأداء ما كلفه الله من أوامر ونواهٍ، الذي سيكون باعثاً نفسياً لمنعه من المعاصي التي بدورها ستنعكس في أسلوب التعامل مع الآخرين وهذا ما يشير إليه الإمام (عليه السلام) في القصار من كلماته بقوله:

«مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاسِ ومَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ومَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظ»[٢٩].

فالقضية شرطية إذا تحقق الشرط وهو أن يكون للإنسان واعظ باطني، تحقق الجزاء وهو حفظ الله للإنسان من السقوط في مهاوي الانحراف.

ومن أجلى صور الوعظ النفسي ما ذكره الشريف الرضي، في قصار الحكم وحذف مقدمته من خبر ضرار بن ضمرة الكناني أو الضبابي وبعدما نذكر الحكمة من النهج نأتي بالخبر كاملاً لأنه يعطي صورة واضحة عنها قال الرضي:

"وَمِنْ خَبَرِ ضِرَارِ بْنِ حَمْزَةَ الضَّبَائِيِّ

عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَسْأَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٣٠].

فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ، والسدول هي الأستار[٣١]، والمقصود أن الليل أظلم قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، والقبض على اللّحية انّما يكون لمن يريد التّفكر و التّململ: التّحرّك، والسليم: الملدوغ من حيّة، ونحوها، سمّي بذلك تفاؤلاً، كما تسمّى الصّحراء بالمفازة[٣٢]، «وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ وَيَقُولُ: يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكِ عَنِّي أَبِي تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ لَا حَانَ حِينُكِ هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ وَ خَطَرُكِ يَسِيرٌ وَ أَمَلُكِ حَقِيرٌ آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَ طُولِ الطَّرِيقِ وَ بُعْدِ السَّفَرِ وَ عَظِيمِ الْمَوْرِدِ» وروي تشوّفتِ أي بدوتِ من علو وتزينتِ لي وتطلعتِ[٣٣]، أو تشوّقتِ أي اشتدّ شوقك لي ومؤداهما واحد.

(٢) الوعظ الفردي:

تارة يكون للواعظ الحكيم شخص ذو قرابة نسبية أو قرابة روحية، فيعتصر له الواعظ خلاصة الحياة ويعطيه خالص الحكمة وزبدة المخضّ بصورة وعظية شفهية أو مكتوبة، مع النظر إلى الآخرين، فيكون الخطاب ظاهراً متوجهاً للفرد وهو كذلك يرمي لوعظ الآخرين.

من شواهده وصية الإمام أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن (عليهما السلام)، كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين:

«مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ الْمُسْتَسْلِمِ [لِلدَّهْرِ الذَّامِ] لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضِ الْأَسْقَامِ وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ

وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ...»[٣٤].

فهنا يتوجه الإمام (عليه السلام) إلى الفرد المقصود وهو ولده الإمام الحسن (عليه السلام) بخطاب وعظي حكمي، في كل فقرة منه وقفة تأمّل.

ومن الواضح أن الإمام (عليه السلام) لا يقصد اتصاف الإمام الحسن (عليه السلام) بهذه الصفات على وجه المصداق الخارجي، بل هي موجهة للإمام ظاهراً، ويراد بها غيره من الناس، والمعنى يتعدى لغيره[٣٥].

قال بعد سرد صفات الموعوظ، المخاطب ظاهراً، إنّه لم يكن بصدد الانشغال بالناس الآخرين فله شغل بنفسه «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ وَإِقْبَالِ الآخرة إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ وَالِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي» إذ الدنيا مدبرة عنه وهو في آخر عمره، ومن كان في أيامه الأخيرة كانت الدنيا مدبرة عنه وجموح الدهر عتوّه، كأن الدهر فرس جامحة عاتية، والآخرة مقبلة: أي قريبة؛ لأنَّ عمره يوشك أن ينتهي، وفي كل هذا ما يصرف الإنسان عن الناس ويشغله بنفسه، غير أنّه وجد ولده بعضاً منه قال: "وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي"، فمثلما قال (عليه السلام) في صفة المؤمن: فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا[٣٦]، كذلك يهمّه أمر ولده.

(٣) الوعظ الاجتماعي:

إذا كان الإنسان مستقيم الطريقة بصيراً حكيماً شفيقاً ولا سيّما الإمام المعصوم، لا يمكنه أن يكون منعزلاً عن المجتمع فهو يحمل هموم الآخرين، قال تعالى في صفة

الرابحين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر ٣]، فالتواصي يندرج تحته الوعظ والإمام هو الواعظ والداعي إلى الله بإذنه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب، ٤٦].

هذه الصفات تحتّم على الإمام (عليه السلام) أن يسدي إلى المجتمع نصيحته ويعظهم وعظاً مرشداً هادياً، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَ أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الآخرة أَلَا وإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا أَلَا وَإِنَّ الآخرة قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخرة وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ [بِأُمِّهِ] بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَل»[٣٧].

(الحذّاء) السّريعة، ومن الناس من يروى جذّاء بالجيم والذال أي انقطع خيرها ودرّها و(الصّبابة) بضمّ الصّاد المهملة بقية الماء في الإناء و(الاصطباب) افتعال من الصّبّ وهو الإراقة[٣٨]، و(أبناء الآخرة، أبناء الدنيا) كل شيء عرف بشيء ونسب إليه فيقال هو ابنه، قال الكميت:

بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة
فنحن بنو الإسلام ندعى وننسب[٣٩]
وكل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة

قيل إن كل ولد يدعى يوم القيامة، منسوباً إلى أمه فيُدعى الكفار بأنهم أبناء الدنيا، ويُدعى المؤمنون بأنّهم أبناء الآخرة، وقيل الأمّ: الأصل والمأوى كقوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾

[القارعة، ٩]. أي مأواه، فقوله: سيلحق بأمه، أي بمأواه، وقيل: أم القوم رئيسهم أي كل امرئ سيلحق برئيسه[٤٠].

خاتمة البحث ونتيجته:

نستنتج مما مضى أربع نتائج:

١. للخطاب الوعظي الحكمي في نهج البلاغة عناصر رئيسة وفرعية.

٢. الخطاب الوجداني العاطفي والخطاب العقلي هما العنصران الرئيسان للوعظ والحكمة في نهج البلاغة، وهما بالغا الأهمية، ولا يمكن الاستغناء عن كل واحد منهما.

٣. يندرج تحت العنصرين الرئيسين عناصر الزمان الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، وبحسب مقتضى الحال يستعمل الواعظ كلًّا منهما.

٤. دائرة المخاطبين بالوعظ كذلك تنقسم إلى ثلاثة: النفس والشخص الواحد والمجتمع، والخطاب الوعظي لهم تارة يكون حقيقة وأخرى مجازاً، بمعنى أن يكون المتلقي شخصاً واحداً ويُراد به غيره.

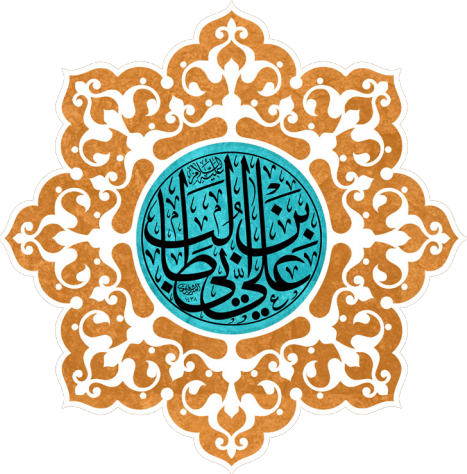

الهوامش:

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج٦ ص١٢٦.

(٢) الفراهيدي، الخليل، العين، ج٢ ص ٢٢٨.

(٣) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٢ ص ٤٣٨.

(٤) الأنصاري، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢ ص ١٤٠.

(٥) الزَّبيدي محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٣، ص١٥٢.

(٦) لجنة، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٣١.

(٧) الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة، ص ١٦٤.

(٨) شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، ص ٤٨.

(٩) أمين، أحمد، النقد الأدبي، ص ٢٩-٣٠.

(١٠) ابن الرومي، علي، الديوان، ج٢ ص ١٤٦.

(١١) الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(١٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص ١٥٣-١٥٤.

(١٣) الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة ص٢٧٠ص-٢٧١.

(١٤) لجنة، المعجم الوسيط، ج١ ص ٥٩.

(١٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٣، ص٢٧.

(١٦) الخوئي، أبو القاسم، موسوعة الامام الخوئي، ج١٣ ص٥١.

(١٧) الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٢٠) المصدر نفسه ، ص٣٥٢.

(٢١) المصدر نفسه ، ص٧١.

(٢٢) المصدر نفسه ، ص٧١.

(٢٣) ابن بابويه، محمد، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٥٦.

(٢٤) الطغرائي، الحسين بن علي، الديوان، ص٣٠٦.

(٢٥) الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة، ص١١٢-١١١.

(٢٦) لجنة، المعجم الوسيط، ج١ ص١٤٦.

(٢٧) المصدر نفسه ، ج١ ص٣٩٨.

(٢٨) المصدر نفسه، ج٢ ص٨١١.

(٢٩) الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة، ص٤٨٣.

(٣٠) المصدر نفسه ،٤٨٠-٤٨١.

(٣١) لجنة، المعجم الوسيط، ج١ ص٤٢٤.

(٣٢) الشيرازي، محمد، توضيح نهج البلاغة، ج ٤ ص٣٠٠.

(٣٣) لجنة، المعجم الوسيط، ج١ ص٥٠٠.

(٣٤) الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة، ص٣٩١-٣٩٢.

(٣٥) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، ١٦، ص٥٣.

(٣٦) الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة، ص٣٩١-٣٩٢.

(٣٧) المصدر نفسه، ص٨٣-٨٤.

(٣٨) الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٩٩.

(٣٩) الأسدي، الكميت، الديوان ص ٥٢٥.

(٤٠) البيهقي الكيذري، قطب الدين، حدائق الحقائ في شرح نهج البلاغة ج ١، صفحة ٢٨٧.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، كتاب الله المنزل على نبيه المرسل.

١. إبراهيم مصطفى -أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، الناشر: دار الدعوة، تركيا، ت ط: ١٤١٠- ١٩٨٩.

٢. ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، الطبعة ١، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.

٣. ابن الرومي، علي، الديوان، الناشر: دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، لبنان، ت ط: ٢٠٠٣م.

٤. ابن بابويه، محمد، من لا يحضره الفقيه، الطبعة ٢، محقق ومصحح: علي أكبر غفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ت ط: ١٤١٣.

٥. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ت ط: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦. الأسدي، الكميت، الديوان، شرح وتحقيق: محمد نبيل طريفي، الطبعة ١، الناشر: دار صادر، بيروت، ت ط: ٢٠٠٠.

٧. أمين، أحمد، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ت ط: ٢٠١٢م.

٨. الأنصاري، ابن منظور، لسان العرب، الطبعة ٣، الناشر: دار صادر، بيروت، ت ط: ١٤١٤ هـ.

٩. البيهقي الكيذري، قطب الدين، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، تصحيح: عزيز الله عطاردي، الناشر: مؤسسة نهج البلاغة، نشر عطارد، ت ط: ١٣٧٥ هـ ش.

١٠. الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، المحقق: جماعة، الطبعة ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ت ط: ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١١. الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة٤،

تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، ت ط: ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

١٢. الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الطبعة ٤، المكتبة الإسلامية، طهران، ت ط:١٣٢٤ هـ ق.

١٣. الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة، تحقيق وتدقيق: صبحي صالح، الطبعة ١، قم، ت ط: ١٤١٤ هـ.

١٤. شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، الطبعة ٤، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ت ط: ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

١٥. الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. ت ط: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٦. الشيرازي، محمد، توضيح نهج البلاغة، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة، لبنان- حارة حريك، ت ط: ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م.

١٧. الطغرائي، الحسين بن علي، الديوان، الطبعة الثانية، الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، تحقيق جواد العلي ـ يحيى الجبوري، ت ط: ١٩٨٦.

١٨. الفراهيدي، الخليل، العين، التحقيق والترتيب: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ت ط: ٢٠٠٣م.

١٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الطبعة ٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي، مكان الطبع: بيروت، ت ط: ١٤٠٣ هـ.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام)

عبادَ اللّه، إنّ أفضلَ ما تَوسَّلَ به المتوسِّلون إلى اللّه جَلّ ذكرُه... صَومُ شهر رمضان؛ فإنّه جُنّةٌ حصينة

(بحار ٧٧: ٢٩٠. الجُنّة: ما يقي الإنسان ويحميه)

INAHJ.ORG

الأثرُ الفِكرِيُّ وَالسُّلُوكِيِّ لِلإِمَامِ عَلِيٍّ (عَلَيهِ السَّلَامُ) فِي الحِفَاظِ عَلَى هُوِّيَّةِ المُجتَمَعِ الإِسلَامِيِّ

The intellectual and behavioral impact of Imam Ali (peace be upon him) in preserving the identity of the Islamic community

الأستاذ الاوّل المتمرّس

صَاحِب مُحَمَّد حُسَين نَصّار

Experienced Senior Professor

Sahib Muhammad Husayn Nassar

ملخص البحث

سارت سياسة الإمام علي (عليه السلام) الفكرية والسلوكية في اتجاه الحفاظ على هوية المجتمع الإسلامي، واتخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) إجراءات وقرارات في ذلك، مما جعل سياسته (عليه السلام) الأولى من تلكم السياسات التي توالت على الأمة الإسلامية وغيرها، مما دفع العالم إلى الاحتفاء بهذه الشخصية المتميزة والنظر إلى ما قدمته من علوم تنفع الإنسانية جمعاء، على المستويات المختلفة، السياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها، والإفادة منها بما يكون قدوة وأسوة.

Abstract

Imam Ali behavioral and intellectual policy based on preservation of the Islamic Society identity by taking action and decision and that's why it's the best policy for the Islamic nation. It is for this reason that the world celebrates this great character, and consider his sciences on various levels.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الرسول الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

امتازت سياسة الإمام علي (عليه السلام) الفكرية والسلوكية في الحفاظ على هوية المجتمع الإسلامي بعدد من المميزات جعلتها الأولى من تلكم السياسات التي توالت على الأمة الإسلامية وغيرها مما حدا بالواقع أن يحتفي بهذه الشخصية المتميزة والنظر إليها والإفادة منها بما يكون قدوة وأسوة.

ومن هنا، فقد وقع الاختيار على كون موضوع الدراسة هو (الأثر الفكري والسلوكي للإمام علي (عليه السلام) في الحفاظ على هوية المجتمع الإسلامي) لما لها من مضامين وآليات وطرق في قيادة الأمة وصيرورتها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

وقد انتظم البحث عن ذلك ضمن مقدّمة وبحث تمهيدي ومطالب ثلاثة وخاتمة لأهم النتائج التي توصل لها الباحث وأخيرًا قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة.

فالمقدّمة اشتملت على بيان أهميّة الموضوع وسبب اختياره والأطر العامة لمنهجيّة الباحث في بحثه، والبحث التمهيدي يبين شخصية أمير المؤمنين (عليه السلام)، والمطلب الأول المعنون (الأثر الفكري للإمام علي (عليه السلام) في حماية المجتمع) تناول السياسة المالية والداخلية وتربية الأمة والدعوة إلى توحيد صفوف الأمة.

وكان المطلب الثاني (الأثر الفكري للإمام علي (عليه السلام) في الاستقرار السياسي المجتمعي) باحثًا عن أهم الخطوات التي

اتبعها الإمام علي (عليه السلام) في بلورة استقرار الأمة متمثلًا باستقرار الكوفة وطبيعة معالجة الخليط البشري المتواجد فيها مضافًا لمعالجة العوامل الداخلية والخارجية والقيمية التي تحيط بحكومته (عليه السلام).

أما المطلب الثالث فقد تناول (الأثر السلوكي الواقعي للإمام علي (عليه السلام) في الحفاظ على هوية المجتمع الإسلامي).

وكانت الخاتمة مُستعرضة لأهم النتائج التي توصل لها البحث وأفرزتها معايير البحث العلمي، وأخيرًا مبينًا أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

التمهيد:

منذ بداية خلق البشرية وتكوّن أول مجتمع إنساني توالت الحكومات على وجه الأرض وقد كان الإنسان دائمًا ينادي بالحكومة العادلة التي تنصف أبناء شعبها بحمايته والحفاظ على هويته، وتحققت هذه العدالة في عدد من الحُقب الزمنية كما في زمن النبيين داوود وسليمان (عليهما السلام) وكذا في عهد تولي نبي الله يوسف (عليه السلام) للوزارةِ الفرعونية.

وقد حاول الفلاسفة منذ بداية التفكير الفلسفي للإنسان أن يستنبطوا قواعد وتوجهات تحدد شكل الأفكار والسلوكيات التي تنهض بمسؤولياتها لخدمة الجميع، ولعل أشهر الأمثلة على ذلك أفلاطون في جمهوريته حين نادى بأنّ العدل في الأحكام وتقدم الشعوب لا يمكن أن يحدث إلَّا في مجتمع يَحكمهُ الفلاسفة الذين هم نُخَبة المجتمع ولأنهم يتميزون بالحكمة والتفكير العميق من دون غيرهم من شرائح المجتمع.

وكذلك الفارابي الفيلسوف الإسلامي حين نادى بذلك عبرَ

دولته الفاضلة، وتعد شخصية الإمام علي (عليه السلام) بمسؤوليتها الفكرية وسلوكها العملي خير مثال لقيام حكومة الله في الأرض حيث تطابق في حكمه القول مع الفعل فيقول (عليه السلام) في بعض كلماته: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ وَلا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ وَلا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ وَلا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ»[٢].

وكذلك قوله (عليه السلام): «واللهِ جَعَلَني إماما لِخَلقِهِ فَفَرَضَ عَلَيَّ التَّقديرَ في نَفسي ومَطعَمي ومَشرَبي ومَلبَسي كَضُعَفاءِ النّاسِ كَي يَقتَدِيَ الفَقيرُ بِفَقري ولا يُطغِيَ الغَنِيَّ بغِناه»[٣].

وحتى في تعامله مع أعدائه ففي معركة صفين رفض أن يقطع الماء عن جيش معاوية ويعاملهم بالمثل فقال مولانا (عليه السلام): «لا وَاللهِ لا أُكافِئُهُم بِمِثلِ فِعلِهِم»[*] نجد في زمن حكم الإمام في حالات إعلان الطوارئ لا نرى اعتقالات عشوائية ولا أحكام عرفية ولا تفتيش مفاجئ ومداهمات للبيوت وكذلك لم يتبع الإمام أسلوب التقييد والإقامة الجبرية حتى مع أعدائه.

أما السياسة الإعلامية لحكومته فيقول الإمام (عليه السلام): «وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْاِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ»[٤].

على وفق هذا الخطاب أمكن للإمام (عليه السلام) أن يؤسس أهم المبادئ الواقعية لحقوق المجتمع وحماية هويته في خطاب الإعلام

الإسلامي في الدولة التي حكمها مدة أربع سنوات وأهم هذه المبادئ مكاشفة الأمة بما يدور في أروقة القرار السياسي الإسلامي ومصارحة الطبقات الشعبية جميعها بما يجول في خاطر القيادات من أهداف وطموحات تتصل بالإمامة.

وقد اهتم الإمام (عليه السلام) بتنظيم الشؤون الداخلية للدولة فقد أسس نظام الشّرَطة لحماية المجتمع الإنساني من الظلم والجور على أفراده وعَيّن أول رئيس للشّرَطة، وأهم المبادئ السياسية المتعلقة بالشؤون الداخلية التي كانت متبعة في عهده المساواة في العطاء والمساواة أمام القانون والمساواة في الحقوق والواجبات.

وأقام (عليه السلام) في زمن حكمه نظام (التكافل) أو ما يسمى بـ(الضمان الاجتماعي) فقد كان يرعى ويهتم بنفسه بالأيتام والأرامل والمسنين والعجزة ولا ننسى قصته مع الشيخ الكبير الذي كان يرعاه ويطعمه بيده الكريمة وهذا يُعد القمة في الحفاظ على هوية المجتمع الإسلامي.

وضَمِنَ هذا النظام الحياة الكريمة للجميع على حد سواء لا فرق بين المسلم وغيره والشاهد على ذلك حين رأى شيخا كبيرًا مكفوف البصر يستعطي في الأسواق. وحين سأل من هذا؟ قيل له إنّه نصراني فأنكر عليهم هذا القول وأمر أن يجرى له نصيب من بيت مال المسلمين.

وأيضًا إصلاحاته القضائية فقد كان القضاء في تلك الحقبة يتمتع بالعدالة والحرية في إصدار الأحكام ولا يخضع لأي ضغوطات.

وكان المجتمع الإنساني بكافة شرائحه يتمتع بحرية في مختلف النواحي مثل الحرية في القول وحرية النقد حتى أنظمة السجون

فقد وضع نظاما مميزا لم يشهد له تاريخ الحكومات والدول مثيل، إذ صنف السجون إلى طبقات يسجن فيها المجرمون كل حسب جنايته وغير ذلك من الإنجازات الكثيرة التي تحتاج إلى موسوعات للبحث والدراسة في تلك الحقبة.

فخلافة الإمام علي (عليه السلام) كانت حافلة بكثير من الإنجازات بالرغم من عمرها القصير وكانت مثالًا للعدل الإلهي في الأرض في الحفاظ على الحقوق ونحن اليوم في القرن الواحد والعشرين بأمس الحاجة لمثل هذه القيادات لما تعانيه شعوب العالم لاسيما الشعوب الإسلامية من ظلم واضطهاد.

وسأحاول في هذه العجالة الإشارة إلى أثر فكر الإمام (عليه السلام) وسلوكه في تأسيس الحضارة الإسلامية وتشييدها عبر بلورة هوية أفراد المجتمع، ومثلما يلي:

المطلب الأوّل: الأثر الفكري للإمام علي (عليه السلام) في حماية المجتمع

أولًا: السياسة المالية وحقوق الأفراد

كانت السياسة المالية التي انتهجها الإمام (عليه السلام) امتداد لسياسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي عنى بتطوير الحياة الاقتصادية، وإنعاش الحياة العامة في جميع أنحاء البلاد، حتى لم يبق فقير أو بائس أو محتاج، وذلك بتوزيع ثروات الأمة توزيعًا عادلًا على الجميع.

ومن مظاهر هذه السياسة هي:

١. المساواة في التوزيع والعطاء:

فليس لأحد على أحد فضل أو امتياز، وإنما الجميع على حدٍّ سواء، فلا فضل للمهاجرين على الأنصار، ولا لأسرة النبي (صلى الله عليه وآله) وأزواجه على غيرهم، ولا للعربي على غيره.

وقد أثارت هذه العدالة في التوزيع غضب الرأسماليين من القرشيين وغيرهم، فأعلنوا سخطهم على الإمام (عليه السلام)، وقد خفت إليه جموع من أصحابه تطالبه بالعدول عن سياسته فأجابهم الإمام (عليه السلام): «لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ، أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ»(٥).

فكان الإمام (عليه السلام) يهدف في سياسته المالية إلى إيجاد مجتمع لا تطغى فيه الرأسمالية، ولا تحدث فيه الأزمات الاقتصادية، ولا يواجه المجتمع أي حِرمان أو ضيق في حياته المعاشية.

وقد أدت هذه السياسة المشرقة المستمدة من واقع الإسلام وهَدْيِهِ إلى إجماع القوى الباغية على الإسلام أن تعمل جاهدة على إشاعة الفوضى والاضطراب في البلاد، مستهدفة بذلك الإطاحة بحكومة الإمام (عليه السلام).

٢. الإنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية:

إنشاء المشاريع الزراعية، والعمل على زيادة الإنتاج الزراعي الذي كان من أصول الاقتصاد العام في تلك العصور.

وقد أكد الإمام (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر على رعاية إصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها.

فيقول (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلً»(٦).

لقد كان أهم ما يعني به الإمام

(عليه السلام) لزوم الإنفاق على تطوير الاقتصاد العام، حتى لا يبقى أي شبح للفقر والحرمان في البلاد.

٣. عدم الاستئثار بأي شيء من أموال الدولة:

فقد تحرج الإمام (عليه السلام) فيها كأشد ما يكون التحرّج، وقد أثبتت المصادر الإسلامية كون العاقل يحتاط لنفسه ودينه، فقد وفد عليه أخوه عقيل طالبًا منه أن يمنحه الصلة ويُرَفّهُ عليه حياته المعاشية، فأخبره الإمام (عليه السلام) أن ما في بيت المال للمسلمين، وليس له أن يأخذ منه قليلًا ولا كثيرًا، وإذا منحه شيء فإنه يكون مختلسًا.

وعلى أي حال فإنّ السياسة الاقتصادية التي تَبنّاها الإمام (عليه السلام) قد ثقلت على القوى المنحرفة عن الإسلام، فانصرفوا عن الإمام وأهل بيته (عليهم السلام)، والتحقوا بالمعسكر الأموي الذي يضمن لهم الاستغلال، والنهب، وسلب قوت الشعب، والتلاعب باقتصاد البلاد.

ثانيًا: السياسة الداخلية وحماية المجتمع من الاعتداء على حقوقه.

عنى الإمام (عليه السلام) بإزالة جميع أسباب التخلف والانحطاط، وتحقيق حياة كريمة يجد فيها الإنسان جميع متطلبات حياته، من الأمن والرخاء والاستقرار، ونشير فيما يأتي إلى بعض مظاهرها:

١- المساواة: وتجسّدت بـ:

أ- المساواة في الحقوق والواجبات.

ب- المساواة في العطاء.

ج- المساواة أمام القانون.

وقد ألزم الإمام (عليه السلام) عُمّاله وَوُلاته بتطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قوميّاتهم وأديانهم، فيقول (عليه السلام) في بعض رسائله إلى عماله: «**وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ،**

وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ»[٧].

٢. الحرية في منح الحقوق الذاتية لكل الأفراد من دون تميز:

يجب أن تتوفر للجميع، شريطة أن لا تستغلّ في الاعتداء والإضرار بالناس، وكان من أبرز معالمها هي الحُرّية السياسية، ونعني بها أن تُتَاح للناس الحرية التامة في اعتناق أي مذهب سياسي من دون أن تفرض عليهم السلطة رأيا معاكسًا لما يذهبون إليه، وقد منح الإمام (عليه السلام) هذه الحرية بأرحب مفاهيمها للناس، وقد منحها لأعدائه وخصومه الذين تخلفوا عن بيعته فلم يجبرهم الإمام (عليه السلام)، ولم يتخذ معهم أي إجراء حاسم كما اتخذه أبو بكر ضده حينما تَخلّف عن بيعته، فكان الإمام (عليه السلام) يرى أن الناس أحرار، ويجب على الدولة أن توفر لهم حريتهم ما دام لم يخلّوا بالأمن، ولم يعلنوا التمرد والخروج على الحكم القائم، وقد منح (عليه السلام) الحرية للخوارج، ولم يحرمهم عطاءهم مع العلم أنهم كانوا يشكلون أقوى حزب معارض لحكومته، فلما سَعوا في الأرض فسادًا، وأذاعوا الذعر والخوف بين الناس انبرى إلى قتالهم حفظًا للنظام العام، وحفاظًا على سلامة الشعب.

ثالثًا: الدعوة إلى وحدة الأمة لحماية حقوقها

جهد الإمام كأكثر ما يكون الجهد والعناء على العمل على توحيد صفوف الأمة ونشر الأُلفة والمحبة بين أبنائها، وعدَّ الإمام علي (عليه السلام) الأُلفة الإسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة فيقول (عليه السلام): «إِنَّ اللهَ سُبحانَهُ قَدِ امتَنَّ عَلى جَماعَةِ هذِهِ الأُمَّةِ فيما عَقَدَ

بَينَهُم مِن حَبلِ هذِهِ الألفَةِ الَّتي يَنتَقِلونَ في ظِلِّها، ويَأوونَ إلى كَنَفِها، بِنِعمَةٍ لا يَعرِفُ أحَدٌ مِنَ المَخلوقينَ لَها قيمَةً، لِأَنَّها أرجَحُ مِن كُلِّ ثَمَنٍ، وأجَلُّ مِن كُلِّ خَطَرٍ»[٨].

فقد عنى الإمام (عليه السلام) بوحدة الأمة، وتبنّي جميع الأسباب التي تؤدي إلى تماسكها واجتماع كلمتها، وقد حافظ على هذه الوحدة في جميع أدوار حياته، إذ ترك حَقّه وسَالَمَ الخلفاء صِيانة للأمة من الفرقة والاختلاف.

رابعًا: تربية الأمة في رعاية أفرادها وتماسكهم

لم يعهد عن أحد من الخلفاء أنّه عنى بالناحية التربوية أو بشؤون التعليم كالإمام (عليه السلام) وإنما عنوا بالشؤون العسكرية، وعمليات الحروب، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، وبسط نفوذها على أنحاء العالم.

وقد أولى أمير المؤمنين (عليه السلام) عناية كبيرة بهذا الأمر، فاتخذ جامع الكوفة معهدًا يلقي فيه محاضراته الدينية والتوجيهية.

وكان (عليه السلام) يشغل أكثر أوقاته بالدعوة إلى الله، وإظهار فلسفة التوحيد، وبَثّ الآداب والأخلاق الإسلامية مستهدفا من ذلك نشر الوعي الديني، وخلق جيل يؤمن بالله إيمانا عقائديًّا لا تقليديًّا.

فقد كان الإمام (عليه السلام) المؤسس الأعلى للعلوم والمعارف في دنيا الإسلام، وقد بذل جميع جهوده على إشاعة العلم ونشر الآداب والثقافة بين المسلمين، وكان دومًا يذيع بين أصحابه قوله: «سَلوني قَبلَ أن تفقدوني، سَلوني عن طُرق السَّماء، فإني أبصَرُ بها من طُرُق الأرض»[٩].

المطلب الثاني: الأثر الفكري للإمام علي (عليه السلام) في الاستقرار السياسي المجتمعي

قدمت حكومة الإمام علي (عليه السلام) أنموذجًا في الحكم والإدارة لم يشهد له التاريخ مثيلًا، إلا في عهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فقد كانت تجربته (عليه السلام)، مليئة بالدروس والعبر على الرغم من قصر مدتها، ذلك أنها دخلت في مخاض عسير، وفي تجارب جمّة، لم تتوفر لأية حكومة أو لأي كيان سياسي عبر تاريخ الحكومات والدول في العالم، فأصبحت هذه التجربة الفريدة من نوعها تمّد الباحثين الإسلاميين بل وغير الإسلاميين بالدروس والعبر الكثيرة في فن الإدارة والتعامل مع الأزمات.

وقبل أن نتناول هذا الموضوع نشير إلى تعريف مصطلح «عدم الاستقرار» في المفهوم السياسي، ولا نعني بالاستقرار، هو عدم وجود المشاكل والأزمات في حكومة ما، بل الاستقرار يعني مواجهة الحد الأقصى للحوادث والأزمات، مع قدرة الحفاظ على الكيان السياسي، والاستمرارية في الحكم، وعدم تزلزل أركان النظام السياسي للدولة في أي حال من الأحوال.

أما «عدم الاستقرار» فيعني عكس ذلك تمامًا، أي إن الحكومة غير المستقرة، هي الحكومة التي تنهار أمام الحوادث والأزمات وتفقد قدرة استعادة السيطرة على الوضع وهي على ما يلي:

أوّلًا: أسباب عدم الاستقرار في المجتمع الكوفي

كان الإمام عليه السلام (عليه السلام) يعتمد اعتمادًا كليًا على أفراد رعيته، وكان يعدهم الذراع الأيمن لحكومته، فكان يقول لهم: **«اني انتخبت الكوفة مركزًا للخلافة لعلمي بولائكم ومحبتكم للنبي صلى الله عليه وآله..»**، لكن لم يستمر هذا الولاء من قبل أهل الكوفة، بل

انقلب إلى فتن وحروب، ولم تكن الكوفة وحدها تختص بولائها للإمام (عليه السلام)، بل امتد ذلك إلى سائر البلدان. وقبل أن نتطرق إلى عوامل عدم الاستقرار في حكومة الإمام علي (عليه السلام)، يجب أن نُنبّه إلى أنّ هناك عدة عوامل أخرى، وأكثر من أرضيّة واحدة لعدم الاستقرار آنذاك، ولكن الأمر الملفت للانتباه هو اجتماع هذه العوامل مع بعضها وتأثيرها المضاعف في الأمن والاستقرار.

أما بالنسبة لهذه المؤثرات والأسباب فتنقسم إلى داخلية وخارجية وهي على ما يلي:

١. الأسباب الداخلية:

هي التي نشأت من داخل المجتمع جراء أسباب كثيرة فكانت هي من أبرز بواعث عدم الاستقرار، مثل التركيبة النفسيّة والاجتماعية والاتجاه المادي والنزعة المادّية السائدة آنذاك، ففي المجال الإداري كان الإمام يفقد كثيرًا من الكادر الإداري الأمين الذي من الممكن أن يعتمد عليه، لأن الاتجاهات والوجوه البارزة إبان خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) وما بعدها شابها التغيير في الرؤى والمصالح، فتحولت من تمثيل المبادئ إلى تمثيل المصالح المادية والدنيويّة والتكالب على السلطة.

ومن جانب آخر فإن الحقبة التي سبقت خلافة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبالذات في الأيام الأخيرة لعثمان، تركت آثارها السلبيّة في المجتمع الإسلامي، فخلقت الفتن بأنواعها كافة، وعملت على إيجاد الانقسام بين المسلمين. فالسياسات القمعية والتعسفية التي اتبعها ضد أصحاب النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وضد سائر المسلمين في الأمصار، والاستئثار بأموال المسلمين للمصالح الشخصيّة

والأسرية، وتنصيب الولاة غير الجديرين، وغيرها، كانت من أهم تلكم العوامل الداخلية.

ومن جانب آخر فإن نزوح المعارضة إلى مركز الخلافة وإجماعهم على قتل عثمان بدون وجود أي مقاومة تذكر، هو بحد ذاته يشكل دليلًا صارخًا على وجود الانحراف في خلافة عثمان، فكان مقتله قضيّة أخرى ومؤشرًا لتفاقم الوضع. ففي مثل هذه الظروف تسلّم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، زمام الخلافة الإسلاميّة، فهو (عليه السلام) كان يواجه مخلفات الوضع القديم، ومتطلبات الوضع الجديد، على أكثر من صعيد وفي أكثر من مجال داخل حكومته.

٢. الأسباب الخارجيّة:

نقصد بها، موجات الحروب والفتن التي تمثلت بحروب الفئات الثلاث وتآمرها ضد أمير المؤمنين (عليه السلام)، أعني القاسطين والمارقين والناكثين، واجتماع الطامعين والمنحرفين والمغرر بهم ضد الإمام وشنِّهم الحروب ضد حكومته الفتيّة، فكان الإمام لا يرى منفذًا إلاّ الدفاع وقتال هؤلاء، مع قلّة إمكانياته في العدّة والعدد، ومع فقدان روح الدفاع والقتال لدى جيشه. فهو يقول (عليه السلام): «**فَأَنتُم عِبادُ اللهّ، وَالمالُ مالُ الله يُقسَمُ بَينكُم بِالسَّوِيَّةِ لا فَضلَ فيهِ لِأَحَدٍ عَلى أَحَدٍ، ولِلمُتَّقينَ عِندَ الله غَدا أحسَنُ الجَزاءِ وأفضَلُ الثَّوابِ، لَم يَجعَلِ الله الدُّنيا لِلمُتَّقينَ أجرا ولا ثَوابا، فَإِنَّ عِندَنا مالًا نَقسِمُهُ فيكُم ولا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنكُم عَربِيٌّ ولا أَعجَمِيٌّ...**»[١٠].

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في هذا المجال: كان هذا الكلام يغضب المعارضين ويزرع في قلوبهم الضغائن والأحقاد تجاه الإمام أمير المؤمنين وبالنسبة لحالة الانسجام في صفوف

جيش الإمام (عليه السلام)، فقد ورد: إن أهل الكوفة ذهبوا مع الإمام إلى «صفين» أخوة منسجمين في نصرته (عليه السلام) ولما عادوا تحولوا إلى أعداء لدودين.

ثانيًا: العوامل القيميّة في بناء الفكر الإنساني لضمان حقوقه

كانت نظرة الإمام أمير المؤمنين (سلام الله عليه)، إلى المفاهيم السياسية نظرة قيمية، فهو على خلاف بقية الحكام والسلاطين، يجعل السياسة في خدمة الدين، وليس العكس ومن هذا المنطق، لم يستعن الإمام في تسيير شؤون حكمه وإدارته السياسية بأساليب المكر والخداع، كما كان يفعل الآخرون الذين يمكرون ويخدعون وينقضون العهد والميثاق، فكان واضحًا عدم تنازل الإمام عن مبادئه وقيمه في سبيل تحقيق الاستقرار لحكمه، إذن فإنّ السياسة والحكم ليسا هدفًا عند الإمام (عليه السلام)، بمقدار ما هما وسيلة للوصول إلى رضوان الله تعالى، فعلى سبيل المثال، عندما تولى الإمام الخلافة، بادر إلى عزل معاوية من بلاد الشام، في حين أشار إليه بعض وجوه القوم، أن يؤخر هذا القرار إلى حين، حتى تستقر حكومته ويأخذ بزمام الأمور جيدًا، وبعد ذاك بإمكانه عزله بمنتهى الهدوء وتفاديًا للأزمة، ولكن الإمام أبى أن يبقي معاوية يمثل الدولة الإسلامية ووالياً يتحمل مسؤوليته يومًا واحدًا.

وفي قضيّة أخرى أحسّ الإمام برائحة التآمر من جانب طلحة والزبير، فعندما أرادا أن يغادرا الكوفة قالا نريد الذهاب إلى العمرة، فقال لهم الإمام (عليه السلام) «إنما تريدان الغدرة».

هذا التعامل لا يجدي في عالم السياسة، فالساسة والحكام يقضون على معارضيهم بمجرد الظن،

فهم يمارسون العقوبة قبل وقوع الجريمة، فهذا معاوية يقول لشرطته: «خذوهم بالظنّة واقتلوهم بالتهمة»! فكانت تلك الأسس والمبادئ القيميّة والأخلاقية، والالتزام بها، تشكل مانعًا أمام تحقق الاستقرار السياسي بالمعنى الظاهري لحكومة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولكن في الواقع، هذا الأسلوب الفريد من التعامل مع المعارضين، كان بحد ذاته مؤشرًا واضحًا للاستقرار السياسي بالمعنى الحقيقي. وأكبر دليل تاريخي على ذلك، عدم وجود أي حركة معارضة في الدولة الإسلامية ضد حكم الإمام (عليه السلام)، وما حصل ليس لسياساته الداخلية، بل لأهداف شخصية واضحة، مثل قضية «قميص عثمان» أو الطمع بالخلافة من قبل طلحة والزبير، بينما القاعدة الجماهيرية أو ما يسمى بـ (الشارع العام)، كان يرى في حكم أمير المؤمنين (عليه السلام)، كل الإنصاف والعدل والكرامة.

هذه الحقيقة أقرّ بها المؤرخون المسلمون وحتى غير المسلمين في دراستهم للحقبة السياسية التي تلت عهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

وبمعنى آخر؛ لو لم يخرج طلحة والزبير إلى البصرة، بطمعهم في الحكم، ولم ينخدع أنصاف المتدينين والمصلين بالمصاحف المزورة لعمرو بن العاص، لكان بإمكان الإمام علي (عليه السلام) أن يوفر أروع أجواء الأمن والاستقرار في الدولة الإسلامية، وتكون المثال والأنموذج لنا ولكل العالم.

المطلب الثالث: الأثر السلوكي الواقعي للإمام علي (عليه السلام) في الحفاظ على هوية المجتمع:

أوّلًا: تكامل حقوق الإنسان

تتجاذب الإنسان التوجهات

والنظريات السياسية المتعددة الصادرة عن الشرق والغرب بما تحويه مضمون السياسة من القدرة على إدارة دفة الحكم وتسيير شؤون الناس، ومما يلفت نظر الإنسان -أيّ إنسان- سيرة أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في إدارته البلاد الإسلامية التي كانت آنذاك تضم أكثر من خمسين دولة حسب التقسيمات الحالية، بمعنى أنها دولة عظمى عددًا وعدة.

لكن لماذا حكومة علي (عليه السلام)؟

ولماذا سياسة علي (عليه السلام)؟

ولماذا إدارة علي (عليه السلام)؟

ولماذا... يأتي جواب ذلك في أمرين:

الأمر الأول: أن عليًا (عليه السلام) مع القرآن والقرآن مع علي (ومنه استمد فكره):

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**الله أكبر.. الحمد الله الذي أنزل الآيات البينات في أبي الحسن والحسين**» فهو الترجمان الحق للدين ولحكومة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولخلافة الله سبحانه في الأرض.

الأمر الثاني: مواجهة ما جرى في أيام حكومته وخلافته من أحداث جسام وفتن كبرى على الإسلام:

قدرته الفائقة على إبطال مفعول تلك الفتن وفضح أصحابها للتاريخ والأجيال، فلا نجد مثيله لا في التاريخ الغابر ولا الحاضر، أطوِ ما شئت وكيفما شئت من صفحات التاريخ، لن تجد مثل المزايا والصفات الرائعة والناصعة في جبين الدهر إلا في حكومته وحكومة أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبله.

وهنا سنذكر بعض تلك المزايا التي -بالفعل وبالقوة- تمثل خلافة

الله سبحانه في الأرض، فمنها:

١- الأمن الاقتصادي لضمان الحياة الكريمة للأفراد:

ورد عن أمير المؤمنين أنه قال: «أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ وَأَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ من لَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ أو لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ»[١١]؟ وكلمة (لعل) هي محور الحديث، إذ ذكر الإمام (عليه السلام) ذلك وهو مقيم بالكوفة عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك، التي ينقل أرباب التاريخ أنها كانت تضم أربعة ملايين نسمة. وهذا يعني أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان متأكدًا وقاطعًا من عدم وجود الجائع في الكوفة الحاوية لهذا العدد الكبير والدليل قوله (لعل)، وهل هذا يدل على وجود جائع أو محتاج في الحجاز أو اليمامة في ظل حكومته؟ الظاهر أيضًا من ذات الكلمة (لعل) أنه لا وجود لهذا الوصف في الواقع الخارجي لصدور ذلك من ثنايا المعصوم، والفرق ظاهر، وأن معناها ومرادها حين تصدر عنه (عليه السلام) وهو العالم بأمر الناس والولي والخليفة من الله جل وعلا عليهم، فقوله (لعل) يبدو منه أيضًا عدم الوجود. فهل ترى في جبين التاريخ أو في الحال الحاضر، وهل سمعت أُذُناك أو رأت عيناك دولة تضم أربعة ملايين نسمة لا يوجد فيها فقير أو محتاج أو من لا يملك منزلًا أو دابةً أو طعامًا أو غير ذلك، بل ربما يمكن القول ويصح أن هذا لا يمكن تعقله، لا أقل في زمننا الحاضر، بل حتى في مستقبلنا القريب! ومما يؤكد رغد العيش تحت ظل حكومته الإلهية قوله (عليه السلام): «مَا أصبحَ بالكوفةِ أحدٌ إلّا ناعِمًا، وأنَّ أدناهُم منزلةً مَن

يأكلُ البرَّ، ويجلسُ في الظّلِّ، ويشربُ مِن ماءِ الفُراتِ»[١٢].

٢- تميز الحرية في حكومته (عليه السلام)

كانت الحرية في عهد الأمير مبسوطة كل البسط وعلى المستويات كلها، سواءً الحرية العقائدية أم الثقافية أم السياسية، مبنية على أسس منها «**لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا**» و«**الناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق**»[١٣] ولم يكن لها قيد أو شرط سوى (مالم تمس حريات الآخرين) وكنماذج لذلك:

الأنموذج الأول: الحرية السياسية

فقد ورد أن الإمام علي (عليه السلام) لم يقطع عطاء الخوارج من بيت المال على أنهم يمثلون المعارضة، وكذلك ما نقله التاريخ أن عمر بن حريث مع سبعة نفر لما خرجوا إلى مكان يسمى الخورنق فخرج إليهم ضب وبايعوه بإمرة المؤمنين! ناكثين بذلك بيعة الإمام (عليه السلام) مستهزئين[١٤]، ثم افلتوه فقدموا المدائن والإمام (عليه السلام) يخطب في المسجد، فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) من فوق المنبر وقد قطع حديثه فقال: «**أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسر إلي ألف حديث... وأني سمعت الله جل وعلا يقول ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ وأني أقسم بالله ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب ولو شئت أن أسميهم لفعلت، فسقط عمر بن حريث على الأرض حياء ولؤمًا**»[١٥].

فأنظر كيف تعامل زعيم دولة عظيمة مع أفراد ونماذج مثل عمر بن حريث وغيرهم، فبدلًا من أن يعاقبهم ويخزيهم أمام الملأ، فسح لهم أجواء الحرية ليبدوا آراءَهم بكل حرية شريطة أن لا يلحقوا الضرر

بالآخرين.

الأنموذج الثاني: حرية المعتقد

كان اليهود والنصارى والمخالفين لإمامته (عليه السلام) ينعمون بحريتهم ويمارسون طقوسهم الدينية، فها هو (عليه السلام) الرئيس الأعلى للبلاد يدعو المسلمين إلى أن يقيموا نوافل شهر رمضان فرادى كما أمر بها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ولكن بعض المسلمين خالفوه وخرجوا بمظاهرات ضده (عليه السلام)، فلم يجبرهم لا بالقوة ولا بغيرها على اتباع أمره بل أمر أن يتركوا ليفعلوا ما يشاؤون!! وهناك نماذج كثيرة تمثل صورًا بل أروع صور الحرية التي لم نسمع أو نرى لها مثيلًا لا في بطون الكتب ولا في بلدان الحرية والديمقراطية ولا في غيرها، حرية لا تطبق إلا عند أولياء الله وخلفائه.. فأين الساسة من هذه الصفات والميزات العظيمة؟

ثانيًا: بيان حقوق الرعيّة وترصينها

استطاع الإمام عليٌّ (عليه السلام) أن يبلور حقوق الرعية قولًا وفعلًا وصياغتها بصياغة حضارية تنسجم مع جميع المعطيات الفكرية، فها هو يُشير إلى تلكم الحقوق بما جاء في عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر:

«ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بالقصد فيما تجمع وما ترعى به رعيتك، فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ

بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ»(١٦).

لقد كنت عظيمًا في وصيتك، وكيف لا تكون؛ لأنّ هذه الكلمات جاءت من أجل الناس وإنصاف حقوقهم وبعيدًا من النزعات العنصرية، ويدعو فيها إلى التعايش السلمي، وإعطاء الحقوق من دون تفريق في الدين أو النزعة، وإنّ هذا الدرس البليغ الذي دونه أمير المؤمنين (عليه السلام) في سجل التاريخ المشرق للإسلام بقي شامخًا على مر العصور، ودرسًا بليغًا في حقوق الإنسان، التي نادى بها علي بن أبي طالب (عليه السلام) منذ ذلك الوقت وقد سبق زمانه، ونظريةً أخلاقيةً كبرى بوجه سياسات أزمنة العنف ونظرياتها ومدارسها ومناهجها، وما فيها من التسلط والبطش وسفك الدم وعدم المساواة بين البشرية وبذلك فإنّه (عليه السلام) زرع البذرة الأولى في مكافحة التعصب العنصري أو المذهبي، إذ إنّ النظرة المذهبية المتطرفة كانت من الأسباب المؤدية إلى تصعيد الصراع بين الفرق المختلفة على مستوى الديانات الإسلامية أو غيرها، وقد كان من نتائج التعصب المذهبي المتشدد بروز منظمات إرهابية تحت أسماء عديدة والدين منها براء؛ لأنها جاءت لإرهاب الفكر، ومصادرة حرية الإنسان، وإزهاق روح الإنسان نفسه، ولقد دفعت المصالح الخاصة للقوى الشريرة إلى استثمار

الشعارات والمقولات الدينية الملصقة زورًا في الدين لنيل مكاسب من وراء ذلك مثلما كان ذلك في الحروب الصليبية التي استمرت طويلًا، وإنّ التاريخ يعيد نفسه فلا تزال بعض الدول الإسلامية والعربية كالعراق يعيش هذا التوجه المتشدد والذي يبتعد من مبادئ الإسلام والدين الحق التي كان مثلها الأعلى الرسول الأكرم (صلى الله علية وآله) ووصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) موضوع البحث الذي انعقد البحث لأجله، وفي الوقت نفسه هنالك توجه آخر يمثل الخط المعتدل والمتمثل بالمرجعيات الدينية الشرعية والتي تؤيد فكرة أمير المؤمنين (عليه السلام) ونظريته، التي تحدثنا فيها في موضوع البحث وتريد أن يعمّ السلام والرفاهية لعموم الشعوب، وترفض سياسة العنف والتعصب، وتؤيد سياسة الانفتاح وإشاعة روح المحبة والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع، ولقد كانت نظرة الإمام بمواجهة مشكلة العصبية والسلطة والتسلط حينذاك نظرة ثاقبة وتاريخية شاملة، لمعالجة كل المشاكل التي قد تنشب بين المذاهب والملل المختلفة فقدم دستورًا أخلاقيا رفيع المستوى يرتقي بالإنسان إلى تحقيق حياة أفضل وتحقيق حقوقه المشروعة من دون انتقاص من قيمته وكيانه وحريته الشخصية وكذلك انتهج النظام السياسي المنهجي لحل كل مشكلات العلاقات بين القوى والفصائل والأطراف المختلفة أيدلوجيًا وسياسيًا وكان يرتكز على ركنين:

١- ترصين المجتمع من الناحية الايدلوجية والسياسية

ركز على الأخوة الايدلوجية والسياسية وذلك يتضمن وحدة المنطلقات ووحدة العلاقة وما

يترتب على ذلك من تضامن.

٢- رفض التسلط العنجهي الظالم

وهو الأهم فهو محاربة السلطة العنجهية، وان الإنسان من مذهب آخر أو طائفة يضاهي الإنسان في الخلق وليس ثمة ما يتعالى به عليه فتكون للإنسان صاحب السلطة حجة القمع والاستبداد والاستغلال ولقد كان تأكيد الإمام على فكرة النظير في الخلق تضاهي فكرة الركن الأول (الأخوة في الدين) وتضع أساسا للديمقراطية في العلاقة بين جميع البشر من مختلف الملل والنحل والأحزاب والطوائف والأقليات القومية، وتحدد إطار الحقوق بحرية الاعتقاد وتلك الحرية التي لا يمكن ردعها وقهرها، ومن المؤسف حقًّا أن نجد أن أبناء الدين الواحد قد يختلفون ويتفرقون في زمان أو مكان ما لسبب أو لآخر، وهذا بعيد كل البعد من نظرية الإمام العادلة في هذا المجال وهي مستندة إلى تعاليم السماء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١٧].

الخاتمة ونتائج البحث

من الطبيعي أن يكون لكل بحث مجموعة من النتائج والمعطيات التي أفرزتها معايير البحث العلمي وتوصل إليها الباحث وكما يلي:

أولًا: تُعد السياسة العلوية المثالية متمثلة بأمير المؤمنين (عليه السلام) نواة النظام الحضاري والمعرفي في الميادين الحياتية المختلفة.

ثانيًا: استطاعت السياسة العلوية - فكرًا وسلوكًا - أن تزرع في قلب المسلمين بل البشرية أجمع مفاهيم صيرورة النظام الحضاري لمستقبل الأمة.

ثالثًا: رسخّت سياسة الإمام علي (عليه السلام) المثالية أنظمة حقوق

الإنسان ومبادئها وما يترتب عليها من آثار ومعطيات ومساندة التعايش الإنساني.

رابعًا: لم تأتِ -إلى يومنا هذا- سياسة استطاعت إعطاء صورة واضحة لقيم الإنسان ومبادئه كما أعطتها الحكومة العلوية من دون تمييز بين أفراد المجتمع.

خامسًا: تبلورت معالم الامام علي (عليه السلام) وأدواره عبر سلوكه (عليه السلام) وما أوصى به بعض أصحابهِ، أمثال عهده لمالك الأشتر.

سادسًا: لعل أبرز ما نظّره وشرعه أمير المؤمنين (عليه السلام) فكرًا وسلوكًا في حكومته هو قوله المشهور: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ».

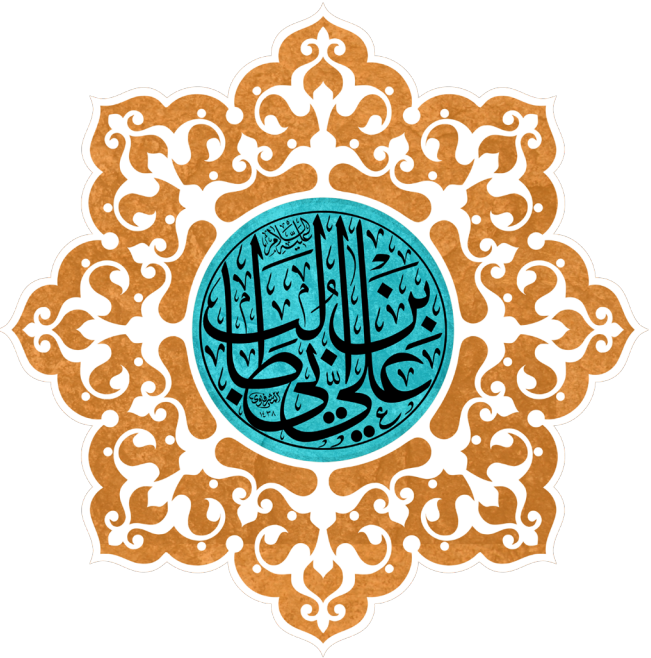

الهوامش

١. آل عمران/ ١١٠.

٢. نهج البلاغة، جمع وترتيب الشريف الرضي، تح: محمد عبده، المطبعة: النهضة- قم، ط ١، ت، عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله): ١٤١٢ هـ: ١٨٩ خطبة ١٣١.

٣. الوافي، الفيض الكاشاني، طبع ونشر: دار علقمة- قم، ط ١، ت: ١٤٢٨ هـ: ٣/ ٦٥٦.

*. المصدر نفسه.

٤. جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي، المطبعة: زنكن- قم، ط ٣، ت: ١٤٢٣ هـ: ١٧/ ٣٣٢.

٥. مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي، طبع: دار الرضا- قم، ط ١، ت: ١٤٢١ هـ: ٩/ ٤٧٦.

٦. مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط ١، ت: ٢٠٠٧ م: ١٣/ ١٥٤.

٧. نهج البلاغة، جمع وترتيب الشريف الرضي، عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله): ٣/ ٧٦.

٨. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، طبع ونشر: مؤسسة آل البيت- قم، ط ٢، ت: ١٤٢٩ هـ: ٤/ ٤٥٦.

٩. الفوائد الطوسية، الحر العاملي، مكتبة الهلال- قم، ط ٣، ت: ١٤٣١ م: ٢٦٨.

١٠. الصحيح من سيرة الإمام علي، مرتضى العاملي، دار الزهراء- قم، ط ١، ت: ١٤٣١ هـ: ٢٠/ ١٦.

١١. نهج البلاغة، جمع وترتيب الشريف الرضي، عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله): ١٤١٢ هـ: ٣/ ٧٢.

١٢. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر اشوب، المطبعة: الحيدرية- النجف، بلا ط، ت: ١٩٥٦ م: ١/ ٣٦٨.

١٣. نهج البلاغة، جمع وترتيب الشريف الرضي، عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله): ٣/ ٧٦.

١٤. من حياة الإمام علي(عليه السلام)، باقر شريف القرشي، دار صادق- قم، ط ٢، ت: ١٤٢٧ هـ: ١/ ٣٤٢.

١٥. الاختصاص، الشيخ المفيد، طبع ونشر: مؤسسة إحياء تراث الشيخ المفيد، ط ١، ت: ١٤٣١ هـ: ٦٤٥.

١٦. نهج البلاغة، جمع وترتيب الشريف الرضي، عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله): ٣/ ٧٨.

١٧. سورة الحجرات، آية: ١٣.

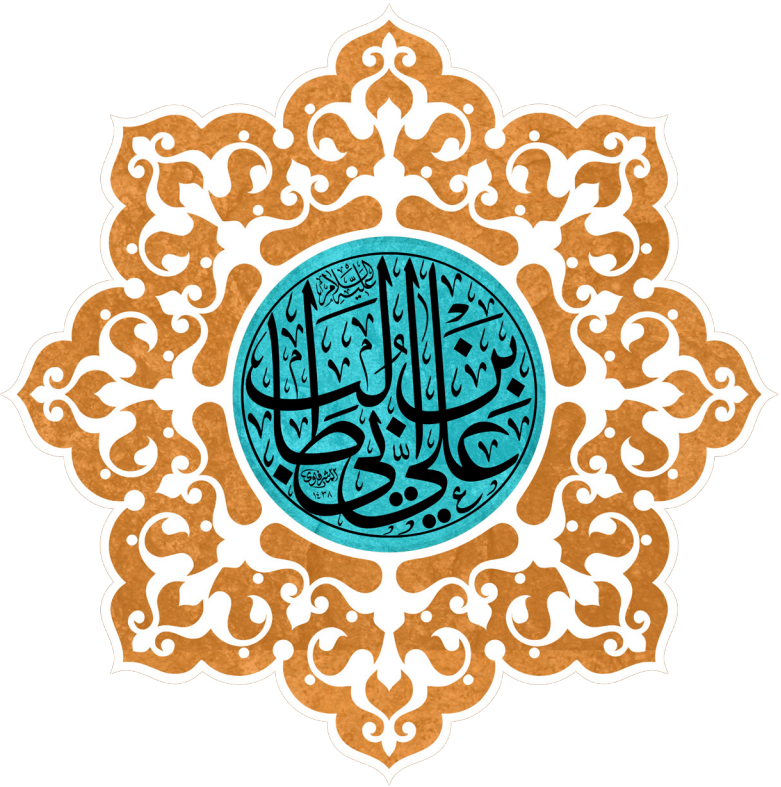

أهم المصادر والمراجع المعتمدة

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١. الاختصاص، الشيخ المفيد، طبع ونشر: مؤسسة إحياء تراث الشيخ المفيد، ط١، ت: ١٤٣١ هـ.

٢. جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي، المطبعة: زنكن- قم، ط ٣، ت: ١٤٢٣ هـ.

٣. حقوق الإنسان عند أهل البيت: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية: على الكوراني، ط١، عام ١٤٢٨هـ.

٤. الحريات العامة: ماهر صبري كاظم، مطبعة الكتاب، بغداد، ط، عام ١٤٣١هـ.

٥. تطور وثائق حقوق: غانم جواد، طبع ريد للنشر، عام ١٤٢٨ هـ، ط١.

٦. الصحيح من سيرة الإمام علي، مرتضى العاملي، دار الزهراء- قم، ط١، ت: ١٤٣١ هـ.

٧. الفوائد الطوسية، الحر العاملي، مكتبة الهلال- قم، ط ٣، ت: ١٤٣١ م.

٨. مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط ١، ت: ٢٠٠٧ م.

٩. مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي، طبع: دار الرضا- قم، ط ١، ت: ١٤٢١ هـ.

١٠. من حياة الإمام علي، باقر شريف القرشي، دار صادق- قم، ط ٢، ت: ١٤٢٧ هـ.

١١. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر اشوب، المطبعة الحيدرية- النجف، (ب. ط)، ١٩٥٦م.

١٢. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، طبع ونشر: مؤسسة آل البيت - قم، ط ٢، ت: ١٤٢٩ هـ.

١٣. نهج البلاغة، جمع وترتيب الشريف الرضي، تح: محمد عبده، المطبعة: النهضة- قم، ط ١، ت، عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله): ١٤١٢ هـ.

١٤. نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان: السيد محمد الصدر، طبع دار ومكتبة البصائر، ط١، عام ١٤٣١ هـ.

١٥. الوافي، الفيض الكاشاني، طبع ونشر: دار علقمة- قم، ط ١، ت: ١٤٢٨ هـ.

١٦. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان.

١٧. الخصال، الشيخ الصدوق، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٧، عام ١٤٢٦.

١٨. موسوعة الغدير، العلامة الأميني، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي، ط ٤،

١٤٢٧هـ.
١٩. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط ١، عام ١٤١١هـ.
٢٠. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي- بيروت ط١، ١٤٢٢هـ.
٢١. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر، عام ١٤١٥هـ.
٢٢. تفسير الثعلبي، الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ١، عام ١٤٢٢ هـ.
٢٣. الكافي، الكليني، مصادر الحديث الشيعية، عام ١٣٦٣ هـ.
٢٤. التهذيب، الطوسي، مصادر الحديث الشيعية، ط ٣، ١٣٦٤ هـ.
٢٥. الطرائق، لابن طاووس، مصادر الحديث الشيعية، عام ١٣٩٩ هـ.
٢٦. كشف الغمة، الاربلي، دار الأضواء للنشر والتوزيع، ط ٢.
٢٧. الإرشاد، الشيخ المفيد، دار الهدى، ط ١، ١٤٣١ هـ.
٢٨. الصحيح من سيرة النبي الأعظم، السيد مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات بيروت- لبنان، ط٥، ١٤٢٧ هـ.
٢٩. علل الشرائع، الصدوق، منشورات الفجر، ط١، ١٤٢٨هـ.
٣٠. الفصول المهمة، لابن الصباغ، دار الحديث الثقافية للطباعة والنشر- قم، ط ١، عام ١٤٢٢هـ.
٣١. مناقب أمير المؤمنين، لابن المغازلي، دار الآثار- صنعاء، ط ١، عام ١٤٢٤هـ.
٣٢. كفاية الطالب، الشافعي، دار إحياء تراث أهل البيت- طهران، ط ٣، عام ١٤٠٤هـ.
٣٣. آمالي الصدوق، الشيخ الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٣٤ هـ.
٣٤. الفضائل، شاذان القمي، مصادر الحديث الشيعية، عام ١٣٨١ هـ.
٣٥. تفسير القمي، القمي، مصادر التفسير عند الشيعة ١٣٨٧ هـ.
٣٦. بشار المصطفى، الطبري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، عام ١٤٢٢هـ.
٣٧. من كتاب خليفة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) محمد الريشهري- لندن- ١٨٥٠ نقلًا عن شبكة الأنترنت.
٣٨. الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، الأندلس، بيروت- لبنان، ٢٠١٠م.
٣٩. شبكة أنترنت.

رمضان كريم

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء اليوم الثاني من شهر رمضان

اَللّهُمَّ قَرِّبْني فيهِ اِلى مَرْضاتِكَ، وَجَنِّبْني فيهِ مِنْ سَخَطِكَ وَنَقِماتِكَ، وَوَفِّقْني فيهِ لِقِرآءَةِ ايـاتِكَ بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ

INAHJ.ORG

إبلاغية الإشارة في نهج البلاغة

Informality of reference in Nahj al-Balaghah

أ. د. عباس علي حسين الفحام

أ. م. د. وسام جمعة لفتة

الباحث: نور ياسين كريم

Prof. Dr. Abbas Ali Hussein Al-Faham

Assist. Prof. Dr. Wisam Jumeat Lafta

Researcher: Nour Yassin Karim

ملخص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على طه الأمين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى باب مدينة علمه أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

درس البحث (إبلاغية الإشارة في نهج البلاغة) التي تبين في ضوئها إمكانية تطبيق مثل هذه الدراسات على النصوص المكتوبة؛ ولا سيما تلك التي مضى على تدوينها حقبة زمنية طويلة، وخصوصًا على نصوص نهج البلاغة التي تمتاز بالمتانة العالية والأساليب متنوعة؛ إذ تُعد الإشارة من الوسائل اللغوية المستعملة قديماً وحديثاً التي تمنح الخطاب بعداً جمالياً ملفتاً.

Abstract

Thank God, the Lord of the Worlds, and peace and prayers be upon Taha al-Amin Muhammad (peace be upon him) and at the door of the city of Alamah, the Prince of believers ali (peace be upon him) and all his family and companions.

This research (the notification of the reference in the rhetorical approach) in which it shows the possibility of applying such studies to written texts, particularly those that have been written for a long time, particularly on the texts of the rhetorical approach, which are characterized by high-durability texts and various methods, as the reference is one of the language methods used old and new that give the speech a striking aesthetic dimension.

إبلاغية الإشارة في نهج البلاغة

يعدّ التواصل بين البشر أساس الحياة، وهو من يضمن استمرارها واستقامتها، وتعدّ الإشارة الأقدم وجوداً في حياة الإنسان، إذ تسهم اللغة غير المنطوقة في كثير من جوانبه ونشاطاته المختلفة، وظل أهم وسيلة للتواصل حتى مع تطوّر اللغات وتنوّع قنوات التواصل، ومع التطوّر الحاصل، فقد تطوّر توظيف الإشارة لإبلاغ مقاصد مختلفة، يخطط لها مرسلها، لتوصيل ما يسعى إليه، وذلك لما تحمله تلك الإشارة من طاقاتٍ تعبيريةٍ واسعةٍ لها بالغ الأثر في نفس المتلقي[1].

واللغة العربية بما فيها من صفات التطوّر الدلالي المستمر، وهذا ما أورثها صفات ومميزات جعلها تختلف عن سائر اللغات الأُخرى، ثم إن هذا التطوّر يمثّل تقاطع الوظيفة المرجعية بالوظيفة الأدبية، فإذا كانت الأُولى تضمن الإبلاغ والإفهام فإنّ الثانية تخرق كل ما ضمنته الأُولى[2].

وهذا الإبداع الذي تتميز به اللغة العربية ينعكس على الخطاب، إذ تتغير وظيفته من مجرد نقل للمحتوى إلى الأخذ بكلّ ألوان الإبداع والتميز في الوصف والتبليغ، مسخراً له كل أدوات الجمال التي تعطي للنص طابعاً حركياً بشكل يشوق به المتلقي إلى ذلك النص، حتى سميت اللغة العربية بلغة المجاز، لا لكثرة التعبيرات المجازية فيها، وإنّما لكونها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة إلى حدود المعاني المجردة[3].

والمجاز يعدّ صورة من صور الجمال التي يصوّرها المبدع داخل النص، ليحرّك به النص، ويبعد عنه حالة السكون؛ لأنَّ ((التعبير المجازي يعجب بما فيه من تلوين للأفكار،

وتوليد للصوت، وبعث للإيحاء، بما هو ملائم لطبيعة المعاني))[٤].

وجاء في لسان العرب: ((أشار إليه وشور: أومأ، يكون بالكف والعين والحاجب))[٥].

وهي عند الجاحظ تكون ((باليد والرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زجراً ومانعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً، والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، ولولا الإشارة لم يفهم الناس معنى خاص الخاص))[٦]؛ ليكشف بذلك عن القيمة الجمالية للإشارة ودورها في التواصل بين النص والمجتمع.

وتكون الإشارات على قسمين رئيسيين:

إشارات سمعية: ويندرج فيها كل من الكلام والموسيقى الصوتية التي ينتجها الإنسان بواسطة الفم.

وأُخرى بصرية: كالحركات التي تنتج مباشرة بواسطة أعضاء الجسم، وتتمثل في حركة الأصبع وحركة الرأس التي تدلّ على الموافقة أو عدمها، علاوة على رفع الحاجبين وحركات العينين وغيرها من الحركات التي تدركها بالبصر، لتدلّ على مرسلة يودّ المرسل أن يوصلها إلى المرسل إليه[٧].

وقد ارتبطت الإشارة عند القدماء بالدلالة، وهذا ما أكّده الأصفهاني في قوله: ((الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء أكان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أم لم يكن يقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي))[٨].

وهذا الربط بالدلالة جعلها مجالاً

خصباً لاستقبال دلالات خارج نصّها، لتوسع المستخدم؛ إذ ((إن الألفاظ أدلة على المعاني، وليس للدليل إلا أن يُعلمك الشيء على ما يكون عليه، فأمّا أن يصير الشيء بالدليل على صفة لم يكن عليها فمما لا يقوم في عقل، ولا يتصور في وهم))[٩].

ليعطي بذلك التصور ضرورة لمعرفة اختيار الألفاظ، والأهم معرفة رصفها داخل السياق، ليكون بعد ذلك كياناً متسقاً ومنسجماً، وكلّ علامة يحملها النص توحي بأهميتها ودلالتها، إذ تجري اللغة عند الجرجاني ((مجرى وما جعلت العلامة دليلاً عليه وخلاقه))[١٠].

وهذا ما ذهب إليه الغزالي بقوله: ((لا متكلم إلا وهو محتاج إلى نصب علامة؛ لتعريف ما في ضميره))[١١]. فما يكمن في نفس المتكلم من معانٍ تترجمها الإشارات حتى تنقلها من عالمه إلى عالم أوسع ومختلف الأفكار، ومتعدد التحليل لتلك الإشارات بتعدد طبقات ذلك المجتمع المتلقي، في حين أنها -الإشارة- في الدرس البلاغي القديم ارتبطت بالإيجاز والاختصار أو الاقتصاد في الاستعمال، والذي يعرف بـ (شجاعة العربية)، وذلك لقدرتها على اختزال معانٍ جمّة تحت كلمات قلّة؛ لتوحي بمعانٍ متعددة، إذ الإشارة عندهم هي أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى المعنى الكثير تلميحاً، ويكون ظاهر اللفظ بعيداً عن معناه[١٢].

ومما سبق يرسم لنا صورة و اضح عن معرفة العرب القدامى بأهمية الإشارة ورصفها داخل النص في سياقات متباينة، حتى وإن كان محصوراً في مجال معين، ومع التطور الحاصل فقد تطور توظيف الإشارة؛ لإبلاغ مقاصد مختلفة يخطط لها مرسلها لتوصيل ما يسعى

إليه، وحتى يتمكن المتلقي من فهم محتوى النص لا بدّ له من ربط الإشارات الواردة فيه بالمفهوم الكلي للخطاب، وعندها يتضح المعنى المقصود[١٣].

ومصطلح الإشارة محاط بالغموض حتى قيل فيه إنه ((عصي جداً على التعريف، وخاصة أنَّ الاتجاهات الحديثة في علم اللغة تميل إلى اعتبار الإشارة مفهوماً عاماً يخرج عن كونه مجرد إشارة لفظية أو معنوية))[١٤].

أما في الدراسات الحديثة فقد ارتبطت الإشارة بالسيميائية، وكان المؤسس الأول لها فردينان دي سوسير؛ إذ يعمل هذا العلم على ((دراسة بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون، كما يدرس توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية))[١٥].

واللغة عند سوسير قائمة على ثنائية الدال والمدلول، ولذا فإنّ للإشارة اللغوية أهميتها عند سوسير، فاللغة عنده ((نظام من الإشارات التي تعبر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق، أو الطقوس الرمزية، أو الصيغ المهذبة، أو العلاقات العسكرية أو غيرها من الأنظمة، ولكنَّه أهمها جميعاً))[١٦].

في حين أن الإشارة عند بيرس قائمة على ثلاثة أركان، فهي ((نمط للتركيب يتم انطلاقاً منه تنظيم الواقع على وفق وجود أقسام من التمثيلات العلامية التي تغطي مناطق من العيش والمحسوس والمتخيل))[١٧].

ويؤكد بيرس أنَّها لا يمكن أن تعمل منعزلة الواحدة عن الأُخرى، إذ إنَّ ((علامات الممثل والموضوع والماثول تخرج عن كونها تشكل علامات إذا أُخذت مستقلة

عن بعضها، فالالتحام بين هذه العلامات الثلاثية هو الذي يشكّل العلامة))[١٨].

وكذلك هي لا تتمثل بوجود الممثل والماثور فقط؛ بل لا بدّ من معرفة الموضوع الذي ترتبط به لفهم الإشارة عبر فهم موضوعها؛ لأنَّ ربط الإشارة بموضوعها يسمح ((لنا بالإتيان بمعلومات إضافية تخصّه))[١٩].

وبذلك تكون الإشارة عند بيرس داخل النص تحيل إلى سلسلة من الإشارات بعدها، وحتى يتحقق فهم تلك الإشارات لا بدَّ من وجود المؤول ((من أجل تحقيق موضوع علامة على استحضار علامة أُخرى، فإنَّ الموضوع لا يشكل حداً نهائياً لمتوالية إبلاغية ما، إن ما يمكن أن يحدد هوية العلامة هو المؤول))[٢٠].

وممَّا سبق يتضح أنَّ العملية الإبلاغية للإشارة عند بيرس تمرّ بثلاث مراحل، كل واحدة مرتبطة بالأُخرى بصورة لا يمكن الفصل بينهم، لأن الفصل يؤدي إلى التشويه، وقطع المعنى، إذ تبدأ بالممثل والذي يعد الصورة الصوتية أو المرئية، مروراً بالموضوع الذي بمعرفته وفهمه تُفهم الإشارة، وختاماً بالمؤول الذي يعد الوسيط ((بين الممثل والموضوع، إنه المدلول الخاص للدليل والحصيلة أو الأثر))[٢١].

في حين أنَّ الإشارة عند سوسير قائمة على ركنين هما: الدال والمدلول؛ إذ ((ترتبط الفكرة والصورة الصوتية، وليس بين الشيء والتسمية، ولا يقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزيائية للصوت؛ بل الصورة السايكولوجية للصوت، أي الانطباع أو الأثر الذي تتركه في الحواس))[٢٢].

ولذا فقد عزل الركن الثالث الذي

أولاه بيرس مساحة واسعة من العناية وهو (الموضوع)، وهذا التعويل على الدال والمدلول فقط هو الذي جعل العلاقة بين الركنين علاقة اعتباطية؛ وذلك لأنَّ ((الطبيعة الاعتباطية للإشارة هي في الحقيقة العامل الذي يقي اللغة من أية محاولة لتغييرها)) [٢٣].

من هنا فإنّ الإشارة خارج نطاق السياق والنظام الذي يضمنها لا تعطي معنى، لأنّها لا تمتلك الاستقلال التام؛ بل لا بدّ من رصّها داخل نصوص تمنحها قيمتها الإبلاغية ((فحيثما كانت هناك علامات كان هناك نظام، وهذا ما تشترك فيه ألوان النشاط الدالة المختلفة، وإذا كان على المرء أن يحدد طبيتها الجوهرية فقد وجب عليه أن لا يتناولها فرادى؛ بل بوصفها أمثلة للنظم السيميوطيقية، وبهذه الطريقة تعود الجوانب التي غالباً ما كانت مختفية أو مهملة، فتصير واضحة)) [٢٤].

فهناك علاقة رابطة تعمل على ربط أجزاء النص، فلكلّ ((كلمة علاقة مستقيمة مع الكلمات التي تسبقها وتعقبها، إن جزءاً كبيراً من قدرتها على إفادة المعاني المختلفة ينبع من هذا النموذج الترتيبي)) [٢٥]، ويهيب بالمرسل إليه فهم تلك الإشارات ليتمكن من فهم قصد مرسلها، وذلك لما لها من ارتباط بمعتقدات المتكلم وأهدافه، وكذلك بالمعرفة المشتركة بين أطراف الحديث [٢٦].

غير أن الإشارة ((ليست هي الدال بذاته ولا المدلول بذاته؛ بل هي بنيتهما جميعاً، أي العلاقة التي تنشأ بينهما)) [٢٧]؛ إذ إنَّ المعنى الإيحائي الجمالي لا يتولد إلا عندما تصبح الإشارة بدالها ومدلولها دالاً لمدلول أبعد [٢٨]، لأنَّ كلَّ نصٍّ يحمل داخله مجموعة خاصة به من الإشارات،

بيد أنَّها لا تعدُّ إشارة إن لم تكن تقصد التبليغ والتواصل[٢٩].

وهذا ما يمنح الإشارة طاقة جمالية، تلقي بظلالها على النص بالكامل؛ إذ لا تقف عند حدود مفردة واحدة فقط، وإنّما توحي بفضل طاقتها الإيحائية دلالات أُخرى، القصد منها تبليغ المعنى وتأكيد مضمونه في ذهن المتلقي، وهذا ما يجعل المستقبل ينفذ إلى قاع النص وتفكيكه من أجل استجلاء المطلوب؛ إذ تمثل عملية مشتركة بين ما هو ملفوظ، وآخر مشار إليه، فهو ((مرشح صامت، له تأثير واسع على محيطنا الاجتماعي، إنَّه يمدّنا بأُسلوبٍ في نقل الرسائل الاتصالية دون استعمال اللغة اللفظية، وربَّما يقوم الاتصال غير اللفظي بتدعيم الاتصال اللفظي أو يسلب جزءاً منه، وينظم العلاقات بالتأثير في تقديم التفاعل واستمراراه))[٣٠]. مما يجعل الإشارة تمتلك قدرة إبلاغية قادرة على إبلاغ المعنى من دون كلام بصورة تجعل المتلقي يجد نفسه متوغلاً داخل ذلك النص من دون الشعور بالغرابة منه.

فهي ملائمة لكلِّ زمان وأي مكان، ولها العمق التأثيري الذي يجعل ذلك المجتمع متفهماً لها، متفاعلاً مع نصوصها؛ إذ عبر عنها فيرناندو بوياتوسي قائلاً: ((هو إرسال الإشارات بكلِّ أنظمة الإشارات الجسدية غير المعجمية والاصطناعية والبيئية غير المحسوسة ضمن ثقافة ما))[٣١].

وكان العرب مبدعين في تضمين نصوصهم الإشارات؛ بل وتعدّ في قمة الهرم، لما تمتلك من فنون البلاغة والفصاحة، وذلك لأنَّ اللبيب لا يستطيع كتابة كل ما يجول داخل فكره، وإنَّما يحتاج إلى الإشارة إليه، مما يزيد نصّه جمالاً يعلو به على

النص المكشوف بكامل تفاصيله.

فالإشارة تسهم في إقامة العلاقة بين المرسل والمتلقي، وبين المتلقي والنص، إذ تسعى لتحقيق هدف الإبلاغ، لتفريغ ما في جعبتها من معانٍ جمّة تثري النص عبر ما تضيفه من دلالات تستشف من القراءة العميقة لقصد المرسل، المتمثل بالنص الذي يصاغ بأساليب متعددة لإبلاغ المعنى وطبع أثره في قلب السامع.

ولا يخلو العمل الإبداعي من توظيف الإشارة بين ربوعه، فما بالك بنصوص سيد الفصاحة والبيان فلا بدّ أنّه نثر الإشارة في خطبه وكتبه ووصاياه، ليعطي بعداً أعمق مما هو ظاهر.

قوله (عليه السلام): «آثَرُوا عَاجِلاً، وَأَخَّرُوا آجِلاً، وَتَرَكُوا صَافِياً، وَشَرِبُوا آجِناً، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِيءَ بِهِ وَوَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لاَ يُبَالِي مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لاَ يَخْفِلُ مَا حَرَّقَ. أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى وَالْأَبْصَارُ اللاَّمِحَةُ إِلَى مَنَازِلِ التَّقْوَى؟ أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لله، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ الله، ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ، وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا»[٣٢].

عندما يسعى المرسل إلى ترك أثر في النفوس، فإنّه يعمل على إثارة ما هو غريب عن مسارها الذي عهدته، ليعمل بذلك على إشغال لبّ المتلقي بالتفكير، لأنَّ القيمة الجمالية والتأثيرية لا تكمن في اختيار الألفاظ فحسب، وإنّما أيضاً بطريقة الصياغة

والإبداع في التوصيل لإدراك أعمق نقطة يمكنها التأثير على صاحبها، فهو يستمد حياته ومعناه من هذا التأثير واستجابة الناس له[٣٣].

وقد تجسد ذلك في الخطاب أعلاه عبر ما هو مبثوث داخله من إشارات مختلفة إلى جيل يخلف السلف، وما يحمل معه من صور كثيرة، أغلبها نراها شاخصة في زمانٍ تعيشه وندركه «**تَرَكُوا صَافِياً، وَشَرِبُوا آجِناً**» تلك إشارة إلى تركهم الحلال الطيب من الشراب المختلف ألوانه، واستلذّوا بشرب الخمر والمنكر المحظور عليهم حتى صار يستطعمه ويفضله على أطيب المشروبات، فصار صاحباً للمنكر حتى تغلغل بداخله وتطبع به، فصار ملازماً له من دون مبالاة بما اغترف من ذلك الظلال.

ولعظم ما وصل إليه الخلف من انحراف كاد من الصعب العثور على منازل التقوى، وأعلام الهداية لكثرة الضلال وأهله، حتى صاروا يزدحمون على الحرام ويتسابقون إليه، ومن جميل ما صوره المرسل بقوله: «**وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ**».

إذ ليس للجنة أو النار علم معروف كما هو اليوم، وإنّما أشار بذلك إلى طريق الحق والهداية، وقد وضّح لهم وبيّن نعيمه غير أنّهم تركوه وقادتهم أعمالهم إلى مصير النار؛ لأنّهم أعرضوا عن طريق الحق، فقد كانت وقفتهم طريق الباطل الذي طال مكوثهم فيه حتى صار سكناً لهم.

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة «**فَإِنِّي خَرَجْتُ عَنْ حَيِّي، إِمَّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً، وَإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ، وَأَنا أُذَكِّرُ اللهَ مَنْ**

بَلَغَهُ كِتَابِي هذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسْيئاً اسْتَعْتَبَنِي»[٣٤].

إن توظيف الإشارة في الخطاب يعد من أهم المؤثرات على مختلف الطبقات الاجتماعية، الذي من طريقه يصيب المرسل هدف ما يسعى لتوصيله بصورة غير مباشرة، يجمع بذلك شتات المعاني ويبثها مجتمعة في ذاته لتتحرر في أذهان المتلقين؛ لتعمل بدورها على تفكيك تلك المعاني للوصول إلى غاية المتكلم.

وهذا ما حققه الكتاب أعلاه؛ إذ أعطى المتكلم جميع الاحتمالات التي تعود إلى القيام للحب وجعلها كتاباً مفتوحاً أمام المتلقي، لأنّه أراد تحفيزه على التفاعل معه والمشاركة في تلك الحرب، فقد كان النص نشاطاً مقصوداً واعياً له دلالات محددة، وأهداف معلنة من أجل خوض تلك المعركة، فأراد استنهاض العزائم لمواجهة ذلك الباطل. وبذلك ينشئ المرسل طرائق متعددة لإبلاغ المعنى، إذ أراد بيان ظلم من هو سائر نحوهم وكشفه، والإشارة لصفاتهم وحق القيام عليهم، وذلك بابتدائه بصفات الظلم والبغي «إِمَّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً، وَإِمَّا مَبْغِيّاً»، وعندما بث تلك الإشارات من دون التصريح الفعلي، وأراد من المتلقي فهم تلك الإشارات وتحليلها؛ لكون الطرف الآخر تجيء إلى التمويه والتضليل من طريق رفع المصاحف، وطلب حكم القرآن، ومن هذه المواقف التي يظهر فيها الحق، ويراد به الباطل تتطلب حكمة في المواجهة، وإقناعاً للمستمع بطرائق مختلفة كانت تلك الإشارة كفيلة بإبلاغ المعنى المراد.

ومن خطبة له (عليه السلام): «فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ،

وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَعْلاَمُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ. أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ، فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ»[٣٥].

قد يكون الانزياح في التراكيب اللغوية يمنح الكلام خصائص أُسلوبية مميزة تثير دهشة متلقيه، لما فيها من رسم لجمال التوظيف، وفي الوقت نفسه يكون الترتيب بأُسلوب معتاد؛ لكن يبدأ عمل الفنان والمبدع بإدخال إشارات تمنح ذلك الخطاب خصوصية جمالية مشوقة، تستدرج المستقبل لها من دون الملل لسلاستها.

فقد نثر المرسل في الخطاب إشارات تدل على أنَّ المقصود هم أهل بيت النبي (عليهم السلام)، وبالتحديد علي بن أبي طالب ووالداه وذريتهم، فكيف يصيبكم العمى عن رؤية الحق فيهم، أو حتى كيف تتيهون وهم مصابيح الهدى وجلاء العمى؟! فأشار إلى صفاتهم التي تميزهم، وأراد منح المتلقي فرصة الانخراط داخل النص ومعرفة مغزاه؛ لأنَّ تلك الصفات ما اجتمعت كلّها في أحد من قريش إلا فيهم، وعندما تكلم بالصفات دون الأسماء إنّما أراد بيان حجم العلم والمعرفة والمنزلة التي لهم عند الله، حتى ذكر بأن تكون منزلتهم مع منزلة القرآن الكريم، فإذا كان القرآن الكريم الثقل الأكبر فهم الثقل الأكبر، وكان من جميل التعبير قوله: «**وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ**»، هو من جميل تلك الإشارات الواردة في النص، إذ كلّما ازداد العطشان عطشاً همّ لشرب الماء المعين ليرتوي، فهم للأُمّة كما الماء الصافي، أي تزاحموا

على أخذ العلم منهم، فهم ألسنة الصدق والحق، ولا يؤخذ من غيرهم.

وفي قوله: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّت، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَال»، أي أنَّهم حتى بعد مماتهم لا يجف بحر عطائهم، فهم الوسيلة إلى الله، سواء أكانوا أحياء أم أموات، إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [سورة المائدة/ ٣٥].

فقد أسهمت تلك الإشارات بإبلاغ مقصد المرسل لتجد لها صدى واسعاً عند المتلقي.

ومن كلام له (عليه السلام): «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذلِكَ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً، وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدّاً عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلاَنِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، ومَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلاَمُ مُلْقِياً جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلاَ اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ، وَأَيْمُ اللهِ، لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً»[٣٦].

بدأ النص بذكر الملاحم التي قامت في بداية نشر الإسلام من فئةٍ قليلةٍ آمنت بما جاء به رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله)، وكيف كان حال هؤلاء، وعلى الرغم من أنَّهم فئة قليلة لما هم عليه من الشجاعة والبطولة والتضحية، فالمرسل عندما بدأ بذكر كل هذا إنما أراد توجيه المتلقي نحو تلك الإشارات الواردة في النص؛ لأنَّه

قصد إبلاغ معانٍ جمّة من ورائها؛ ليكون للإشارة دورها الإبلاغي الفعّال في نفس متلقيها، إذ برزت تلك الإشارات لترشد إلى معانٍ كتمها المرسل في نفسه، لينبّه السامع لها، لأنه قصد ما ألقاه لأخذ العبرة منه، وقد يكون المرسل قصد المقارنة بين جند زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحال جنده في زمانه، فأراد توصيل محتواه: أنه على الرغم من القلة التي نحن عليها في ذلك الزمان، وقلة الناصر وكثرة العدد حتى من الأهل، كانوا ذا بأس شديد وعزيمة صلبة، وبعزمهم وصبرهم نشر دين محمد (صلى الله عليه وآله)، وكان العدد ذا قوة وشجاعة لشدة بطشهم وقوتهم، وعلى الرغم من كلِّ ذلك لم تزعزع تلك الصفات من عزمهم وإيمانهم شيئاً، فإذن كيف بكم إذا كنتم في ذلك الزمان وتلك الحروب، تواجهون عدواً شرساً مؤمناً بما يعتقد كإيماننا برسالة النبي (صلى الله عليه وآله)؟!

فالمرسل ترك النص مفتوح الدلالة أمام المتلقي حتى يوقد فيه شرارة الاستمتاع بلذّة النص ومعرفة محتواه والبحث عن مغزاه؛ ليكون أعمق أثراً في ذاته، لأنَّه أحسَّ منهم تهاوناً وانتكاساً في معارك كثيرة، فأراد المرسل أن يقوي مركز الضعف عندهم، وشحذ هممهم؛ لأنَّ عدوهم ليس بأفضل منهم حالاً، وإنّما كان أصلب موقفاً، فعندما ذكرهم بتلك الأيام قصد توصيل ما كتم حتى يكون أعمق أثراً في نفس المقابل.

وقد أسهمت تلك الإشارات برسم صور واضحة في مخيلة ذلك المقاتل المستمع للخطاب، فصار يستحضر تلك الصور لواقع المعارك في ذلك الزمن، إذ كانت قادرة ((على استحضار المشاعر الدفينة، وعلى إظهار العواطف الإنسانية في شكل

صور مجسمة، أو هيأة شاخصة، ومن هنا يكون الأداء النفسي متوافقاً ومرافقاً؛ بل وممتزجاً بالأداء اللغوي والتعبيري))[٣٧].

فلو كان نص كلامه صريحاً من دون أي إشارة تتخلله لم يكن مؤثراً بالصورة التي أثرت بها تلك الإشارات على مستقبلها، حتى أنَّ القسم في آخر كلامه زاد من النص عمقاً وأثراً، «**ولعمري لو كنا نأتي ما أُوتيتم ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للإيمان عود**». وتلك أشد أثراً من سابقتها، إذ لو كنتم في ذلك الزمان لانتهت الرسالة، وما قام للدين عمود بسبب تخاذلكم وخوفكم من مصارعة الفرسان، وقد حملت معها إشارات خفية للتوبيخ، لكن بأُسلوب فصيح ووقعه بسبب استحضار الندم وشدّ العزيمة على مواجهة الأبطال وخوض الحروب.

وقوله (عليه السلام): «**بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ، اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَطِيعُوا اللهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ**»[٣٨].

عندما يمزج المبدع بين بساطة التعبير وفخامة المعنى الكامن خلفه فإنّه ينتج لنا أروع صور الإبداع التي تخرق قلب السامع لتشغله معها، وبذلك يكون النص قد أدى دوره الإبلاغي بشكل كامل.

«**فإنَّ الناس أمامكم وإنَّ الساعة تحدوكم من خلفكم**»، فقد أشار بذلك إلى أخذ العبرة من الموت، موت من هو حولك، إذ قد يفقد الإنسان أباه أو أُمّه، أو أحد إخوته، فهذا مثال حي وقريب لأخذ العبرة

منه.

فكلّ ثانية تمرّ تقطع جزءاً من رحلة عمر الإنسان، إذن هو في حالة نقصان مستمر من دون الشعور بذلك، أو متغافل عنه، مغروراً بالدينا وزينتها وشبابه وثروته، إذ شبّه الساعة بالقارب الذي يسير بركابه إلى نقطة الوصول، وبذلك يفزع كل واحد إلى مثواه محطته التي تنتظره، لتسير به إلى مكان استقراره الأبدي.

ثم ذكر قائلاً: «تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ». وهذا إشارة إلى التخفيف ممن يثقل الكاهل، ويطيل الحساب يوم القيامة، أي ترك المعاصي والآثام والزيادة من الحسانات والأعمال الصالحة، فإنّما قيام الأولين للحساب ينتظر حلول أجل الآخرين، إذ لا مفرّ من ذلك.

وبتلك الإشارات فقد رسم للمتلقي طريقاً للنجاة واسع التخيّل من غير تقيد بكثرة الألفاظ وطولها، وإنّما لجأ إلى الإشارة ليعطي للمتلقي حرية التفكير والتأمّل.

فعندما قال: (بادروا أمر العامّة) والذي هو الموت أشار بذلك إلى الاستعداد للقاء الموت من دون خوف أو رهبة، وذلك عبر التزوّد لذلك السفر بالأعمال قبل أن يداهمهم؛ لأنّه مجهول الموعد، ثمَّ أنّك يا ابن آدم هدف منصوب للموت، وسهامه لا تخطئ الهدف، وأنت لا تعلم متى يصيبك ذلك السهم، ولذا وجب الاستعداد دائماً لاستقبال ذلك السهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُم...﴾ [سورة الجمعة/ ٨].

إذ نقل المرسل بذلك النص من حالة السكون إلى الحركة عبر تأثيره على بصيرة المتلقي، ومن أروع صفات ذلك التعبير أنّه عابر لزمانه ومكانه، فكلّما سُمع علم مختلف

الأزمنة ازداد تأثيره في النفوس، ومن جمال الإشارة في النص أنه عندما ذكر (بادروا أمر العامّة) ثم لم يقف عندها؛ بل زاد (وخاصّة أحدكم)، إنّما أراد الإشارة إلى معنى عميق جداً، بمعنى أن موقفك أيها الإنسان من تلك الساعة خاص بك وحدك، لا يشاركك فيه أحد حتى أقرب الناس إليك، لأنَّك رهين أعمالك، وما جنته يداك، فأشغل نفسك بإصلاح نفسك، ودعك عنك من هم حولك، لأنَّك لا تُحاسب على أعمالهم، ولا يُحاسبون على أعمالك؛ بل لهم أعمالهم ولك أعمالك.

ومن إبداع تلك العبارة وفخامة قصدها أنها ذات دلالات مفتوحة وذات تأثير خاص على لب المستمع؛ لأنَّه أراد إثارة تلك النقط حتى تجني ثمارها فيهم باتباع الخير والصلاح، إذ لا يأتي ملك الموت ويكون الإنسان في حالة معصية، لا يجني منها يوم القيامة سوى الحسرة والندم.

ومن كلام له (عليه السلام): «أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ وَجُوعُهَا طَوِيلٌ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[٣٩]، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ»[٤٠].

فقد تعددت الإشارات وتنوّعت، وكل واحدة منها عملت على إبلاغ المعنى الذي رسمه لها المخاطب لتحقيق ما يصبو إليه، إذ ذكر (لا تستوحشوا طريق الهدى)، فتلك إشارة إلى سبيل الحق وقول كلمته

والعمل على إعلائها والجهاد في سبيلها، إذ أن الهدى ليس بالشيء المحسوس حتى يكون له طريق، وإنّما أراد بذلك الإشارة إلى المنهاج وسبيل الحق، وعندما ذكر (لا تستوحشوا) أراد إبلاغ المتلقي صعوبة هذا الطريق والمخاطر الحافّة به؛ لكثرة أعدائه والمنافقين الذين تسوّروا حوله؛ لأنَّ أغلب الناس للحق كارهون، لأنهم أرادوا الدنيا، والدنيا لا تعرف الحق، لأنَّها لو كانت كذلك ما غدرت بمن صاحبها وأنس بزينتها، فهو مهما أخذ منها نقص حظه في الآخرة لتورثه الحشرة.

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ...﴾ [سورة الحديد/ ١٩]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾. [سورة فاطر/ ٥].

ثم بثّ في كلامه إشارة أُخرى ليشوق المتلقي إلى استشفاف المزيد من دون ملل، فقد ذكر قوم ثمود وما حلّ بهم من عذاب، لأنهم أعانوا الظالم ليس بالفعل وقتل الناقة، وإنّما بالرضا لما فعله، فحلّ عليهم العذاب جميعاً من دون استثناء، ليخبر المتلقي بأنَّك إذا تغافلت وتجاهلت وخيّم عليك الصمت لرؤية فعل الظالم لا تنتظر استثناء مما يحلّ بكم من سخط وقحط، أو نقص في الأموال والأولاد حلول البلاء، فالسكون يمثل إعانة للظالم على ظلمه، وبالتالي يزيد طغياناً وظلماً.

ومن حسن بيان النص أنه أعطى في الختام خير الكلام قائلاً: (أيها الناس، من سلك الطريق الواضح ورد الماء، ومن خالف وقع في التيه)، فعندما قال: (ورد الماء) لا يريد به ماء الشرب المعروف، وإنّما أراد بذلك نعيم الجنة، إذ يعد الماء مصدرًا للحياة، ونعيم الآخرة حياة أبدية،

فقد استعمل الماء للإشارة إلى الجنة، في حين أنه استعمل مع المخالفة (التيه)، لأنه قصد من قوله تحفيز العمل من أجل المكافأة، لأن الجائزة تستحق الصبر والعمل من أجل الحصول عليها.

ومن كلام له (عليه السلام): «وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ. وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ، تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ حَسّاً بِالنِّصَالِ، وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ، تَرْكَبُ أُوْلَاهُمْ أُخْرَاهُمْ، كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ، تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا»[٤١].

عندما يكون اختيار الألفاظ بصورة واعية داخل السياق للتعبير بها عن حالة خاصة تستلزم الوسطية في التعبير، مما يجعل له أثراً عند مستقبله؛ ليحمل معه الحالتين: حالة التقريع وحالة التحفيز للأفضل، وعندما تبطن الأُمور يكون تأثيرها أعمق وأدوم في النفوس، وقد حمل الكلام أعلاه ذلك التعبير المبطن للإشارة إلى معنى يجول في خاطر صاحبه.

فقد كان هناك عدول عن التعبير المنفر للتخاذل الذي أصابهم في تلك المعركة، فكان ذلك العدول بقصد من المرسل، لأنه أراد توظيف الإشارة لأداء مهمة التبليغ، لأنها كفيلة بتوصيل ذلك المعنى بكامله من دون تجريح، وإنّما يترك أثراً في نفوسهم ويزيد من إصرارهم وعزمهم، إذ عمل المرسل على الإشارة إلى مراكز التحفيز لديهم، وذلك بذكر أمجاد آبائهم في الحروب الأُولى، وذكر لهم صفات تشعل

فيهم شرارة الحماس والانقياد نحو إعادة تلك الأمجاد.

فقد عمل ذلك الخطاب على خطين: تمثّل الأول بالتقريع الذي بطنه المخاطب بأُسلوب بليغ، إذ أنَّه كان يرى هزيمتهم أمام عدوهم، وكذلك هروبهم، وهذا ما يُعد خوفاً من مقارعة عدو ليس أفضل منهم قوة ولا تأريخهم بأفضل منهم تأريخاً، ثمَّ إن من حسن جمال تلك الإشارة التي وظفت في النص أنَّ المتكلم لم يذكر لهم الهروب والهزيمة أمام عدوهم، في حين أنَّه ذكر لهم صفات عدوهم تصريحاً (تحوزكم الجفاة الطغام، وأعراب أهل الشام) وكلّها تعبّر عن الذمّ، فأراد توصيل مراده، أنَّهم لا يدنونكم فضلاً ولا شرفاً، وتلك هي صفاتهم، فما الذي حدا بكم أمامهم نحو الهزيمة والهروب؟.

فقد ورد الخطاب بالخط الأول بتلك الصيغة، إنّما أراد لهم محاسبة أنفسهم والتفكير بما قاله، وتلك أهمّ صفات الخطاب الناجح بأن تشغل تفكير المتلقي حتى بعد الانتهاء، ليكون تأثيرها مستمراً.

وتمثّل الخط الثاني بترك التلميح والعدول به نحو التصريح، عكس الخط الأول، فقد صرح لهم بصفات من سبقهم وذكرهم بأصلهم الذي انحدروا منه قائلاً: (وأنتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والأنف المقدم والسنام الأعظم). فتلك صفات كانت تميزهم عن غيرهم في الشجاعة والكرم وقوة البأس والصلابة، وتقدمهم على الأُمم، وقد أشار إلى فضلهم على سائر الأُمم بقوله: (ويآفيخ الشرف)، واليآفيخ هو أعلى الرأس، إذ يمثل نقطة التقاء الجزء الأمامي منه بالجزء الخفي، ويعد القمة الهرمية للجسم، وهذه من أروع الإشارات التي أنتجها

المرسل لتمنح المتلقي طاقة إيجابية للتفاعل مع ذلك النص.

وقوله (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا»[٤٢].

عندما يلجأ المخاطب إلى توظيف الإشارة فإنّه يسعى إلى منح المتلقي مساحةً واسعةً من التأمل والتفكير والمساهمة في العملية الإنتاجية للنص، وذلك عبر تفكيك ذلك النص والعمل ثانية على جمعه بطرائق مختلفة، كلاً بحسب فهمه له.

وهنا أراد الإشارة إلى أُمور مختلفة، إذ منح النص دلالات متعددة، فمن المهام الأساسية لمن يتولى أمر الرعية الحفاظ على مصادر العطاء والعمل على تنشيطها باستمرار، إذ تمثل الثروة الطبيعة لذلك البلد، وتعتبر المحرك لمختلف الطاقات في ذلك البلد ليساهم في تقدمه وازدهاره، لأن العناية بالجباية فقط يقود إلى إهمال المنبع الرئيسي لذلك العطاء، مما ينعكس سلباً على الدولة وشعبها، ولذا كان للإشارة الدور الرئيس في إبلاغ تلك المعاني وإبرازها (والتفاوت بين مبدع ومبدع، لا يكمن في الكلمات التي يستعملها هذا أو ذاك؛ بل في طريقة نسجها في أحيازها الزمنية والمكانية، على الرغم من أنَّ اللغة لا تخلو من جدليات أزلية، فإنّها في حدِّ ذاتها بريئة من أي انحراف أو استقامة في استعمالها، فكلماتها وصورها لا تنفد))[٤٣].

الهوامش

١) ينظر: استدعاء صورة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في قصائد الشعراء المعاصرين، مرتضى عبدالنبي علي الشاوي/ ٢٤١.

٢) ينظر: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، توفيق الزيدي/ ١١٧.

٣) ينظر: اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد/ ٣٧.

٤) المجاز وأثره في الدرس اللغوي، محمد بدري عبدالجليل/ ٥٠.

٥) لسان العرب ٤/ ٤٣٧، مادة (شور).

٦) البيان والتبيين، الجاحظ ١/ ٧٧- ٧٨.

٧) ينظر: النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، فاطمة الطبال بركة/ ٤٨.

٨) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني/ ٣١٦- ٣١٧.

٩) دلائل الإعجاز، الجرجاني/ ٤٨٣.

١٠) أسرار البلاغة، الجرجاني/ ٣٧٦.

١١) المستصفى من علم الأصول، الغزالي/ ٤٨.

١٢) ينظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى/ ١٧٤.

١٣) ينظر: مفهوم الدلالة المفهومية، هادي خلف رسن/ ٢٩٣.

١٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهمة، كمال المهندس/ ٤٢.

١٥) علم الإشارة بييرجيرو، تر: منذر عياشي/ ٩.

١٦) المؤول والعلامة والتأويل، سعيد بنكراد/ ٩٣.

١٧) المصدر نفسه/ ٩٣.

١٨) بير أو سوسير، جيرار لودال، تر: عبد الرحمن بن علي/ ١٢٣.

١٩) المؤول والعلامة والتأويل، سعيد بنكراد/ ٩٦.

٢٠) المصدر نفسه/ ٩٧.

٢١) دروس في السيميائيات، حنون مبارك/ ٤٧.

٢٢) علم اللغة العام، فردينان دي سوسير/ ٨٤- ٨٥.

٢٣) المصدر نفسه/ ٩١.

٢٤) علم اللغة العام/ ١٥٨.

٢٥) البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكز، تر: مجيد الماشطة/ ٢٣.

٢٦) ينظر: الإشاريات في وسائل الأدباء ومرجعياتها بين قصد المرسل وتأويل المتلقي، رحاب فيصل عبدالوهاب المناع/ ٤.

٢٧) في معرفة النصّ، يمنى عبيد/ ٣٠.

٢٨) ينظر: طبيعة الإشارة الجمالية، خرابتشنكو باختين، تر: مصطفى عبود/ ٩.

٢٩) ينظر: علم الإشارة/ ١٥.

٣٠) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، محمد الأمين موسى/ ٣٨.

٣١) المصدر نفسه/ ٣٦.

٣٢) شرح نهج البلاغة ٩/ ٦٠.

٣٣) ينظر: مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، أميرة حلمي مطر/ ٩.

٣٤) شرح نهج البلاغة ١٧/ ٩٢.

٣٥) المصدر نفسه ٦/ ٤١١.

٣٦) المصدر نفسه ٤/ ٢٤٢.

٣٧) الأداء النفسي واللغة العربية، عبد الرؤوف السعد/ ٢٨٨- ٢٨٩.

٣٨) شرح نهج البلاغة ٩/ ١٨٧.

٣٩) سورة الشعراء/ ١٥٧.

٤٠) شرح نهج البلاغة ١٠/ ٣٨٣.

٤١) المصدر نفسه ٧/ ١١٧.

٤٢) المصدر نفسه ١٧/ ٤٨.

٤٣) لسانيات النصّ والتبليغ، عبدالجليل مرتاض/ ١١.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، محمد الأمين موسى أحمد، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ط ١، ٢٠٠٣ م.

٢. الأداء النفسي واللغة العربية، عبد الرؤوف أبو السعد، دار النمر للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥ م.

٣. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط ١، ١٤١٢ هـ- ١٩٩١ م.

٤. البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكز، تر: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ١٩٨٦ م.

٥. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨ م.

٦. بيرس أو سوسير، م جيرار لودال، تر: عبد الرحمن بوعلي، العرب والفكر العالمي، العدد: ٣، ١٩٨٨ م.

٧. دروس في السيميائيات، حنون مبارك، دار توبقال للنشر، المغرب، ط ١، ١٩٨٧ م.

٨. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخاني، القاهرة، ١٤١٠ هـ.

٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد إبراهيم، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

١٠. طبيعة الإشارة الجمالية، ميخائيل خرابتشنكو، تر: مصطفى عبود، دار الهمداني، عدن، ط ١، ١٩٨٤م.

١١. طبيعة الإشارة الجمالية، ميخائيل خرابتشنكو، تر: مصطفى عبود، دار الهمداني، عدن، ط ١، ١٩٨٤م.

١٢. علم الإشارة السيميولوجيا، بييرجيرو، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط ١، ١٩٨٨ م.

١٣. علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، تح: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية،

بغداد، ط ١، ١٩٩٥ م.
١٤. في معرفة النص، يمنى العيد، دار الأوقاف الجديدة، ط ٣، بيروت، (د. ت).
١٥. لسانيات النص والتبليغ، عبد الجليل مرتاض، منشورات دار الأديب، ٢٠١١ م.
١٦. اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٥ م.
١٧. المجاز وأثره في الدرس اللغوي، محمد بدري عبدالجليل، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.
١٨. المستصفى من علم الأُصول، أبو حامد الغزالي، تح: مصطفى أبو العلاء، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، ١٩٧١ م.
١٩. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤ م.
٢٠. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بـ (الراغب الإصفهاني)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- سوريا.
٢١. مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، توفيق الزيدي، عيون المقالات، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٨٧ م.
٢٢. مقدمة في علم الجمال، أميرة حلمي، دار النهضة العربية، ١٩٧٢.
٢٣. النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.
٢٤. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د. ت).

المجلات:

١) المؤول والعلامة والتأويل، سعيد بنكراد، فكر ونقد، العدد: ١٦، ١٩٩٠ م.
٢) الإشارات في رسائل الأُدباء ومرجعياتها بين قصد المرسل وتأويل المتلقي، رحاب فيصل عبد الوهاب المناع، مجلة آداب البصرة، كلية الآداب/ جامعة البصرة، العدد: ٨٩، ٢٠١٨ م.
٣) مفهوم الدلالة المفهومية، هادي

خلف رسن، مجلة حولية المنتدى، جامعة البصرة، العدد: ٤١، كانون الثاني، ٢٠٢٠ م.
https://iasj.net/iasj/download/6dc 115708 5 155 e04

٤) استدعاء صوت الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في قصائد شعراء معاصرين- نماذج مختارة من مهرجان الإمامين الجوادين، ٢٠١٢ م، مرتضى عبد النبي علي الشاوي، مجلة دار السلام للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، العدد: ١، مجلد: ٥، ٢٠٢٠ م.
https://drive-google.com/flle/d/1kof-4029b03tlmhkihghjfGB7pHpzq/view.

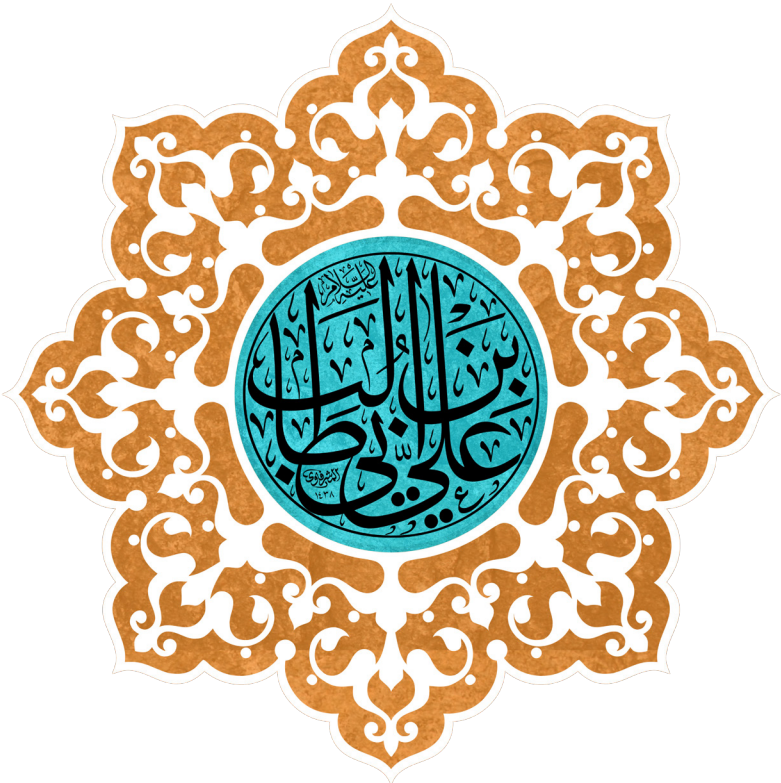

شذرات من كتاب نهج البلاغة ...

ومن خطبة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) منها في [رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)]: وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ[1]، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا[2]، وَفُطِمَ مِنْ رَضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.

معاني المفردات: ١. الأُسْوَة: القدوة. ٢. الاكناف: الجوانب. وزَوَى: قبض.

المصدر: نهج البلاغة ص ٣٤٦.

شذرات من كتاب نهج البلاغة ...

ومن خطبة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) [الاستنصار على قريش]: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ. فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي. ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

المصدر: نهج البلاغة ص ٣٨٢

المنهج التصويبي عند علي أمير المؤمنين (عليه السلام) للغة
مقاربة في ضوء مفهومي الكفاءة والأداء

Imam Ali's (pb) Corrective Approach of Language
An Approach in The Light of Efficiency and Performance Concepts

د. عمّار حسن الخزاعي

مديرية تربية كربلاء المقدسة

Dr. Amar Hassan al- Khuzai

Holy Karbala Education Directorate

ملخص البحث

عمل علي أمير المؤمنين (عليه السلام) على التأسيس للأمن اللغوي على وفق أسسٍ متقنةٍ لا زالت حاكمةً إلى اليوم، وذلك بالاعتماد على بناء قواعد ضابطةٍ مهمَّتها تنظيم الذّهنيَّة للمستعمل العربي، وإصلاح ما فسد من كفاءته في صناعة الاستعمال اللغوي، ثمَّ ضبط الأداء الاستعمالي على وفق تلك القواعد الكامنة في الذهن، وذلك عن طريق المراقبة اللغوي للمستعمل في اللغة أثناء أدائه، وقد اعتمد أمير المؤمنين (عليه السلام) في جُلِّ تصويباته على المرجعيَّة القرآنيَّة، بوصفها النمط الأعلى فصاحةً والأكمل إتقانًا على مستوى صناعة الكلام، هذا من جهةٍ ومن جهةٍ أُخرى يمكن أن نربط استناد أمير المؤمنين (عليه السلام) على المرجعيَّة القرآنيَّة في التصويب اللغوي بقصديَّة توثيق العلاقة بين المجتمع التخاطبي للمسلمين مع القرآن الكريم بوصفه الكتاب المقدَّس وأساس التشريع لهم، وهكذا ارتباط يؤدِّي إلى ديمومة التواصل المباشر بين لغة القرآن ومجتمعها العربي.

Abstract

Imam Ali (pb) is the founder of linguistic security based on solid foundation, which remain till today.

By relying on rules governing Arabian speaker mindset, reclamation his efficiency in linguistic industry use, then control the linguistic performance.

Imam Ali (pb) on the Holy Quran in correction, sine It's the typical text in speech production to strengthen the relationship between Muslims and Quran, which leads to continuity of direct communication between the Quranic language and Arabic society

المقدِّمة:

أثبتت المصادر أنَّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو أوَّل من وضع أسسًا للتصويب اللغوي وضبط إيقاع المستعمل العربي على وفق مقررات اللغة الفصيحة، وقد حدث ذلك أثناء تواجده في مدينة البصرة ما بين الثاني والعشرين من جمادى الأولى وأوائل رجب لسنة ٣٦هـ، وذلك أثناء إصلاحه لفتنة الناكثين في معركة الجمل، ومن الملاحظ أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن مشغولًا بالحرب وتنظيم الأمن فحسب؛ بل عمد إلى مراقبة الانحرافات على أعلى المستويات وصولًا إلى أعلى درجات الأمن الحياتي في المجتمع، ومن تلك الانحرافات الخلل في الاستعمال اللغوي الناتج من الابتعاد عن المستوى الفصيح للغة بظهور اللحن في الاستعمال اللغوي بين جمهور الناطقين، ومن هنا بدأ بمشروعه في التأسيس للأمن اللغوي عبر مستويين: الأول ضبط الكفاءة اللغويَّة للمستعمل العربي عبر تقنين القواعد الذهنيَّة الضابطة للاستعمال على وفق المنظومة الفصيحة، والآخر التدقيق في استعمال الناطق العربي ومراقبة أدائه في اللغة مع تحديد الانحرافات التي يمكن أن تصيبه وتصويبها على وفق المرجعيَّة القرآنيَّة الأعلى نظمًا وفصاحةً في الاستعمال العربي. وقد فرضت مادَّة الدِّراسة وموضوعها خطَّةً توزعت على مقدِّمةٍ يليها تمهيد تكفَّل بعرض مفهومي الكفاءة والأداء وعلاقتهما بالمستوى التصويبي داخل المنهج التوليدي. ثمَّ المبحث الأوَّل الذي درس أثر أمير المؤمنين (عليه السلام) في تقويم الكفاءة اللغويَّة لدى المستعمل العربي، وذلك عبر استقراء مجموعةٍ من الأمثلة الكاشفة

عن ذلك، بعدها جاء المبحث الثاني الذي عرض أثر أمير المؤمنين (عليه السلام) في تصويب الأداء لدى المستعمل العربي عبر المراقبة الفعليَّة لأدائه في الحدث الكلامي. ثمَّ خُتِم البحث بخاتمةٍ ضمَّت أهم النتائج التي توصَّلت إليها الدِّراسة، وقد اعتمت في هذه الدِّراسة على جملةٍ من المصادر تنوَّعت ما بين القديم والحديث.

التمهيد:

الكَفَاءَةُ اللُّغَوِيَّةُ: (Competence) **وَالأَدَاءُ الكَلَامِي** (Performance):

الكفاءة والأداء، مصطلحان أصَّل لهما (جومسكي) في منهجه التوليدي التحويلي، وهما يُقابلان ثنائية سوسير (اللغة والكلام)، فاللغة التي هي النظام تقابل الكفاءة، وأمَّا الأداء فهو يُقابل الكلام بمفهومه الاستعمالي الفعلي للغة، وقد أصَّل (جومسكي) لهذين المصطلحين فقال عن الكفاية اللغوية بأنَّها: قدرة المستعمل المثالي على أن يؤلِّف بين الأصوات اللغوية وبين المعاني، في تناسق وثيق مع قواعد لغته[1]، أو هي: ((القدرة التي تتكوَّن لدى الفرد المتكلِّم، وتمكنه من التعبير عن نفسه، والإتيان بعددٍ لا نهائي من الجمل))[2]. فالكفاءة هي قدرة كامنة في ذهن المتكلِّم يستطيع بها انتاج عددٍ هائلٍ من الجمل من عددٍ محدودٍ من الفونيمات الصوتيَّة، ثمَّ الربط بين الأصوات وتجمعاتها في المورفيمات، وبعد ذلك ربط هذه المكونات بمعنى لغوي محدَّد، وكلُّ ذلك عمليات ذهنية يجمعها عنوان (قواعد إنتاج اللغة)[3]. وفي هذه المرحلة يبدأ الحديث مع (جومسكي) عن أصوليَّة الجملة ومقدار قبولها في الاستعمال، وعلى أساس ذلك انقسمت الجمل على: أصولية، وهي التي توافق قواعد اللغة، وغير أصوليَّة، وهي التي

حدث فيها خرق قواعدي، سواء أكان في المستوى الصوتي أم التركيبي أم الدَّلالي، وكل ذلك على مستوى قواعد الكفاءة اللغوية.

أمَّا مصطلح الأداء الكلامي فهو: ((التحقيق العيني لهذا التمكُّن اللغوي، أي الكلام المنطوق أو المكتوب الذي قد يختلف أو يتَّفق وقواعد اللغة بشكلٍ أو بآخر، تبعًا لظروف الكلام أو المتكلِّم))[٤]، أو هو ((الاستعمال الآني للغةِ ضمن سياقٍ معيَّن))[٥]، وفي هذه المرحلة ينطلق المتكلِّم من القواعد والأنظمة القارَّة في كفاءته اللغوية بصورة طبيعيَّة؛ فيؤسِّس لبناء كلامه على القوالب الشكلية التي ترسم الصورة الخارجيَّة للكلام بحسب قصديَّة المتكلِّم والظروف المحيطة به، وقد ميَّز (جومسكي) بين الكفاءة والأداء عن طريق حصر الكفاءة اللغوية بالمعرفة الضمنية لقواعد اللغة، وهي قائمة في ذهن كلِّ مستعملٍ للغة[٦]، في حين أنَّ الأداء هو استعمال هذه المعرفة في صناعة الكلام[٧]، ومن هنا صارت الكفاءة مقنِّنَة ومنظِّمَة لعملية الأداء[٨] بما تمتلك من قواعد وقوانين ضابطة، وكما يتخلَّل الانحراف والخرق إلى القواعد الذهنية الكامنة تحت مفهوم الكفاءة؛ كذلك يشوب الأداء الانحراف في بعض الأحيان فينتج جملًا غير مقبولة من لدن المحيط اللغوي[٩]، ولكي يَتُمَّ التفريق بين الانحراف في الكفاءة وبين الانحراف في الأداء صار مصطلح (أصوليَّة الجملة) مرتبطًا بمرحلة الكفاءة خاصَّة، ومصطلح (قبول الجملة) مقيَّدًا بالأداء[١٠].

فالتقويم التصويبي في المنهج التوليدي أراه يسير بمستويين: الأول، يتولَّى تصويب الكفاءة اللغويَّة لدى المتكلِّم، وهنا يظهر مفهوم (القواعد الكلية)[١١] التي من شأنها ((ضبط

الجمل المنتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة، تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم ويختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأُطر الكليَّة العامة في ذهنه))[١٢]، وقد وصف (جومسكي)، هذه القواعد بأنَّها: ((كليَّة شمولية عالمية (Universals) متساوية بين بني البشر، تكون في الإنسان منذ ولادته))[١٣]، ومجال عملها في البنية العميقة للكلام، ومنها تنبثق شروط صياغة قواعد اللغات[١٤]، وفضلًا على ما ذُكر آنفًا فإنَّ هذه القواعد تتبنَّى مهمَّة التصويب فتعمل على ((ضبط الجمل بعد توليدها لتجعلها جملًا نحوية أو غير نحوية Grammatical or Ungrammatical Sentences)) يدركها المتعلم والسامع المثالي في لغةٍ معينةٍ (Native Ideal Speaker))[١٥]، ثمَّ ضرب (جومسكي) مثالين ليبيِّن الوظيفة التصويبية لهذه القواعد فقال[١٦]:

١- الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة.

٢- بشدة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار

فالجملة الأُولى يدركها المتكلِّم والسامع بأنَّها بلا معنى، ولكنَّها تنتظم طبقًا للقواعد العامَّة، أمَّا الجملة الثانية فهي بلا معنى ولا انتظام ولذلك فهي ليست (جملةً نحوية)[١٧]. هذا على مستوى القواعد الكليَّة التي من شأنها محاكاة جميع اللغات بما تحمل من مشتركاتٍ عامَّة من قبيل التفريق بين الاسم والفعل، والتمييز بين التنكير والتعريف[١٨] وغيرها، أمَّا لو اتَّجهنا بالكلام صوب ما يخصُّ اللغة العربية بما تحمل من مستويين: الفصيح (المستوى العالي النقي) والعامِّي المتداول، فإنَّه من المؤكَّد أنَّ الكفاءة لدى المتكلِّم العربي قد تسلُّل الانحراف إلى بعض

أنظمتها ومكوناتها، وهذا مع الإيمان الكامل بأنَّ منشأ الكفاءة فطري في داخل الإنسان، إلَّا أنَّه من الطبيعي أن تنحرف تلك الكفاءة من مستوًى لغويٍّ إلى آخر بحسب الظروف المتحكِّمة بالمحيط الكلامي، ممَّا يؤدِّي إلى تغيُّرٍ في أنظمة الكفاءة لدى المتكلِّم لتتلاءم والمستوى الجديد، ومن هنا ينشأ الانحراف ويبدأ الخرق بالمقارنة مع المستوى الأول للغة، ولا سيَّما فيما لو كان المستوى الأول هو المستوى الأعلى والأنقى في الاستعمال، ولكي يحدَّ المراقب من تلك الانتقالات ويسيطر على الفجوة بين المستويين وضع القواعد المعيارية المستندة على المستوى العالي في اللغة، بغية إعادة الحياة للمستوى الفصيح عن طريق إجبار المتكلِّم على التقيُّد بها في حديثه.

وحين بدأ اللحن في العربية وصار ينتشر في كلِّ مستوياتها، بدأ التشوه يظهر جليًّا في الكفاءة اللغوية عند العربي بالمقارنة بما كان عليه من فصاحةٍ وبلاغة، فخُرقت القوانين والأنظمة المنتجة للمستوى الفصيح، وصارت تتقبَّل المستوى العامِّي الهجين وتتعامل به؛ بل أصبحت تلوي قواعدها وأنظمتها لتتَّسق والتداول الجديد، ومن هنا كان لابدَّ من استنباط أسس الكفاءة اللغوية وقواعدها المنتجة للمستوى الفصيح، من أجل السيطرة على انحراف الكفاءة نحو المستوى العامِّي، وكذلك الاحتفاظ بصورة المستوى الفصيح في التداول ولو على النطاق الضيق، وكان نتيجة ذلك أن اجتهد اللغويون العرب فسجَّلوا الكلام الفصيح واستنبطوا قواعده وأنظمته، ثمَّ صاروا يشيعونها بين الناس.

أمَّا المستوى الآخر في التصويب داخل المنهج التوليدي فنجده في

الأداء، الذي هو الصورة الفعلية للكلام، ويكون التصويب فيه بحسب ما اقترحه (جومسكي) بآلية الحدس (Intuition) ((الذي به يستطيع الباحث أن يصل إلى نية المتكلم القادر على إنتاج الجمل من جهة، وعلى الحكم بصحة أو خطأ ما يسمعه من جمل من جهة أخرى))[١٩]، وإليه يرجع الحكم في تحديد مقدار قبول الجملة[٢٠]، وقد عُرِّف بأنَّه ((مقدرة المتكلم على أن يدلي بمعلوماتٍ حول مجموعةٍ من الكلمات المتعاقبة؛ من حيث هي تؤلف جملةً صحيحةً في اللغة، أو جملةً منحرفةً عن قواعد اللغة))[٢١]. فالحدس، مقياسٌ يتولَّى تحديد مدى سلامة الجمل بصورها الكلاميَّة الخارجيَّة في إطار التداول بين المستعملين، وهو بهذا التحديد في منطقة العمل صار نقطةً رئيسةً في التمييز بين (الكفاية اللغوية، والأداء الكلامي)[٢٢]. وهناك من دعا إلى التمييز بين حدس المتكلِّم وبين الحدس الألسني، فجعل مجال الأول الكشف عن مقدار درجة الكفاءة اللغوية التي يتمتَّع بها المتكلِّم في صياغته لكلامه، ومقدار درجة التقييم عنده بين المقبول وغيره، وأمَّا الآخر، فقيده بدراسة المادَّة اللغوية على وفق النظريات العلمية وتقنياتها المعرفية[٢٣]. وبعد أن بيَّنا مفهومي الكفاءة والأداء سندرس أثر أمير المؤمنين (عليه السلام) في تقويم هذين المفهومين وتصويبهما.

المبحث الأول:
أَثَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيهِ السَّلَامُ) في تَقْوِيمِ الكَفَاءَةِ اللغَوِيَّةِ لَدَى الْمُسْتَعْمِلِ العَرَبِي

بعدما قوي الإسلام وصار ينتشر في البلدان، وأصبح النَّاس يدخلون في دين الله أفواجًا على اختلاف أجناسهم وألوانهم وهوياتهم، ومن

الطبيعي أن يحدث نتيجة ذلك التلاقح الثقافي بين فئات المجتمع بعدما صار مكوَّنًا من جماعاتٍ تنتمي لثقافاتٍ متنوعة، وكان من نتائج ذلك التواشج بين الثقافات والاختلاط بالأجناس الأخرى أن فسدت كفاءة العربي اللغويَّة، وصار اللحن يتفشَّى على لسانه وخصوصًا في مراكز المدن، وهذا اللحن كان نذيرًا للمراقب العربي بأن يحزم كلَّ ما يتمتَّع به من قوَّةٍ وبأسٍ في محاولاتٍ جادَّةٍ لتقويم كفاءته اللغوية، والعودة بها إلى ما كانت عليه في زمن الفصاحة، ومن أوَّل المراقبين لبدء تفشِّي الفساد في كفاءة العربي اللغويَّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، عندما كان في البصرة، إذ اكتشف تشوه الكفاءة اللغوية عن طريق ظهور اللحن لدى المستعملين في مجتمع البصرة، وهناك أعلن عن اللبنات الأولى في تخطيطه اللغوي وسياسته في حفظ اللغة العربية، وكان مشروعه (عليه السلام) تأصيلًا لبداية نشأة العلوم اللغوية عند العرب. أمَّا أهم السِّمات المنهجيَّة لمشروع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تقويم الكفاءة اللغوية لدى العربي فيمكن أن نجملها بالآتي:

١. المراقبة الدقيقة للتداول اللغوي عند المستعمل العربي، وهذا يظهر فيما نُقل عنه: ((إنِّي تأمَّلت كلام الناس؛ فوجدتُه قد فسد بمخالطة هذه الحمراء -يعني الأعاجم-))[٢٤]، والتأمُّل يعني المراقبة والتتبُّع وإعمال الفكر، وهذا يعني أنَّ الأمر لم يأتِ اتفاقًا؛ بل كان على وفق تخطيطٍ مستند على واقعٍ محسوسٍ وملموس.

٢. تأسيس المباني الأولى المقوِّمة للكفاءة اللغوية، وقد انتهى أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى اجتراح الأصول المقنِّنة للقواعد الضابطة

للكفاءة اللغوية، معتمدًا في ذلك على منظومة المستوى الفصيح الذي يمثِّل المستوى الأعلى للتداول في العربية، وكان يهدف إلى وضع كتابٍ يعصم به النَّاس ألسنتهم من اللحن في القول، وقد نقل أَبُو الأَسْوَدِ (ت: ٦٩ هـ) هذا المعنى فقال: «دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَرَأَيْتُهُ مُطْرِقًا، فَقُلْتُ فِيمَ تتفكر يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ بِبَلَدِكُمْ لَحْنًا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَضَعَ كِتَابًا فِي أُصُولِ الْعَرَبِيَّةِ، فَقُلْتُ: إِنْ فَعَلْتَ هَذَا أَحْيَيْتَنَا، فَأَتَيْتُهُ بَعْد أَيَّام، فَأَلْقَى إِلَيَّ صَحِيفَةٍ»[٢٥]، وفي نصٍّ آخر يُصرِّح أمير المؤمنين (عليه السلام) بغرضه من مشروعه في اللغة فيقول: «أحببتُ أن أرسم كتابًا من نظر إليه ميَّز بين كلام العرب وكلام هؤلاء»[٢٦]، أي الأعاجم، وفي نقلٍ آخر قال: «فأحببتُ أن أرسم رسمًا يُعرف به الصواب من الخطأ»[٢٧]. وهذه الصحيفة حملت الأصول المؤسِّسة التي اجترحها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وممَّا جاء فيها:

أ. تقسيم الكلام على ثلاثة أصول، ثمَّ تعريف كلِّ أصلٍ بما يُميِّزه من غيره، وفي ذلك يقول (عليه السلام): «**الْكَلامُ كُلُّهُ: اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ؛ فَالاسْمُ مَا أَنْبَأَ عَنِ الْمُسَمَّى، وَالْفِعْلُ مَا أَنْبَأَ عَنْ حَرَكَةِ الْمُسَمَّى، وَالْحَرْفُ مَا أَنْبَأَ عَنْ مَعْنًى لَيْسَ بِاسْمٍ وَلا فِعْلٍ**»[٢٨].

ب. تصنيف الاسم إلى أقسامه الرئيسة، وذلك بقوله لأبي الأسود: «**وَاعْلَمْ يَا أَبَا الأَسْوَدِ أَنَّ الأَسْمَاءَ ثلاثة: ثَلاثَةٌ: ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ، وَشَيْءٌ لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلا مُضْمَرٍ، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْرِفَةِ مَا لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلا مُضْمَرٍ**»[٢٩]، فالاسم الظاهر: كرجلٍ وفرسٍ وزيدٍ وعمرو وما أشبهه، وأمَّا المضمر فنحو أنا وأنت والتاء في فعلت والياء في غلامي والكاف في ثوبك وما أشبه ذلك، وأما الشيء

الذي ليس بظاهر ولا مضمر فهو المبهم، نحو هذا وهذه وهاتا وتا ومن وما والذي وأي وكم ومتى وأين وما أشبه ذلك[٣٠].

ج. التأسيس لبيان الأحكام الإعرابية وعلاماتها من رفعٍ ونصبٍ وجرٍ، ومن المعروف أنَّ هذه الأحكام تمثِّل لُبَّ القواعد الضابطة للغة العربية، ذلك بأنَّ مدار النحو العربي يدور حول معرفة هذه الأحكام ومسبباتها وعللها، وهذا نجده في إشارة أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أبي الأسود بقوله: «اجعل للناس حروفًا، وأشار له إلى الرَّفع والنَّصب والجرِّ»[٣١]، وهنا يضع أمير المؤمنين (عليه السلام) يده على جوهر المشكلة، فهو لَمَّا أحسَّ بتسرُّب الفساد إلى الكفاءة اللغوية عند العربي، بحيث أصبح لا يميِّز الإعراب في الكلام على السجيَّة والطبع، وضع له أمير المؤمنين (عليه السلام) رموزًا في الخطِّ تشيرُ إليه، بغية أن يتعلَّمها فتنصلح كفاءته من جديد ويصبح يتداول اللغة بشكلٍ صحيح، وهكذا يحدُّ من تفشِّي اللحن ولو على سبيل التعلُّم.

٣. لم يتوقف مشروع أمير المؤمنين (عليه السلام) التصويبي لكفاءة العربي اللغوية عند سنِّ الأصول والقواعد الضابطة للاستعمال؛ بل تعدَّى ذلك إلى التعديل على الخطِّ العربي، وخصوصًا خطِّ المصحف الشريف؛ ليكون سهل التداول بالصورة العربية السليمة بين المستعملين، وكان التعديل يقتضي وضع رموز على الحروف تشير إلى الحركات (الضمة، الفتحة، الكسرة)، وقد تبنَّى تنفيذ هذه المهمَّة أبو الأسود الدؤلي، أمَّا آليتها فهي كما وصفها أبو الأسود لكاتبه بقوله: «إِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ فَتَحْتُ فَمِي بِالْحَرْفِ فَانْقُطْ نُقْطَةً أَعْلاهُ،

وَإِذَا رَأَيْتَنِي ضَمَمْتُ فَمِي فَانْقُطْ نُقْطَةً بَيْنَ يَدَيِ الْحَرْفِ، وَإِنْ كَسَرْتُ فَانْقُطْ تَحْتَ الْحَرْفِ، فَإِذَا أَتْبَعْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ غُنَّةً فَاجْعَلْ مَكَانَ النُّقْطَةِ نُقْطَتَيْنِ»[٣٢]، فكان ((أوَّل من وضع العربية))[٣٣]، و((أوَّل من نقط المصحف))[٣٤]، وقد أكَّد هذا المعنى أبو العباس المبرد (ت: ٢٨٥ هـ) بقوله: ((أوَّل من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي))[٣٥]، وعن المبرِّد أيضًا أنَّ أبا الأسود سُئل عمَّن نهج له هذا الطريق ولقنه ذلك العلم، فقال: تلقيته عن علي بن أبي طالب[٣٦]. وقد تواترت المصادر في القول إنَّ أبا الأسود هو أوَّل من وضع العربية، وهذا منقول عن أكابر القرَّاء من قبيل: عاصم بن أبي النَّجود (ت: ١٢٩ هـ)[٣٧]، وعن أبي بكر بن عيَّاش (ت: ١٩٣ هـ)[٣٨] ونُقل أيضًا عن جمعٍ من النحويين كأَبي عُبَيْدَة معمر بن المُثَنَّى (ت: ٢٠٩ هـ)[٣٩]، والمبرِّد كما سبق، وعن غيرهم أيضًا، وعلى الرغم من هذا التواتر وكثرة المصادر الناقلة له يقول الدكتور شوقي ضيف معلِّقًا على ما تمَّ نسبته لأبي الأسود من وضع العربية: ((وشبه على بعض القدماء والمحدثين أنَّه وضع شيئًا من قواعد النحو، والحقيقة أنَّه لم يضع منها شيئًا))[٤٠]، على أنَّه لم يقدِّم ما يُثبت هذا الاشتباه أو الحقيقة التي صورتها له مخيلاته الطائفية كما سيأتي ذلك.

٤. وبعد أن هيَّأ أمير المؤمنين (عليه السلام) مشروعه الإصلاحي في اللغة، صار لابدَّ من اختيار شخصية مناسبة تدير هذا المشروع بين النَّاس وتعمل على تطويره؛ لكونه (عليه السلام) مشغولًا بإدارة البلاد وعلى رأسها وأد فتن ذلك العصر، وقد وقع الاختيار على أبي الأسود الدؤلي[٤١]، لما يتمتَّع به من سماتٍ أهلته لهذه المهمَّة، فهو: ثقة

في حديثه[٤٢]، جليل في قدره[٤٣]، «مَأْمُونٌ عَالِمٌ يُرْوى عَنهُ الْفِقْه»[٤٤]، وهو من كبار التابعين[٤٥]؛ بل من ساداتهم وفقهائهم ومحدِّثيهم[٤٦]، وهناك من عدَّه من الصحابة الذين أدركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونصُّوا على إسلامه في حياته (صلى الله عليه وآله)[٤٧]، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام[٤٨]، وقد أطال الجاحظ في مدحه (ت: ٢٥٥ هـ)، وممَّا قال فيه: شاعرٌ شيعيٌّ داهيةٌ[٤٩]، أريبٌ وحكيمٌ وأديب[٥٠]، من المقدَّمين في العلم[٥١]، يتمتَّع بشدة العقل وصواب الرأي وجودة اللسان[٥٢] وحضور الجواب، شريفٌ وفارس وأمير، وهو في كلِّ ذلك مقدَّمٌ ومأثورٌ عنه الفضل[٥٣]، وقال غيره: ((له شعرٌ حسنٌ، وجوابٌ حاضر، وأخباره مشهورةٌ، وكلامه كثير الحكم والأمثال))[٥٤]، وكان ذا دينٍ وعقلٍ ولسانٍ وبيانٍ وفهم وحزم[٥٥]، ومن القرَّاء للقرآن الكريم[٥٦]، وكان من أكمل الرجال رأيًا وأرجحهم عقلًا[٥٧]، عمل في القضاء فكان قاضي البصرة[٥٨]، وكان مشهورًا بصحبة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ومحبَّته ومحبَّة أهل بيته[٥٩].

وفوق كلِّ ذلك كان أبو الأسود الدؤلي عالِمًا في اللغة عارفًا بأسرارها، سليم الكفاءة اللغوية، صحيح الطبع والسليقة؛ لأنَّه شاعرٌ مخضرمٌ، وهذه الأبعاد في شخصية أبي الأسود أهلته لأن يحظى باختيار أمير المؤمنين (عليه السلام) في تنفيذ مشروعه التصويبي لكفاءة العربي اللغوية، ومن الجدير بالذكر أنَّ أبا الأسود كان واعيًا بمشروع أمير المؤمنين (عليه السلام) اللغوي، عارفًا بأهميَّته على صعيد حفظ الهوية واللغة العربية، وهذا يظهر جليًّا في ردِّه لأمير المؤمنين (عليه السلام)

عندما أخبره بمشروعه التصويبي للغة العربية، وذلك بقوله: ((إِنْ فَعَلْتَ هَذَا أَحْيَيْتَنَا وَبَقِيتَ فِينَا هَذِهِ اللُّغَةُ))[٦٠]، فقوله: (أحييتنا) تشعر بأنَّ أبا الأسود قد وعى مشروع أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهميَّته في إحياء هوية العرب بلغتهم العربية، بعدما تسلَّل الفناء لبعض مفاصلها، وكذلك وعى أبو الأسود أهميَّة ما قدم عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في حفظ اللغة وديمومتها. وبذلك استحقَّ أبو الأسود التكليف بهذه المهمَّة؛ لما كان يتمتَّع به من وعي وإدراك.

٥. ونتيجةً لما تمَّ عرضه من مؤهلاتِ أبي الأسود الدؤلي أعطاه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الأصول التي سنَّها، وقد ((رسم أصول النحو كلَّها))[٦١]، ومنها: أبواب ((الفاعل والمفعول به، والمضاف، والنصب، والرفع، والجر، والجزم))[٦٢]، ثمَّ قال له: «**تَتَبَّعْهُ وَزِدْ فِيهِ مَا وَقَعَ لَكَ، وَاعْلَمْ يَا أَبَا الأَسْوَدِ أَنَّ الأَسْمَاءَ ثَلاثَةٌ: ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ وَشَيْءٌ لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلا مُضْمَرٍ، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْرِفَةِ مَا لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلا مُضْمَرٍ**»[٦٣]، وهنا يُجيز أمير المؤمنين (عليه السلام) أبا الأسود في السعي لتفريع الأصول التي اجترحها له، بعد أن ((علَّمه العوامل والروابط، وحصر كلام العرب، وحصر الحركات الإعرابية والبنائية، وكان أبو الأسود كيسًا فطنًا ذهنًا فألف ذلك))[٦٤].

٦. لم يترك أمير المؤمنين (عليه السلام) مشروعه من دون رعايةٍ ومتابعةٍ منه؛ بل كان مشرفًا على عمل أبي الأسود، يُتابعه بالملاحظات والتقنين والتقويم، وهذا يظهر من قول أبي الأسود بعدما أمره الإمام بتقصِّي أصوله النحوية: «فَجَمَعْتُ مِنْهُ أَشْيَاءَ وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، فَكَانَ

مِنْ ذَلِكَ حُرُوفُ النَّصْبِ، فَذَكَرْتُ مِنْهَا: إِنَّ، وَأَنَّ، وَلَيْتَ، وَلَعَلَّ، وَكَأَنَّ، وَلَمْ أَذْكُرْ لَكِنَّ، فَقَالَ لِي: لِمَ تَرَكْتَهَا؟ فَقُلْتُ: لَمْ أَحْسِبْهَا مِنْهَا، فَقَالَ: بَلْ هِيَ مِنْهَا، فَزِدْهَا فِيهَا»[٦٥]، وفي نقلٍ آخر قال له: «تمِّم على هذا»[٦٦]، وتستمر رعاية أمير المؤمنين (عليه السلام) لأبي الأسود، فإذا ما أشكل عليه شيءٌ راجع أمير المؤمنين (عليه السلام) من أجل تصويبه وترصين تأليفه، ((وكلَّما وضع بابًا من أبواب النحو عرضه عليه))[٦٧]، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يُتابع عمله ويرشده إلى السليم من القواعد[٦٨]، ثمَّ أصبحت تلك الأصول مرجعيَّاتٍ للنحويين فيما بعد حتَّى أنَّ سيبويه (ت: ١٨٠ هـ) اقتبس شيئًا من تلك الأصول كما يشير إلى ذلك أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦ هـ) بقوله ناقلًا ما دار بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين أبي الأسود: ((وأمَّلَ عَلَيْهِ: الْكَلَام كُله لَا يخرج عَن اسْم وَفعل وحرف جَاءَ لِمَعْنى، وَهَذَا القَوْل أول كتاب سِيبَوَيْهِ، ثمَّ رسم أصُول النَّحْو كلهَا فنقلها النحويون وفرعوها))[٦٩].

٧. اشتقاق مصطلح (النحو) من لدن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بوصفه اسمًا لمشروعه التصويبي في اللغة العربية، ويمكن أن نتلمَّس ذلك في قوله (عليه السلام) لأبي الأسود عندما أمره بتتبُّع أصوله وتوسيعها، ولَمَّا امتثل أبو الأسود وجاءه ببعض القواعد ليعرضها عليه قال له: «**مَا أَحْسَنَ هَذَا النَّحْوَ الَّذِي نَحَوْتَ، وَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ النَّحْوُ نَحْوًا**»[٧٠]، ومن هنا انتشر مصطلح النحو واشتهر بوصفه اسمًا للقواعد اللغوية المقوِّمة للكفاءة والضابطة للاستعمال.

٨. لم ينضوِ مشروع أمير المؤمنين (عليه السلام) على الجانب النظري

فقط، وإنَّما أعطى الجانب العملي أهميَّةً قصوى، وقد بدأ بنفسه في تدريب الملاكات وتأهيلها لمستوًى تداوليٍّ بكفاءةٍ لغويةٍ منضبطة، وقد اعتمد على مرجعيَّة الخطاب القرآني في هذا التأهيل، وذلك عن طريق التدريب على القراءة السليمة للقرآن الكريم، وكان بنفسه يُشرف على تعليم القراءة للنَّاس، وممَّن تدرَّب على يديه في ضبط النطق السليم والقراءة الصحيحة الصحابي عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢ هـ)، الذي كان يفخر بتعلُّمه للقرآن على يديّ أمير المؤمنين (عليه السلام)[٧١]، وكذلك أبو الأسود الدؤلي، الذي أخذ القراءة عنه، ثمَّ أصبح قارئًا ومعلِّمًا يتتلمذ على يديه العلماء[٧٢]، وممَّن تتلمذ على يديه: وَلَدُهُ؛ أَبُو حَرْبٍ، وَنَصْرُ بنُ عَاصِمٍ اللَّيْثِيُّ، وَحُمْرَانُ بنُ أَعْيَنَ، وَيَحْيَى بنُ يَعْمَرَ، وعبد الله بن بريدة، وعمر مولى غفرة[٧٣]، وكذلك من الذين أهَّلهم ودرَّبهم أمير المؤمنين (عليه السلام) على السلامة اللغوية في التعامل مع الخطاب القرآني زر بن حبيش، الذي ينقل ذلك بقوله: ((قرأت القرآن من أوله إلى آخره في المسجد الجامع بالكوفة على أمير المؤمنين (عليه السلام))[٧٤].

ويستمرُّ التدريس ورعاية العلماء مع أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام)، ومن خيرة تلاميذهم حمران بن أعين (ت: ١٢٠ هـ) وأُبان بن تغلب (ت: ١٤١ هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠ هـ)، فأمَّا الأولان فقد نقل في فضلهما وعلمهما هشام بن سالم في قوله: ((كنَّا عند أبي عبد الله (عليه السلام) جماعة من أصحابه، فورد رجلٌ من أهل الشام فاستأذن فأذن له، فلمَّا دخل سلَّم فأمره أبو عبد الله (عليه السلام) بالجلوس ثم قال له: ما حاجتك أيُّها الرجل ؟ قال بلغني أنَّك عالم بكلِّ

ما تسأل عنه فصرت إليك لأناظرك، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) في ماذا ؟ قال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): يا حمران دونك الرجل، فقال الرجل: إنَّما أريدك أنت لا حمران، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): إن غلبت حمران فقد غلبتني، فأقبل الشامي يسأل حمران حتَّى ضجر ومل وعرض وحمران يجيبه، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): كيف رأيت يا شامي؟! قال: رأيته حاذقًا ما سألته عن شيء إلَّا أجابني فيه، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): يا حمران سل الشامي، فما تركه يكشر، فقال الشامي: أرأيت يا أبا عبد الله أناظرك في العربية، فالتفت أبو عبد الله (عليه السلام)، فقال: يا أبان بن تغلب ناظره فناظره فما ترك الشامي يكشر))[٧٥]. وفي هذه الرواية يظهر بوضوح التخصُّص العلمي الذي أقرَّه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بين تلامذته، وكيف أنَّه جنَّد بعضهم لدراسة الخطاب القرآني في كلِّ جوانبه، وانتدب بعضًا آخر لدراسة العربية بكلِّ تفاصيلها حتَّى صار عنده علماء يُناظر بهم ويثق تمامًا بقدراتهم العلميَّة والمعرفيَّة. وحمران بن أعين، نحويٌّ، شاعرٌ، له باعٌ في القراءاتِ القرآنية، حسن الصوت[٧٦]، مقرئ كبير[٧٧]، وهو من وجوه الشيعة وكبارهم[٧٨] قرأ القرآن على الإمام أبي جعفر محمَّد الباقر (عليه السلام)، وعلى أبي الأسود الدؤلي الذي أخذ القراءة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) [٧٩]، وهو تلميذ نابه من تلامذة الإمام جعفر بن محمَّد الصادق (عليه السلام)، وكان يُحبُّ أن يُظهره أمام النَّاس، وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ حمران بن أعين حضر «عند جعفر بن محمد

(عليهما السلام) يقرأ، وساءله عن ضروب من العلوم، وكان مقدَّمًا، وكان عنده جماعة من القرشيين، فلمَّا خرجوا قالوا: إنما أحبَّ أن يرينا أنَّ في شيعته مثل هذا»[٨٠] وممَّن تتلمذ على يد حمران وأخذ القراءة عنه حَمْزَةُ بنُ حَبِيْبِ الزيات، وهو أحد القرَّاء السبعة[٨١].

وأمَّا أبان بن تغلب فهو من خيار أهل الكوفة[٨٢]، رَوَى عَن الإمامين محمَّد بن عليٍّ الباقر، وجعفر بن محمَّد الصادق (عليهم السلام)[٨٣]، وممَّا قيل فيه: الإِمَامُ، الْمُقْرِئُ الشِّيْعِيُّ، عَالِمٌ كَبِيْرٌ، وَهُوَ صَدُوْقٌ فِي نَفْسِهِ[٨٤]، لُغَوِيٌّ[٨٥]، ونحويٌّ جليل[٨٦]، أحد الْأَئِمَّة[٨٧]، مفسِّر[٨٨]، محدِّث، فقيه، أديب[٨٩]، يُلقب بالشيخ وموثَّق من الأئمة[٩٠]، من مشايخه: علي بن الحسين، ومحمد بن علي الباقر[٩١] (عليهما السلام). مؤلِّف له جمع من الآثار، ومن كتبه: معاني القرآن، والفضائل، وصفين[٩٢]، والقراءات[٩٣]، وكتاب بعنوان من الأصول في الرواية على مذهب الشيعة[٩٤]، وغريب القرآن[٩٥]، ولعله أوَّل من صنَّف في غريبِ القرآن[٩٦]، ومعاني القرآن[٩٧].

وأمَّا الثالث؛ فهو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم من ولد شبابة بن مالك[٩٨]، الْأَزْدِيّ من فراهيد الْبَصْرَة، وكنيته أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ[٩٩]، ((أعلم الناس بالنحو والغريب، وأكثرهم دقائق في ذلك، وهو أستاذ الناس، وواحد عصره، وأوَّل من اخترع العروض وفتقه، وجعله ميزانًا للشعر))[١٠٠]، سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده، والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله، وعنه أخذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل؛ وكلَّما قال سيبويه: سألته، أو قال: قال من غير أن يذكر قائله؛

فهو الخليل بن أحمد، وهو أوَّل من ضبط اللغة، وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر، وأول من حصر أشعار العرب، وكان من الزُّهاد في الدنيا المعرضين عنها، وقد قال فيه سفيان: من أحبَّ أن ينظر إلى رجلٍ خُلق من الذهب والمسك؛ فلينظر إلى الخليل بن أحمد، وكان يقول: أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه؛ وهو في خُصٍّ لا يشعر به أحد[١٠١]، ((وزعم يونس النحوي أنَّ الخليل بن أحمد كان يستدلُّ بالعربية على سائر اللغات ذكاءً منه وفطنة))[١٠٢].

وهو شيعيٌّ إماميٌّ[١٠٣] من أصحاب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)[١٠٤]، وممَّن روى عنه[١٠٥]، قال فيه العلامة الحلي (ت: ٧٢٦ هـ): ((كان أفضل الناس في الأدب، وقوله حجَّة فيه، واخترع علم العروض، وفضله أشهر من أن يذكر، وكان إمامي المذهب))[١٠٦]، وعن الشيخ البهائي أنَّ الخليل بن أحمد روى علم العروض عن الإمام جعفر الصَّادق (عليه السلام)[١٠٧]، وممَّا يُستدلُّ به على تشيُّعه ما رواه أبو زيد النحوي الأنصاري، قال: ((سألت الخليل بن أحمد العروضي، فقلت: لم هجر الناس عليًّا (عليه السلام)، وقرباه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قرباه، وموضعه من المسلمين موضعه، وعناؤه في الإسلام عناؤه؟ فقال: بهر والله نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كلَّ منهلٍ، والنَّاس إلى أشكالهم أميل، أما سمعت الأوَّل حيث يقول:

وكلُّ شكلٍ لشكْلِه آلف
أما ترى الفيلَ يألف الفيلا

قال: وأنشد الرَّياشي في معناه عن العباس بن الأحنف:

وقائلٌ كيف تهجرنا
فقلت قولًا فيه إنصاف
لم يكُ من شكلي فهاجرته

والنَّاس أشكال وآلاف»[١٠٨]

ومن أدلَّة تشيُّعه أيضًا أنَّه سُئل عن الدليل على إمامة عليِّ بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ((احتياج الكلِّ إليه، واستغناؤه عن الكل))[١٠٩]، ولكن فيما يبدو أنَّ الخليل كان يكتمُ تشيُّعه، وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ يونس بن حبيب النحوي سأله: ((ما بال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله ورحمهم) كأنَّهم كلُّهم بنو أمٍّ واحدةٍ وعلي بن أبي طالب من بينهم كأنَّه ابن علَّة؟ قال: من أين لك هذا السؤال؟ قال: قلت: قد وعدتني الجواب، قال: وقد ضمنت الكتمان، قال: قلت: أيام حياتك، فقال: إنَّ عليًّا (عليه السلام) تقدَّمهم إسلامًا، وفاقهم علمًا، وبذَّهم شرفًا، ورجحهم زهدًا، وطالهم جهادًا فحسدوه، والنَّاس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم، فافهم»[١١٠]. ومن أهمِّ أعمال الخليل التصويبية في النظام اللغوي هو إكمال ما بدأه أبو الأسود الدؤلي في إصلاح النظام الكتابي للغة العربية بتوجيهٍ من أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فكان عمل أبي الأسود الدؤلي وضع نقاطٍ على الحروف تمثِّل الحركات الإعرابية، ثمَّ جاء الخليل ليستبدل تلك النقاط بالعلامات الإعرابية التي عليها كتابتنا اليوم، فجعل رموزًا لـ ((لشدَّةَ، والمدَّةَ، والهمزةَ، وعلامةَ السكونِ، وعلامةَ الوصل، ونقلَ الإعرابَ من صورةِ النقطِ إلى ما هو عليه الآن))[١١١]، وكذلك وضع علاماتٍ للهمز والتشديد والروم والإشمام[١١٢]. ولا نستبعد أن يكون عمل الخليل بإشارة من الإمام الصادق (عليه السلام)؛ لكونه تلميذه ومن مواليه، ولكون خطوة كهذه لا بدَّ لها من إذنٍ شرعيٍّ؛ لأنَّها عملٌ يتعلَّق بإضافةِ رموزٍ على

خطِّ القرآن الكريم. وهكذا يكون أهل البيت (عليهم السلام) بمعيَّة طلابهم قد أسَّسوا للتصويب على مستوى الكفاءة بالضبط اللغوي والنطقي والكتابي.

وهذا غيضٌ من فيضٍ ممَّا أُثر عن أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) في التأسيس للدراسات اللغويَّة والقرآنية بشتَّى صنوفها، وذلك عن طريق إنشاء تخصُّصٍ بهذه الدِّراسات وانتداب النابهين والمفوَّهين لها، وكلُّ ذلك يصبُّ في حماية اللغة العربية وحفظها من الاندراس، إذ بتلك الجهود حفظت قواعد اللغة الفصيحة وأنظمة استعمالاتها العالية، وصارت فيما بعد مفتاحًا وثيقًا في ضبط الكفاءة اللغوية عند المستعمل العربي، ويمكن أن نتلمَّس ثمار تلك الجهود في عصرنا الحاضر بفهمنا للغة الخطاب القرآني، وكذلك فهمنا للغة الفصيحة بمستواها السليم، فضلًا عن استمرار التداول لذلك المستوى الفصيح ولو على الحدود الضيقة على الرغم من شدَّة الظروف التي عصفت بمحيطنا اللغوي.

٩. ويستمرُّ مشروع أمير المؤمنين (عليه السلام) الإصلاحي لكفاءة العربي اللغوية؛ فيؤسِّس لعلم الصرف على رأي جماعة[١١٣].

١٠. ولم ينقطع العمل ببرنامج التصويب للكفاءة اللغوية مع أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ بل استمرَّ مع أولاده من أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام)، إذ كانوا يحثُّون بشكلٍ متواصل على تعلُّم اللغة العربية بشكلها السليم الفصيح، ولهم في ذلك أقوال منها: ما ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بقوله: «**تعلَّمُوا العربيةَ فإنَّها كلامُ الله الذي يُكلِّم به خَلقَه**»[١١٤]، وقوله (عليه السلام): «**أَعْرِبِ الْقُرْآنَ فَإِنَّه عَرَبِيٌّ**»[١١٥]، وقوله أيضًا: «**أَعْرِبُوا**

حَدِيثَنَا فَإِنَّا قَوْمٌ فُصَحَاءُ»[١١٦]، وقوله كذلك: «نَحنُ قومٌ فصحاءٌ إذا رويتم عنَّا فأعربوه»[١١٧]، وكلُّ ذلك يتضمَّن الدفع باتِّجاه تصويب كفاءة العربي وتصحيح مسارات الاستعمال لديه؛ لتكون متساوقة مع المستوى الفصيح الذي استعمله الخطاب القرآني.

١١. إضفاء الشرعية والقدسية للغة العربية بحيث يصبح تعلُّمها بالشكل السليم جزءًا من الواجبات الشرعية، وبهذه الطريقة سيكون الدافع أكبر للعربي في تحصيل السلامة اللغوية وتحصين الكفاءة من المستوى العامِّي، وممَّا يدلُّ على ذلك ما جاء عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بقوله: «مفتاح الصلاة التكبير، ومن قال بغير العربية لم يُسمَّ تكبيرًا»[١١٨]، وكذلك ما ورد عن الإمام محمَّد الجواد (عليه السلام) في بيان أسس التفاضل بين النَّاس عند الله تعالى فقال: «بقراءة القرآن كما أُنزل، ودعائه اللهَّ من حيث لا يلحن، فإنَّ الدعاء الملحون لا يصعد إلى اللهَّ تعالى»[١١٩]. ومن يتأمَّل في هذه الفقرة وما قبلها ينتهي إلى أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يُخطِّطون لعالميَّة اللغة العربية، إذ إنَّهم بهذه الأقوال يعملون على تصدير اللغة العربية بمستواها الخالي من اللحن إلى خارج نطاق التداول العربي؛ لتكون لغةً عالميَّةً في الاستعمال، على أنَّهم بصورة غير مُباشرة يؤكدون أن تكون اللغة المصدَّرة هي الناتجة عن كفاءةٍ لغويَّةٍ سليمةٍ من الخطأ واللحن، وهذا يظهر من اشتراطهم قراءة القرآن بالصورة السليمة كما أُنزل، وكذلك في تعليق قبول الدعاء شريطة أن يكون خاليًا من اللحن، ثمَّ اشتراطهم على من يتداول حديثهم أن يكون معربًا بالمستوى الفصيح، وهذا كلُّه يدلُّ على دفعهم

للمستعمل العربي باتِّجاه إصلاح كفاءته اللغويَّة، ومحاربتهم للتداول الملحون العامِّي.

وبعد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يصبح أبو الأسود الدؤلي مدرسةً يترعرع فيها خيرة علماء النحو، وصاروا يتوارثون علمه كابرًا عن كابر بسلسلةٍ متينةٍ، فيأخذ من أبي الأسود عنبسة الفيل، وعنه ميمون الأقرن، ثم عن ميمون عبد الله بن إسحاق الحضرمي، وعنه إلى عيسى بن عمر، وعنه إلى الخليل، وعن الخليل إلى سيبويه، وعن سيبويه إلى سعيد بن مسعدة الأخفش[١٢٠]، وعن هؤلاء تشكَّلت مدرستا البصرة والكوفة بالنحو، الذي صار علمًا ينضوي على مجموعةٍ من الأنظمة والقواعد مهمَّتها ضبط الكفاءة اللغوية للمستعمل العربي عن طريق تصحيح أدائه في الاستعمال.

وممَّا يؤسف عليه تمحُّل الدكتور شوقي ضيف وخروجه عن المنطق العلمي في أثناء تعرضه لنشأة النحو العربي، إذ تعرَّض للروايات التي تُقرُّ بأنَّ النحو صنيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وتجزم به، مع تلميذه أبي الأسود الدؤلي، وصار يُضعفها ويصفها بالوضع من دون أساسٍ علميٍّ؛ بل مجرَّد أوهام وخيالات نسجها تعصُّبه الذي لم يستطع أن يُخفيه أو يستره، فظهر بقوله: ولعل الشيعة هم الذين نحلوه هذا الوضع القديم للنحو، وقوله: وقد يكون ذلك من صنع الشيعة، وكأنهم رأوا أن يضيفوا النحو إلى شيعي قديم، فارتفع به بعضهم إلى علي بن أبي طالب، ووقف به آخرون عند أبي الأسود صاحبه الذي كان يتشيع له، ففضحته عثرات لسانه، وصار يُردِّد لفظة الشيعة، التي كان التعصُّب منها سببًا كافيًا عنده لرفض جميع ما أقرَّته المصادر الآنفة بالذكر، وما

لم نذكره أكثر، ومن العجيب أنَّه يُقرُّ بأنَّ أكثر العلماء أرجعت النحو إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكذلك نقله لشهادات علماء متقدِّمين شهدوا بأنَّهم رأوا صحيفة أمير المؤمنين (عليه السلام) في النحو عند بعض الورَّاق، ومع كلِّ ذلك يستبعد أن يكون أمير المؤمنين (عليه السلام) واضعًا للنحو، وما ذنبه في ذلك سوى أنَّه إمامًا للشيعة، والأدهى من ذلك أنَّه يؤيِّد أن يكون الآمر في وضع نقط تشير إلى الحركات في أواخر الكلمات زياد بن أبيه أو ابنه عبيد الله، وكذلك يؤيِّد أن يكون الحجاج بن يوسف الثقفي هو من أمر بإعجام المصحف، وينفي أن يكون ذلك من أمر أمير المؤمنين (عليه السلام) على الرغم من كثرة المصادر الساندة له[١٢١]، عافانا الله من غلبة الهوى وانتصار التعصُّب على لغة العلم والدليل.

المبحث الثاني

أَثَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيهِ السَّلَامُ) في تَصْوِيبِ الأَدَاءِ لَدَى الْمُسْتَعْمِلِ العَرَبِي

أشرنا آنفًا إلى أنَّ الأداء هو الصورة الفعلية للغة بوصفها كلامًا يُنتجُ أحداثًا واقعيَّةً في المحيط اللغوي الخارجي، وأنَّ العمل على مراقبة مستعملي اللغة وتصحيح مساراتهم في الأداء لا يقلُّ شأنًا عن مستوى التقويم في الكفاءة اللغوية، وحينما بدأ اللحنُ يظهر على ألسنة النَّاس وصارت الحاجةُ ماسَّةً لتصويب أداء المستعمل العربي؛ ليتَّسق مع المستوى الفصيح انبثقت حركة التأسيس للقواعد الضابطة، وكان رائدها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كما بيَّنا آنفًا، ثمَّ توسَّع العمل بمحاولة التقنين للغة العربية بعد ذلك، صاحبه تطاول الزمن وابتعاد الاستعمال أكثر عن المستوى الفصيح، ومن هنا كان لابدَّ من

إرساء مرجعيَّةٍ سليمةٍ ضابطةٍ يمكن الاستناد عليها في ضبط أداء المستعمل العربي، فكانت الخطَّة في ذلك تتضمَّن البحث عن البيئات التي لم يصل إليها اللحن، وهنا انتهى اللغويون إلى الصحراء والبوادي التي ظلَّت محافظةً على سلامة كفاءتها اللغوية، ثمَّ بعد ذلك قسَّموا تلك البيئات فحدَّدوا منها بعض القبائل على وفق شروط معيَّنة، وبعد ذلك حدَّدوا زمن الاستشهاد فجعلوه بحقبةٍ محدَّدة، وهي الحقبة التي كان الأداء فيها سليمًا لدى المستعمل العربي، وقد أطلقوا عليها بـ (عصر الاستشهاد)، وأهم ما يمكن لحاظه على عمل اللغويين العرب أنَّهم ذهبوا إلى البادية وإلى الشعراء من أجل استنباط القواعد الضابطة لأداء المستعمل العربي، وركنوا الخطاب القرآني على جنب، ولم يرجعوا إليه مثل رجوعهم إلى الشعر، وهذا الوعي يؤكده ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) فيقول: ((والشعر ديوان العرب، وبهِ حُفظت الأنساب، وعُرِفت المآثر، ومنه تُعُلِّمَت اللغة))[١٢٢]؛ بل يترقَّى أكثر في رفع شأن الشعر حتَّى يجعله ((حجةً فيما أُشكل من غريب كتاب الله -جلَّ ثناؤهُ- وغريب حديث رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، وحديث صحابته، والتابعين))[١٢٣]، وقد تابعه في كلا قوليه مؤيِّدًا السيوطي (ت: ٩١١ هـ)[١٢٤]، وإذا أردنا معرفة نسبة القرآن الكريم إلى الشعر في تأسيس القواعد اللغوية فما علينا إلَّا أن نتصفَّح كتاب سيبويه (ت: ١٨٠ هـ) أو كتاب المقتضب للمبرِّد (ت: ٢٨٥ هـ)، فإنَّنا سنجدُ أنَّ سيبويه استشهد بالشعر بما يقارب واحد وستين ألفَ شاهدٍ شعري، بينما كانت استشهاداته القرآنية ثلاثمائة وثلاث وسبعين[١٢٥]، والفرق شاسع جدًا، وأمَّا المبرِّد فإنَّه

لا يبتعد عن ذلك[١٢٦]، وهناك من النحويين من رفض الاستشهاد بالآية القرآنية إلَّا إذا وجد لها ما يؤيِّدها من الشعر[١٢٧]، وهناك من أسَّس قواعده على الشعر فقط من دون النظر في القرآن، وإذا وافقه استعمال قرآني يُخالف ما أسَّسه على الشعر تأوَّل كلام الله تعالى لكي يستقيم مع نظم الشعراء[١٢٨].

ونحن هنا لا نعيب عليهم تقصِّي الشعر العربي وتسجيلهم له والاستشهاد به في تقنين القواعد؛ بل نحمد لهم ذلك وهم أصحاب فضلٍ فيه؛ ولكن نعيب عليهم تقديمهم الشعر على الخطاب القرآني في التأسيس لقواعد اللغة العربية مع الاتفاق على أنَّ الخطاب القرآني يمثِّل أعلى مستويات الفصاحة في العربية، وكان الأجدر بهم تقديم الخطاب القرآني على غيره وقياس القواعد على نمطِ استعمالاته، وجعله المرجعيَّة الأولى في التصويب للأداء، ثمَّ بعد ذلك يمكن الرجوع إلى غيره من الكلام الفصيح في التدعيم والشرح والتفسير والتقعيد، فيما لم يرد في الخطاب القرآني من استعمالٍ متداولٍ على اللسان العربي؛ ولكن جرت الأمور على خلاف من ذلك. وهذا على مستوى عمومِ علماء اللغة العربية.

أمَّا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد نهج في تصويب الأداء نهجًا يعتمد الخطاب القرآني بوصفه المرجعيَّة في تصحيح الأداء وتقويمه، وقد أُثر عنه جملةً من المواقف التي كان بها يراقب أداء المستعمل العربي، ثمَّ يُصحِّح انحرافاته في تداوله اعتمادًا على المستوى الاستعمالي للخطاب القرآني، وأكثر ما كان يرصد في تصويبه المستوى الدَّلالي؛ لكونه الفيصل والميزان القاضي بقبول الجملة أو رفضها[١٢٩]، ذلك

((أنَّ وجود التوافقات بين السِّمات الشكلية والدَّلالية حقيقة لا يمكن نكرانها، وينبغي أن تُدرس نقاط التطابق هذه ضمن نظرية أكثر شمولًا للغة، تضمُّ نظرية الشكل اللغوي، ونظرية استخدام[١٣٠] اللغة بوصفها من الأجزاء الفرعية لهذه النظرية))[١٣١]، فالتوافق بين سمات الشكل للفظة مع الدَّلالة في الاستعمال ضرورة لابدَّ منها في ضمان قبول الأداء على الوجه السليم. وقد تتبَّعنا بعض ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من تصويباتٍ لغويَّة فوجدناها تسير على ثلاث مستويات، سنذكرها بشيء من الإيجاز وبما يسمح به المقام:

أولًا/ التَّصْوِيْبُ عَلَى المُسْتَوَى الصَّرْفِي:

قنَّن أمير المؤمنين (عليه السلام) بعض القواعد التأسيسية على المستوى الصرفي، إذ أشار إلى بعض الصياغات الصرفية التي لا تتلاءم مع الأداء السليم المتوافق مع السياقات القرآنية، وإن كانت منسجمة مع ما اجترحته العرب من أنظمةٍ لغويةٍ قبل نزول القرآن الكريم.

وممَّا ورد في هذا الصَّدد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ما جاء في قوله: «**لا تقولوا: صرتُ إلى الخلاء، ولكن قولوا: كما قال الله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾** [النساء: ٤٣]، **ولا تقولوا: أنطلق أهريق الماء فتكذبوا؛ ولكن قولوا: أنطلق أبول، ولا يُسمَّى المسلمُ رُجيلًا، ولا يُسمَّى المصحف مصيحفًا، ولا المسجد مسيجدًا**»[١٣٢]، وهذا المعنى واردٌ أيضًا عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)[١٣٣].

أوَّل ما يُلحظ على هذا الإجراء من لدن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّه ربط أداء المستعمل بالخطاب القرآني،

آمرًا المتكلِّم بأن يتَّبع أسلوب القرآن الكريم في صياغة أدائه اللغوي، وأن يبتعد عن الصِّياغات الأخرى ما دامت قصديته يمكن التعبير عنها بما ورد من أساليبٍ قرآنية، وهذا يؤكِّد إصرار أهل البيت (عليهم السلام) صوغ سياسةٍ لغويةٍ فحواها إلزام المستعمل العربي على التَّمسُّك بلغة الخطاب القرآني، وجعلها لغةً متداولةً في الحياة اليوميَّة ممَّا يعزِّز الترابط والتماسك؛ بل الذوبان في لغة القرآن الكريم.

أمَّا رفض أمير المؤمنين (عليه السلام) تصغير الرجل المسلم، والمصحف، والمسجد، فهو إجراءٌ نابعٌ من المعرفة الدَّقيقة بأسس اللغة العميقة ومقاصدها الباطنة، ذلك بأنَّ هذه الألفاظ (وهي ألفاظ قرآنية) اكتسبت قدسيةً في نفوس المسلمين بحسب الثقافة الإسلامية المترسِّخة عن الخطاب القرآني، الذي تعامل مع هذه الألفاظ بتكريم وتقديس، ولذلك يكون من اللحن تصغيرها؛ لما يستتبع التصغير من معنًى لا يستقيم مع تقديس الخطاب القرآني لهذه الألفاظ، ذلك بأنَّ من معاني التصغير (التحقير)؛ بل يُعدُّ (التحقير) مصطلحًا متداولًا ينوب عن مصطلح (التَّصغير)، وقد استعمله جُلُّ علماء اللغة مرادفًا للتصغير[١٣٤]؛ وسبب ذلك يعود إلى أنَّ الغرض الأساس من التصغير في القصدية العامَّة للغة العربية هو الإخبار عن التحقير، وإلى ذلك أُشيرَ بالقول: ((والتصغير إِنَّمَا الْغَرَض فِيهِ الْإِخْبَار عَن تحقير، وَذَلِكَ أَنَّ التصغير اسْم أقيم مقَام الْوَصْف، فاختصَّ هَذَا الْوَصْف بالتحقير، وَجعل تغييرها زِيَادَة، بَدَلًا من قَوْلهم: حقير))[١٣٥]، وهناك من حدَّد القصدية من التصغير في ثلاثةِ أضْرُبٍ هي: تحقيرُ مَا يُتوهَّم عَظيمًا، وتقليلُ

مَا يُتوهَّم كثيرًا، وتقريبُ مَا يُتوهَّم بَعيدًا[١٣٦]، وكلُّ هذه المعاني لا تتلاءم مع القدسية التي منحها الخطاب القرآني لتلك الألفاظ، ويبدو أنَّ تصويب أمير المؤمنين (عليه السلام) السابق قد أخذ صداه عند عموم علماء اللغة، إذ لم أجد عند أحدٍ منهم تصغيرًا لما منعه أمير المؤمنين (عليه السلام) ما خلا لفظة مسجد التي ورد تصغيرها في حال الجمع؛ ولكن لا على معنى المساجد بما تعني من بيوتٍ لله تعالى؛ بل على فرضٍ فيما لو سُمِّي بها رجلًا[١٣٧]؛ بل ترقَّى بعضهم إلى متابعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: «**لَا تَقُولُوا: مُصَيْحِفٌ وَلَا مُسَيْجِدٌ، مَا كَانَ للهِ فَهُوَ عَظِيمٌ حَسَنٌ جَمِيلٌ**»[١٣٨]. وقد أشار بعضهم إلى هذه العلَّة بقوله: «**لَا تَقُولُوا: مُصَيْحِفٌ وَلَا مُسَيْجِدٌ، مَا كَانَ للهِ فَهُوَ عَظِيمٌ حَسَنٌ جَمِيلٌ**»[١٣٩].

ومن الأمثلة الأخرى التي وردت بهذا الصَّدد ما نقله السكاكي (ت: ٦٢٦ هـ) بقوله: إنَّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) «كَانَ يشيع جَنَازَة، فَقَالَ لَهُ قَائِل: من المتوفي؟ بِلَفْظ اسْم الْفَاعِل سَائِلًا عَن الْمُتَوفَّى، فَلم يقل فلَان، بل قَالَ: الله تَعَالَى ردًّا لكَلَامه عَلَيْهِ مخطئا إِيَّاه منبها لَهُ بذلك على أَنه كَانَ يجب أَن يَقُول: من الْمُتَوفَّى؟ بِلَفْظ الْمَفْعُول. وَيُقَال إِن هَذَا الْوَاقِع كَانَ أحد الْأَسْبَاب الَّتِي دَعَتْهُ إِلَى اسْتِخْرَاج علم النَّحْو، فَأمر أَبَا الْأسود الدؤَلِي بذلك فَأخذ فِيهِ فَهُوَ أول أَئِمَّة علم النَّحْو»[١٤٠]. ثمَّ يُعلِّق السَّكاكيُّ بقوله: ((وما فعل ذلك [عليه السلام] إلا لأنه عرف من السائل أنه ما أورد لفظ المتوفى على الوجه الذي يكسوه جزالة في المعنى وفخامة في الإيراد))[١٤١]، أمَّا وجه التصويب الصَّرفي فهو ((لما سَأَلَ من هُوَ من الأوساط من عَليّ [عليه السلام] عَن الْمَيِّت بِلَفْظ

المتوفي الَّذِي هُوَ من تركيب البلغاء، أَجَابَهُ بِمَا يَلِيق بِهِ أَنَّ المتوفي هُوَ الله تَعَالَى، وَفِيه بَيَان أَنه يجب أَن يَقُول من المُتَوفَّى؟ بِلَفْظ اسْم الْمَفْعُول، الَّذِي يَلِيق بِهِ كَمَا يَقُوله الأوساط))[١٤٢]. فمدار التصويب كان يدور حول استعمال صيغة اسم الفاعل بدل صيغة اسم المفعول، وهذا خطأ صرفيٌّ؛ لأنَّ اسم الفاعل هو ((ما اشتقّ من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث))[١٤٣]، وأمَّا اسم المفعول فهو ((مَا اشتق من فعل لمن وَقع عَلَيْهِ))[١٤٤]. ومن هنا فقد ناسب أن يكون السؤال بصيغة المفعول (من المُتَوفَّى؟)؛ لأنَّ صاحب الجنازة هو من وقع عليه فعل الوفاة، وأمَّا من قام بها (المتوفي) فهو الله تعالى، ومن الملفت للنظر أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يبيِّن الخطأ الصرفي للسائل بالشكل المباشر؛ بل جعله يكتشفه عندما أجابه على وفق الدَّلالة التي نطق بها عندما سأل باسم الفاعل، وأراد من ذلك أن ينتبه السائل بنفسه إلى موطن الخطأ ويصوِّبه على وفق ما تقتضيه القاعدة الصرفيَّة وما يرتبط بصيغتها من دلالة.

ثانيًا/ التَّصْوِيْبُ عَلَى مُسْتَوَى السِّمَات التَّمْيزيَّة بَيْنَ الأَلْفَاظِ (الفُرُوق اللُّغَوِيَّة):

تحمل كلُّ لفظةٍ في جوهرها سماتٍ تميزيَّةً ترسم لها وجودها وتحقق لها شخصيتها على مستوى النظام والاستعمال، وقلَّما تتَّحد الألفاظ بشكلٍ تام في محتواها اللغوي؛ إذ لا بدَّ من أن تظهر بعض السِّمات التكوينية التي تفرِّق الألفاظ عن بعضها بعضًا، هذا على مستوى اللغة بنمطها الفنِّي الأصيل، أمَّا على مستوى الاستعمال الاعتيادي التواصلي بين الأفراد فيظهر التسامح جليًّا في تغيب كثيرٍ من السِّمات التميزيَّة بين الألفاظ، ممَّا سمح

بتداخلها في الأداء، وصار كثيرٌ منها يتناوب بعضه عن بعض على ألسنة المستعملين، وهذا الأمر ظهر في اللغة العربية بشكلٍ بارز بعدما ابتعد مستعملها عن النمط العالي الفصيح، وصار الأمر يزداد كلَّما اتَّسعت المسافة الزمنية، فهال هذا ((الأمر بعض علماء العربية، فعدَّوا ذلك ضربًا من الفساد اللغوي، واللحن المستكره، فتأهبوا للوقوف بوجه هذا التيار، يستنكرونه ويصوبونهُ، حرصًا منهم على تنقية اللغة، وحفاظًا على أصالتها وسلامتها، محتجِّين بدلالات الألفاظ القديمة، ومعوِّلين على ما ذكره الأقدمون من اللغويين، وما ورد عن العرب الفصحاء إبَّان عصور الاحتجاج))[١٤٥]، ومن هنا دخل مصطلح الترادف في اللغة، فظهرت فيه دراساتٌ وأقوالٌ للعلماء بين مؤيِّدٍ ورافضٍ، وبين قائلٍ بالترادف ولكن بشروط، ثمَّ أُلِّفت في ذلك الأبواب والكتب، وممَّن كتب في ذلك ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) الذي أفرد بابًا في كتابه (أدب الكاتب) في هذا المجال[١٤٦]، وأبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، الذي أفرد كتابًا فيه سمَّاه بالفروق اللغويَّة.

ولكن يبقى السَّبق والريادة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في التأصيل لهذه الدِّراسة، فهو أوَّل من بدأ بفرز الألفاظ وبيان سماتها المعنوية والاستعماليَّة ولاسيَّما الألفاظ القرآنية، وصار يصوب للمستعمل العربي أداءه، ويبوب للألفاظ حقولها الاستعمالية، ولا سيَّما تلك ((الألفاظ التي تتشابه في أداء المعنى، لكنَّ دلالاتها اللغوية لا تتَّحد؛ بل تتقارب))[١٤٧]. وممَّا ورد عنهم في هذا الصدد ما جاء في تحليل قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١]، وفي معنى هذه الآية اختلف

المفسِّرون في بيان لفظة ﴿ضَبْحًا﴾، ويبدو أنَّ اختلافهم ناتجٌ من فوضى الاستعمال التي أوهمت المستعمل العربي بأنَّ مصطلح (الضبح) هو بعينه يدلُّ على صوت الخيل وصوت الإبل بالدَّلالة المباشرة، ومن هنا نشأ الاختلاف بين المفسِّرين على المقصود بالعاديات. فقال بعضهم الخيل التي تعدو في الحرب، وقال آخرون: الإبل في الحج[١٤٨]، وهناك من توهَّم بأنَّه صوت حوافر الخيل[١٤٩].

ومن هنا كان لابدَّ من ضبط مصطلح (الضبح) دلاليًّا؛ ليكون واضح الماهيَّة للمستعمل العربي بعدما تنازعته دلالاتٍ متنوِّعة أفقدته الدِّقة في الاستعمال، وقد عرض أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لهذه الفوضى الدَّلاليَّة فصوَّب استعمال هذا اللفظ، وذلك بقوله (عليه السلام) في معرض حديثه عن الآية السابقة: «الضَّبْحُ مِنَ الْخَيْلِ: الْحُمْحَمَةُ، وَمِنَ الْإِبِلِ: النَّفَسُ»[١٥٠].

فأمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا النص يؤسِّس للضبط الاستعمالي عن طريق التفريق بين صوت الخيل وبين صوت الإبل بعدما اشتبه ذلك على المستعمل العربي، وقد استند (عليه السلام) في تفريقه الدَّلالي على الأصل الذي وضع له (الضبح) وهو دلالته على مطلق الصوت، ثمَّ يتمُّ تخصيصه بحسب ما يُضاف إليه، فإذا أضيف إلى الخيل كان حمحمةً، وإذا اقترن بالإبل كان نفسًا، وهذا التأصيل اللغوي لمعنى الضبح أشار إليه ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) عندما عرض لجذر لفظة (ضَبَحَ) بقوله: ((الضَّادُ وَالْبَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: أَحَدُهُمَا صَوْتٌ، وَالْآخَرُ تَغَيُّرُ لَوْنٍ مِنْ فِعْلِ نَارٍ))[١٥١]، وممَّا يدلُّ على ذلك استعمال (الضَّبح) مع أشياء متعددة وذلك في قولهم: ((وضَبَح الأرنب، وَالْأسود

من الحَيَّات، والبوم، والصدى، والثعلب، والقوس، يَضْبَح ضُباحًا وضبيحًا: صَوت))[١٥٢]، وإلى هنا فقد أسَّس أمير المؤمنين (عليه السلام) اللبنات الأولى لبناء المعجم العربي عبر ضبط الألفاظ بإزاء معانيها الدَّقيقة، وتحديد استعمالاتها بما تحمل من حدودٍ معجميَّة وسماتٍ خاصَّة، وهكذا عمل يُسهم بشكل مباشر في التخطيط لبناء الكفاءة اللغويَّة للمستعمل العربي، وكذلك تقويم أداء المستعمل على مستوى التطبيق في الخارج، وقد حلَّل أمير المؤمنين (عليه السلام) ﴿ضَبْحًا﴾ الواردة في الآية الكريمة على أنَّها بمعنى الصوت العام لا على معنى الخيل أو الإبل؛ بل هي تابعة لتحليل العاديات، فإذا كانت الخيل كان الضبح حمحمةً، وإذا كانت على معنى الإبل كان بمعنى النفس.

وممَّا ورد بهذا الصَّدد أيضًا ما جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في المنع من استعمال رمضان مجرَّدة بدلالة الشهر، وذلك بقوله: «لَا تَقُولُوا: رَمَضَانَ؛ ولَكِنْ قُولُوا: شَهْرُ رَمَضَانَ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا رَمَضَانُ»[١٥٣]. أمَّا علَّة هذا التصويب فقد فسَّرها الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) بما نقله هِشَامُ بْنِ سَالِمٍ عَنْ سَعْدٍ بقوله: كُنَّا ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ عند الإمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام): «فَذَكَرْنَا رَمَضَانَ، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا هَذَا رَمَضَانُ، ولَا ذَهَبَ رَمَضَانُ، ولَا جَاءَ رَمَضَانُ، فَإِنَّ رَمَضَانَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ (عز وجل) لَا يَجِيءُ ولَا يَذْهَبُ، وإِنَّمَا يَجِيءُ ويَذْهَبُ الزَّائِلُ؛ ولَكِنْ قُولُوا (شَهْرُ رَمَضَانَ) فَإِنَّ الشَّهْرَ مُضَافٌ إِلَى الِاسْمِ، والِاسْمُ اسْمُ الله (عَزَّ ذِكْرُه)، وهُوَ الشَّهْرُ ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيه الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]»[١٥٤].

فالإمام أمير المؤمنين (عليه

السلام) ومن بعده ولده الباقر يُرسِّخان منهجها التصويبي لأداء المستعمل العربي على وفق منهجيَّة (لا تقل وقل)، معتمدين في تصويب الأداء على الاستعمال القرآني، الذي استعمل اسم رمضان مضافًا إلى لفظة شهر، وذلك في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ولو دققنا النظر في المنهج التصويبي المعتمد وجدناه يعتمد تحديد الخطأ في الأداء ثمَّ تصحيحه وبعد ذلك يُبيِّن منشأ الخطأ، وفي النصِّ المذكور اعتمد آليَّةً بيَّن بها خطأ المستعمل، وهذه الآليَّة تُعدُّ اليوم في العصر الحديث من اكتشافات المنهج التوليدي الأحدث في دراسة اللغة، والآلية هي أنَّ الإمام (عليه السلام) عندما أشار إلى الخطأ حلَّله بطريقة السمات التمييزيَّة، فبيَّن عدم صحَّة تداول اسم (رمضان) منفردًا بقصديَّة معنى شهر الصِّيام؛ وذلك لأنَّه من أسماء الله تعالى، وعليه لا يمكن أن نستعمل التراكيب الآتية: يجيءُ رمضان، ويذهب رمضان؛ لكون الفعلين (يجيء، يذهب) يحملان من السِّمات التمييزيَّة ما يجعلانه محدَّدين بالاستعمال مع الزائل، أي يكونا بالتعبير التوليدي (+ زائل)، وهذا المعنى يتنافى مع حقيقة الحقِّ سبحانه، ولذلك وجب إضافة شهر إلى اسم (رمضان) من أجل الحصول على أداءٍ متَّسق مع الاستعمال القرآني والعقيدة التي يؤمن بها المستعمل، ويمكن أن نقرأ هدف الإمام (عليه السلام) من هكذا تصويبات بأنَّه يُريد ترتيب المداخل المعجميَّة للمستعمل العربي على وفق السِّمات التي تمتلكها كل لفظة، وقد أشار المنهج التوليدي إلى المعجم الذهني للمستعمل وعرَّفه بأنَّه: ((مجموعةٌ غير مرتبة من المداخل المعجمية، ويتألف كلُّ

مدخلٍ معجميٍّ من سماتٍ تركيبيةٍ وفونولوجية ودلالية))[١٥٥]، أمَّا الأسس التي يتمُّ التصويب على أساسها فتسمَّى في المنهج التوليدي بـ (قواعد الاسقاط) التي عن طريقها يتمُّ الحكم بمقبوليَّة الأداء أو عدم المقبوليَّة، وذلك عن طريق ((تعداد القراءات التي تسند إلى مختلف مفردات الجملة وبتوضيحها؛ وذلك في ضوء البنية العميقة التركيبية والمشيرات الدَّلالية العائدة لكلٍّ من مؤلفات هذه البنية، فهذه القواعد تقرن بين المفردات المعجمية وبين البنية التركيبية))[١٥٦]، ثمَّ تعمل هذه القواعد على إسقاط دلالة معيَّنة على مفردات الأداء وتحدِّدها من بين دلالاتٍ كثيرة قد تحملها تلك المفردة، ثمَّ تقرأ التوافق بين المفردات في البنى التركيبة، وتفسِّر المعاني التي تنتج جرَّاء ذلك التوافق[١٥٧]، وبعد ذلك يتمُّ الحكم على مدى مقبوليَّة الأداء بصورته الخارجيَّة في المحيط اللغوي. وهذا التصويب اللغوي كشف لنا عن تحليل للخطاب القرآني في خصوصيَّة قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، التي تعني عند أهل البيت (عليهم السلام) شهر الله تعالى، وهذه منزلة رفيعة لهذا الشهر الكريم.

ولو تتبَّعنا استعمال العرب لوجدناه يتساوق مع القرآن الكريم في تعامله مع اسم (رمضان)؛ إذ نصَّ غير واحدٍ على أنَّ لفظة (شهر) لا تُذكر مع سائر الشهور ما خلا شهر رمضان وشهرا ربيع[١٥٨]، وقيل: ((وَقد أطبقوا أَنَّ الْعلم فِي ثَلَاثَة أشهر مَجْمُوع الْمُضَاف والمضاف إِلَيْهِ: شهر رَمَضَان وشهري ربيع، وَإِلَّا لم يحسن إِضَافَة الشَّهْر إِلَيْهِ كَمَا لَا يحسن (إنسانُ زيد)، وَلِهَذَا لم يسمع شهر رَجَب وَشهر شعْبَان، وعلَّلوا بِأَنَّ هَذِه الثَّلَاثَة من الشُّهُور لَيست

بأسماء للشهر وَلَا صِفَات لَهُ، فَلَا بُدَّ من إِضَافَة الشَّهْر إِلَيْهَا بِخِلَاف سَائِر الشُّهُور))[١٥٩].

ثالثًا/ التَّصْوِيْبُ عَلَى مُسْتَوَى التَّعَدُّدِ اللَّهْجِي:

التصويب الأدائي عند أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يتوقف مع المستعمل العربي عند مستوى اللحن في الأداء العام؛ بل يترقَّى عنده حتَّى يصل إلى مستوى الحكم بين اللهجات فيقبل منها ما يتوافق مع أداء الخطاب القرآني، ويرفض ما اختلف معه حتَّى لو كان المؤدَّى واحدًا، وكل ذلك تحت منهجيَّة (لا تقل وقل) استنادًا على ضابطة الأداء في الخطاب القرآني، ويبدو أنَّه (عليه السلام) كان يهدف إلى تصدير النمط اللغوي للخطاب القرآني في أداء المستعمل العربي؛ بحيث يكون الوحيد في التداول عند العرب مع وجود البدائل الأخرى، وهذا الإصرار على التَّمسُّك بأسلوب القرآن الكريم في تعامله مع الألفاظ يجعل من العربي شديد التوافق مع الخطاب القرآني حتَّى مع تداوله الاعتيادي للغة، وبذلك يصبح خير سفيرٍ لتصدير لغة القرآن الكريم إلى الآخرين بما يحمل من ضبطٍ أدائيٍّ في تواصله اللغوي. وممَّا ورد في تأكيد التَّمسُّك بالاستعمال القرآني، ورفض التعدُّد اللهجي في قبال التداول القرآني ما جاء عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بقوله: «**لا تقولوا للحائض: امرأة طامث فتكذبوا؛ ولكن قولوا: حائض، والطَّمث: الجماع، قال الله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾** [الرحمن: ٥٦]»[١٦٠]، وفي البحار أنَّ الرواية واردة عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام)[١٦١].

في هذا النَّص يرفض أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، استعمال

(طامث) بمعنى حائض، ثمَّ جاء من بعده ولده، وهم يجمعون بتسلسل النقل للرواية على رفض تداول (طامث) بقصديَّة (حائض)، ويتمسَّكون بالاستعمال القرآني الذي فرَّق في أدائه بين هاتين اللفظتين فاستعمل (الطمث) بمعنى الجماع في الآية المستشهد بها في الرواية الآنفة الذكر[١٦٢]، واستعمل (الحيض) بمعناه المعروف بموضعين: في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [الطلاق: ٤].

ولو تقصَّينا لفظة (الطمث) في اللغة والتفسير لوجدناها في اللغة تعني: ((الافتضاضُ، وطَمَثْتُ الجارية: افترعتُها، وقول الله (عز وجل): ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ أي: لم يَمْسَسْهُنَّ))[١٦٣]، والافتضاض: هُوَ النِّكاح بالتَّدْمية، أَي: أُدْمِيَت بالافتضاض[١٦٤]، ((وَلَا يَكُونُ الطَّمْثُ نِكَاحًا إِلَّا بِالتَّدْمِيَةِ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أَيْ لَمْ يُدْمِهُنَّ بِالنِّكَاحِ))[١٦٥]، وطَمِثَتْ على فَعِلَتْ بمعنى حَاضَت[١٦٦].

وبعضهم قيَّده بأوَّلِ الحيض[١٦٧]، أي: حَيْضُ الجَارِية[١٦٨]، وذهب بَعْضُهم إلى أنَّ معناه الجِماعُ[١٦٩]، ومال بعضهم إلى أنَّ الأَصْلَ في الطمث الحَيْضُ، ثمَّ جُعلَ للنِّكاحِ[١٧٠]، والمحصِّلة أنَّ في الطَّمْثِ لغتان: النكاح والحيض[١٧١].

وأمرُ اللغتين لم يرتضه أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام) من بعده؛ لكونه لا يتساوق مع أداء الخطاب القرآني في التعامل مع اللفظتين (الطمث، والحيض) لتفريقه بينهما في الاستعمال، ونحن هنا لا ننكر وجود اللغتين في تداول العرب وكذلك لا نثبته، وإنَّما غاية ما نريدُ

بيانه أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) كانوا حريصين على أن تكون لغة القرآن هي الأساس في التداول، وكلُّ ما يُخالف القرآن في لغته وأسلوب تعامله مع الألفاظ يكون خارجًا عن المستوى اللغوي الفصيح؛ بل يكون لحنًا بإزاء القرآن، ويجب تصويبه على وفق ما ترتضيه أنظمة القرآن اللغويَّة، ومن هنا رفضوا التعدُّد اللهجي مع النمط اللغوي للخطاب القرآني، وعدَّوه لحنًا من الواجب تصويبه، مع إصرارهم على أن يتَّسق البناء التداولي للغة عند المستعمل العربي على وفق ما يستسيغه النظام اللغوي للقرآن وسياقاته البنائية، وهذا يتطلَّب من المستعمل العربي أن يتخلَّى عن محيطه اللغوي الضيِّق وينصهر في محيط الخطاب القرآني العام، متجاوزًا بعض استعمالاته اللغويَّة الخاصَّة التي تخالف البناء اللغوي العام للقرآن الكريم، وهذا بدوره يُعزِّز التماسك والانسجام بين الخطاب القرآني وبين المستعمل العربي، ويضمن استمرار تداول لغة القرآن بألفاظها ومعانيها عبر تقادم الأجيال، وهكذا إجراءات لغوية ما نراها إلَّا سياسة لغويَّة محكمة من لدن أمير المؤمنين (عليه السلام) من أجل الحفاظ على سلامة لغة القرآن الكريم، وترصين تداولها بين النَّاس عبر تذويب اللهجات والاختلافات والانصياع التام مع لغة الخطاب القرآني. ومن جهة أخرى يمكن تأويل رفض أمير المؤمنين (عليه السلام) لاستعمال الطامث بمعنى الحائض هو أنَّ لفظ الطامث ممَّا يشترك به المذكر والمؤنَّث بخلاف الحائض فإنَّه مختصٌّ بالنساء فقط، وممَّن أشار بذلك ابن درستويه (ت: ٣٤٧هـ) بقوله: ((طامث، يقال للرجال والنساء، كما قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾.

وقال النبي- صلى الله عليه [وآله]-: «**أيّما امرأة ماتت بجمع فلم تطمث دخلت الجنة**». فجعل الطمث للرجال، وهو الافتضاض))[١٧٢].

أمَّا من ناحية التحليل للخطاب القرآني فإنَّ أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) حلَّلوا لفظة ﴿**يَطْمِثْهُنَّ**﴾ على أنَّ المراد منها مطلق الجماع من دون تقييد، وهذا هو الظاهر من نصِّهم السَّابق. أمَّا غيرهم من المفسِّرين فلم يبتعدوا عمَّا قيل عنه في اللغة، إلَّا أنَّ جُلَّهم لم يذكر معنى الحيض؛ بل تمسَّكوا بمعنى الإدماء بالنكاح[١٧٣]، وعليه سار أهل التأويل[١٧٤]، وهناك من اتَّفق مع أهل البيت (عليهم السلام) ففسَّروا (الطَّمْث) بمعنى النكاح من دون تقييد سواء أكان بافتضاضٍ أم غيره[١٧٥].

وممَّا سبق عرضه فإنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد عالج الصحة النحوية والصحة الدَّلاليَّة، فأمَّا الصحة النحوية فيمكن تلمُّسها بما قنَّنه (عليهم السلام) من العمل على إصلاح الكفاءة اللغوية لدى المستعمل العربي عن طريق استنباط القواعد الضابطة، ثمَّ تعليمها للنَّاس من أجل إحراز الصحة النحوية في كلامهم عبر تقويم كفاءتهم اللغوية، وأمَّا الصحة الدَّلاليَّة فيمكن أن نراها فيما اجترحه (عليه السلام) من تصويباتٍ لأداء المستعمل العربي، ذلك بأنَّ الجمل الواردة في التصويب الأدائي قد حازت الصَّحة النحوية؛ ولكنَّها افتقرت إلى الصِّحة الدَّلاليَّة ممَّا جعلها غير مستساغه في التداول التواصلي. وقد مرَّ بنا أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد اعتمد في التصويب بالدرجة الأساس على الخطاب القرآني.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثيَّة التي تضمَّنت مقاربة المنهج التوليدي

بمقولتيه (الكفاءة والأداء) مع المنهج التصويبي لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وقد انتهت هذه الدِّراسة إلى جملةٍ من النتائج نوجزها بما يأتي:

١. شكَّل التصويب اللغوي عند أمير المؤمنين (عليه السلام) قناةً مهمَّة في تحليل الخطاب القرآني؛ ذلك أنَّه كان يسعى إلى ضبط الاستعمال العربي على سمت الخطاب القرآني، وعندما تفشَّى اللحن كان أأمير المؤمنين (عليه السلام) أوَّل المؤسِّسين للتصويب على مستوى الكفاءة اللغويَّة بضبط القدرة الذهنيَّة على توليد جملٍ صحيحة، وكذلك على مستوى الأداء، وهو الصورة الفعلية والواقعيَّة للغة عبر المتابعة الجادة والمراقبة الحثيثة لأداء المستعمل العربي.

١. يعدُّ أمير المؤمنين (عليه السَّلام) أوَّل من قنن قواعد التصويب اللغوي عبر صحيفته التي أعطاها إلى أبي الأسود الدُّؤلي (رضوان الله عليه).

٢. عمل أمير المؤمنين (عليه السلام) على إعداد أبي الأسود ليكون راعيًا للمنهج التصويبي، بعد أن أسَّس له الأسس وقنن له القواعد.

٣. تابع أمير المؤمنين (عليه السلام) خطوات أبي الأسود في تفريع الأصول التي اجترحها له، وكان يدقِّق له ويعدِّل عليه.

٤. سار التصويب عند أمير المؤمنين (عليه السلام) على مساراتٍ متعددة بتعدد مستويات اللغة، فصوَّب على المستوى الصرفي مقننًا لبعض القواعد الصرفية الضابطة. ورفض التعدد اللهجي باتِّجاه الخطاب القرآني، وكان يوجب التمسُّك بما ورد في الخطاب القرآني من دون السماح للمستعمل بان ينحرف باللفظة إلى مستوى التطور أو إلى مستوى التعدد

اللهجي، وكذلك تابع الفروق اللغوية بين الألفاظ في المعاني، وكان يُصرُّ على استعمال اللفظة بحسب سماتها المعجميَّة في الوضع اللغوي أو في الوضع القرآني، وكان يسعى من وراء ذلك إلى ربط المستعمل بالخطاب القرآني وتوثيق صلته به ورفض كلِّ ما من شأنه أن يُبعده عنه.

٥. من ضمن المخرجات التي نتجت عن الدِّراسة تأثُّر اللغويين بأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، واعتماد الأصول التي اجترحها في دراسة اللغة، وخصوصًا تقسيمه للكلام الذي ظلَّ نافذًا إلى يومنا هذا.

٦. تابع أهل البيت (عليهم السلام) ما ابتدأه أمير المؤمنين (عليه السلام) من متابعة الاستعمال اللغوي ومراقبة المستعمل في أدائه، ثمَّ تحديد انحرافاته اللغويَّة وتصويبها بالاعتماد على المرجعيَّة القرآنية.

٧. راقبت الدِّراسة تمحُّل الدكتور شوقي ضيف وعصبيَّته الطائفيَّة التي حاول معها جاهدًا في ردِّ الرِّوايات الكثيرة التي تُثبت تأسيس النحو ودراسته لأمير المؤمنين (عليه السلام) من دون أن يعتمد على أيِّ دليلٍ، معلِّلًا ذلك بأنَّه من وضع الشيعة بلا حجَّة أو برهان، ولكنَّه قبل أن يكون الإعجام من أمر زياد بن أبيه أو ابنه عبيد الله، أو من الحجَّاج؛ ولكنَّه يرفض أن يكون من صنع أمير المؤمنين (عليه السلام).

الهوامش

(١) ينظر: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة: ٦١- ٦٢، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام: ٤٥- ٤٦.

(٢) معجم اللسانيات الحديثة، د. سامي عيّاد حنّا وآخرون: ٧٩.

(٣) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: ٥٧.

(٤) معجم اللسانيات الحديثة ، د. سامي عيّاد حنّا وآخرون: ٧٩.

(٥) الألسنية التوليدية والتحويلية: ٣٣، ينظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام: ٤٥.

(٦) ينظر: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة: ١١٠.

(٧) ينظر: م. ن: ١٠٩، النحو العربي والدرس الحديث: ١١٥.

(٨) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية: ٣٣.

(٩) ينظر: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة: ١١٠.

(١٠) ينظر: جوانب من نظرية النحو: ٣٤.

(١١) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية: ٧٢-٧٦.

(١٢) في نحو اللغة وتراكيبها: ٥٦.

(١٣) م. ن.

(١٤) سبق (جومسكي) في الإشارة إلى مفهوم القواعد الكليَّة (ديكارت) فكان المؤصِّل لها، ومنه انطلق (جومسكي) في التقنين لهذه القواعد. ينظر: المنهج التوليدي والتحويلي: ٢٧.

(١٥) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: ٥٦.

(١٦) ينظر: البنى النحوية: ١٩- ٢٠.

(١٧) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: ٥٧.

(١٨) ينظر: في اللسانيات ونحو النص: ٣٧.

(١٩) مقدمة في اللسانيات: ٩٠.

(٢٠) ينظر: البنى النحوية: ١٧، المنهج التوليدي والتحويلي: ٢٢.

(٢١) الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام: ١٥٧.

(٢٢) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية: ٣٢.

(٢٣) ينظر: م. ن: ٩٨.

(٢٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٨، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٤/ ١٤٦٧، الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١/ ٦٨١، أعيان الشيعة: ١/ ١٦١.

(٢٥) الأمالي، الزجاجي: ٢٣٨، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: ٢/ ٧٣٥، سبب وضع علم العربية: ٣٤، أعيان الشيعة: ١/ ١٦١، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية: ٢/ ٢٧٣.

(٢٦) الفصول المختارة: ٩١.

(٢٧) إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٤٠.

(٢٨) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٨، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٤/ ١٤٦٧، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: ٢/ ٧٣٥، سبب وضع علم العربية: ٣٤.

(٢٩) الأمالي، الزجاجي: ٢٣٨- ٢٣٩، ينظر: الأغاني: ١٢/ ٤٨١- ٤٨٢، الفصول المختارة: ٩١، نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٨، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٣٩، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٤/ ١٤٦٧.

(٣٠) ينظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٤/ ١٨١٣.

(٣١) مراتب النحويين: ٦، شرح مقامات الحريري: ٣/ ٤٦١.

(٣٢) أخبار النحويين البصريين: ١٣، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: ١٦٧، الفهرست، ابن النديم: ٦١، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٤٠، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: ٢/ ٧٣٥، ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٢٠- ٢١، روح البيان: ٩/ ٩٨- ٩٩، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ١/ ١٠٦.

(٣٣) ينظر: المعارف: ٤٣٤، البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٧٨، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ١/ ٣٩٦، الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ٢/ ٤٣٣،

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٧/ ٣٧.

(٣٤) ينظر: الحيوان: ٧/ ٤٣٨، الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٦٣، تفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٠، البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٥٠، الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ١٨٤، مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/ ٤٠٧، مباحث في علوم القرآن: ٩٢، المحرر في علوم القرآن: ٢٣٩.

(٣٥) معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٥/ ٢١٤١، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ١٤/ ٣٠٦، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر: ١/ ١٣٧، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٣/ ١٤٩.

(٣٦) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٦/ ٣٩٢، الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ٤٥٥- ٤٥٦، أعيان الشيعة: ١/ ١٦١، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ١٥٩.

(٣٧) ينظر: الأغاني: ١٢/ ٤٨٢، طبقات النحويين واللغويين: ٢٢، سبب وضع علم العربية: ٥٠.

(٣٨) ينظر: أخبار النحويين البصريين: ١٤، الأوائل: ٣٧١، المصون في الأدب: ١١٨، تاريخ دمشق: ٢٥/ ١٨٩.

(٣٩) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ٧/ ٣٩٧، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٩٨، سبب وضع علم العربية: ٥٦.

(٤٠) تاريخ الأدب العربي: ٣/ ١٢١.

(٤١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ٢١، الفهرست: ٦٦، نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٠، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ٤/ ١٨١٣، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٣٩، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: ٢/ ٧٣٥.

(٤٢) ينظر: الطبقات الكبرى: ٧/ ٦٩.

(٤٣) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٣٤٦.

(٤٤) طبقات فحول الشعراء: ١/ ١٣.

(٤٥) ينظر: معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر

مذاهبهم وأخبارهم: ٤٨٤.

(٤٦) ينظر: معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٤/ ١٤٦٤.

(٤٧) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٣٤٦.

(٤٨) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ٤٥٥.

(٤٩) ينظر: البرصان والعرجان والعميان والحولان: ١٨٧.

(٥٠) ينظر: البخلاء: ٣٤.

(٥١) ينظر: البيان والتبيين: ١/ ١٠٩.

(٥٢) ينظر: م. ن: ١/ ٢٦٤.

(٥٣) ينظر: شرح ديوان الحماسة: ٢/ ١٢٧، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ١/ ٢٨١- ٢٨٢.

(٥٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ١٠١.

(٥٥) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ٤٥٥.

(٥٦) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٥٠.

(٥٧) ينظر: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: ١/ ٥٠٧.

(٥٨) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٣٤٦.

(٥٩) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٧.

(٦٠) الأمالي، الزجاجي: ٢٣٨، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٩٧، سبب وضع علم العربية: ٣٥.

(٦١) الأغاني: ١٢/ ٤٨٢.

(٦٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٧/ ٤٠.

(٦٣) الأمالي الزجاجي: ٢٣٨- ٢٣٩، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٩٧، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة: ٢٤٩، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨/ ٣٧٥ سبب وضع علم العربية: ٣٤.

(٦٤) الشيعة وفنون الإسلام: ١٥٥.

(٦٥) الأمالي، الزجاجي: ٢٣٩، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٣٩، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة: ٢٤٩، سبب وضع علم العربية: ٣٥.

(٦٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٢/ ٥٣٥، حياة الحيوان الكبرى: ١/ ٤٨٧.

(٦٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٧/ ٣٦، البحث اللغوي عند العرب: ٨٥.

(٦٨) ينظر: الشيعة وفنون الاسلام: ١٥٥.

(٦٩) الأغاني: ١٢/ ٤٨٢، سبب وضع علم العربية: ٤٣.

(٧٠) نثر الدر في المحاضرات: ٥/ ١٨٢، نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٩، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٤/ ١٤٦٧، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: ٢/ ٧٣٥، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ١٠/ ١٨٢، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٨٢، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: ٣١، غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٣٤٦.

(٧١) ينظر: الأمالي، الشيخ الطوسي: ٦٠٦، بحار الأنوار: ٣٤/ ٣١٤- ٣١٥.

(٧٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ٣٨، سير السلف الصالحين: ٨٣٣، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٥٠، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ١٠/ ١٨٢، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٧/ ٥٤.

(٧٣) ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: ٢/ ٧٣٥، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٨٢، غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٣٤٦.

(٧٤) مستدرك الوسائل: ٤/ ٢٧٧- ٢٧٨، مستدرك سفينة البحار: ٨/ ٤٦٦، مسند الإمام علي (عليه السلام): ٢/ ٣٨١، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٦/ ٢٥٤.

(٧٥) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٢/ ٥٥٤- ٥٥٥، بحار الأنوار: ٤٧/ ٤٠٧، مستدرك سفينة البحار: ١٠/ ٩٢، الكنى والألقاب: ٢/ ٤٥٣، معجم رجال الحديث: ٢٠/ ٣١٣.

(٧٦) ينظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٣/ ١٢١٣، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٣٧٤- ٣٧٥.

(٧٧) ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: ٣٨.

(٧٨) ينظر: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله: ١/ ٣٠٩.

(٧٩) ينظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٣/ ١٢١٣، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٣٧٤- ٣٧٥، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٧/ ٣٠٦، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: ٣/ ٢٢٧، تهذيب التهذيب: ٣/ ٢٥.

(٨٠) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٣/ ١٢١٣، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٣٧٥.

(٨١) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٧/ ٩٠.

(٨٢) ينظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار: ٢٥٩، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢/ ٦.

(٨٣) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢/ ٦.

(٨٤) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٠٨.

(٨٥) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢/ ٦، سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ١/ ١٧، الأعلام: ١/ ٢٦، معجم المؤلفين: ١/ ١، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: ١/ ٧، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم: ١/ ١.

(٨٦) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢/ ٦، غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٤، معجم المؤلفين: ١/ ١، سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ١/ ١٧، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم: ١/ ١.

(٨٧) ينظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني): ١٤.

(٨٨) ينظر: سلم الوصول إلى طبقات

الفحول: ١/ ١٧، معجم المؤلفين: ١/ ١، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: ١/ ٧، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم: ١/ ١.

(٨٩) ينظر: معجم المؤلفين: ١/ ١، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: ١/ ٧.

(٩٠) ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ١/ ١٧.

(٩١) ينظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم: ١/ ١.

(٩٢) ينظر: الأعلام: ١/ ٢٦، معجم المؤلفين: ١/ ١.

(٩٣) ينظر: م. ن: ١/ ٢٦.

(٩٤) ينظر: معجم المؤلفين: ١/ ١.

(٩٥) ينظر: الأعلام: ١/ ٢٦، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: ١/ ٨.

(٩٦) ينظر: الأعلام: ١/ ٢٦.

(٩٧) ينظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: ١/ ٨.

(٩٨) ينظر: المتفق والمفترق: ٢/ ٨٦٧.

(٩٩) ينظر: الثقات، محمد بن حبان: ٨/ ٢٢٩.

(١٠٠) طبقات الشعراء: ٩٥.

(١٠١) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٤٥- ٤٧، معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٣/ ١٢٧٣، الكنى والألقاب: ١/ ٤٢٣.

(١٠٢) طبقات الشعراء: ٩٤.

(١٠٣) ينظر: خلاصة الأقوال: ١٤٠، نقد الرجال: ٢/ ٢٠٢، جامع الرواة: ١/ ٢٩٨، منتهى المقال في أحوال الرجال: ٣/ ١٨٥، طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال: ٢/ ٦٧٣، شعب المقال في درجات الرجال: ٢٦٢، الكنى والألقاب: ١/ ٤٣٣، أعيان الشيعة: ٦/ ٣٢٧، معجم رجال الحديث: ٨/ ٨٠، المفيد من معجم رجال الحديث: ٢١٢.

(١٠٤) ينظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء: ٢/ ٢٥١، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢/ ٣٢٥، مستدركات علم رجال الحديث: ٣/ ٣٤١، تهذيب الأصول: ٢/ ١٦٦، الشيعة وفنون الإسلام: ١٠٤، مواقف الشيعة: ٣/ ٢٦٤.

(١٠٥) ينظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء: ٢/ ٢٥١.

(١٠٦) خلاصة الأقوال: ١٤٠.

(١٠٧) ينظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء: ٢/ ٢٥١.

(١٠٨) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٠٠، علل الشرائع: ١/ ١٤٦، روضة الواعظين: ١١٦، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٥، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ١٣/ ٢٦٦، بحار الأنوار: ٢٩/ ٤٧٩- ٤٨٠، منتهى المقال في أحوال الرجال: ٣/ ١٨٦، أعيان الشيعة: ١/ ٣٣٤، معجم رجال الحديث: ٨/ ٨١.

(١٠٩) معجم رجال الحديث: ٨/ ٨١، المفيد من معجم رجال الحديث: ٢١٢، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ: ٨/ ٤١٨، الأعلام من الصحابة والتابعين: ١/ ١٢٤.

(١١٠) الأمالي، الشيخ الطوسي: ٦٠٨- ٦٠٩، بحار الأنوار: ٢٩/ ٤٩٦، الكنى والألقاب: ١/ ٤٢٤.

(١١١) فتح الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٢٠- ٢١، روح البيان: ٩/ ٩٨- ٩٩، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ١/ ١٠٦.

(١١٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ١٨٤، فتح الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٢٠- ٢١، روح البيان: ٩/ ٩٨- ٩٩، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ١/ ١٠٦، الأصلان في علوم القرآن: ١١٦، الواضح في علوم القرآن: ١٠١، الموسوعة القرآنية المتخصصة: ٢١٣.

(١١٣) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ١١.

(١١٤) الخصال: ٢٥٨، وسائل الشيعة: ٥/ ٨٤، التفسير الأصفى: ١/ ٥٦١، بحار الأنوار: ١/ ٢١٢، تفسير نور الثقلين: ٢/

٤٠٩، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٢٦٩.

(١١٥) الكافي: ٢/ ٦١٥، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١٢/ ٥٠١، تفسير الصراط المستقيم: ٢/ ٣٩٤.

(١١٦) الكافي: ١/ ٥٢، وسائل الشيعة: ٢٧/ ٨٣، بحار الأنوار: ٢/ ١٥١.

(١١٧) السرائر: ٢/ ١٥٥، ينظر: تفسير الصراط المستقيم: ٢/ ٣٩٥.

(١١٨) الخلاف: ١/ ٣١٥- ٣١٦، الينابيع الفقهية: ٢٧/ ٧٦.

(١١٩) عدة الداعي ونجاح الساعي: ١٨، كنز العمال: ٢/ ٢٩٣، وسائل الشيعة: ١٧/ ٣٢٥، تفسير الصراط المستقيم: ٢/ ٣٩٤- ٣٩٥.

(١٢٠) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء: ١/ ٤٤، أخبار النحويين البصريين: ٢٠، المصون في الأدب: ١١٩، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٩٧، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨/ ٤٩٥، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: ٢/ ٧٣٥، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٨٣، غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٤١٠، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٣٤٢، الاقتراح في أصول النحو: ١١٩، البلغة إلى أصول اللغة: ١٤٩، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٧/ ٥٣.

(١٢١) ينظر: المدارس النحوية: ١٥- ١٧.

(١٢٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ٢١٢.

(١٢٣) م. ن.

(١٢٤) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٣٩٩.

(١٢٥) ينظر: سيبويه إمام النحاة: ٢٣٥.

(١٢٦) ينظر: الشواهد والاستشهاد في النحو: ٣٠.

(١٢٧) ينظر: م. ن.

(١٢٨) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ١/ ٢، النحو العربي نقد وبناء: ٩٢.

(١٢٩) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية): ١٠٨.

(١٣٠) كذا والصواب: استعمال.

(١٣١) البنى النحوية: ١٣٢.

(١٣٢) ينظر: النوادر، فضل الله الراوندي: ١٩٥- ١٩٦، بحار الأنوار: ٧٣/ ٣٥٨.

(١٣٣) مستدرك سفينة البحار: ٦/ ٢٨٠.

(١٣٤) ينظر: الكتاب: ٣/ ٢١٧، ٢٢٦، ٤١٧، المقتضب: ٢/ ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٦، الأصول في النحو: ١/ ١٩٢، ٣/ ٣٧، الخصائص: ١/ ١٠، ٦٣، اللمع في العربية: ٢١١، المفصل في صنعة الإعراب: ٢٥٧.

(١٣٥) علل النحو: ٤٧٦.

(١٣٦) ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٤/ ١٦٤، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك): ٧/ ٢٦٣، اللباب في علل البناء والإعراب: ٢/ ١٥٨، شرح كتاب الحدود في النحو: ٣٠٢، المساعد على تسهيل الفوائد: ٣/ ٤٩٢.

(١٣٧) ينظر: الكتاب: ٣/ ٤٣٣، المقتضب: ٢/ ٢٨٦ و٤/ ١٨، الأصول في النحو: ٣/ ٤٥، علل النحو: ١/ ٤٦٨.

(١٣٨) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٢/ ١٧٢.

(١٣٩) م. ن.

(١٤٠) مفتاح العلوم: ٢٢٧، طبقات الشافعية الكبرى: ١٠/ ٦٨.

(١٤١) مفتاح العلوم: ٢٢٧.

(١٤٢) طبقات الشافعية الكبرى: ١٠/ ٦٨- ٦٩.

(١٤٣) أمالي ابن الحاجب: ٢/ ٥٢٩.

(١٤٤) الكافية في علم النحو: ٤١.

(١٤٥) الترادف في اللغة: ٢٢٢.

(١٤٦) ينظر: أدب الكاتب: ٢٣ وما بعدها، ومن الألفاظ التي فرَّق بينها: الحشمة والاستحياء، الحمام والدواجن، الظّل والفيء، الآل والسّراب، الخُلف والكذب، الفقير والمسكين وغيرها.

(١٤٧) الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية: ٣٨٧.

(١٤٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٤/ ٥٧٠، تأويلات أهل السنة: ١٠/ ٦٠٠، بحر العلوم: ٣/ ٦٠٨، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٠/ ٢٦٨، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل

من فنون علومه: ١٢/ ٨٣٩٩، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٨/ ٥٠٥.

(١٤٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٤٥٧.

(١٥٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٤/ ٥٧٥، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ١٢/ ٨٤٠٠، الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١٥٦، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٨/ ٦٠٢، فتح القدير: ٥/ ٥٩١، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: ١٥/ ٣٥١، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٠/ ١٩٩٤، بيان المعاني (مرتب حسب ترتيب النزول): ١/ ١٦٥.

(١٥١) معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٣٨٥.

(١٥٢) المحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ١٣٧، لسان العرب: ٢/ ٥٢٣.

(١٥٣) الكافي: ٤/ ٦٩.

(١٥٤) الكافي: ٤/ ٦٩- ٧٠، معاني الأخبار: ٣١٥، من لا يحضره الفقيه: ٢/ ١٧٢- ١٧٣، وسائل الشيعة: ١٠/ ٣١٩، بحار الأنوار: ٩٣/ ٣٧٧، تفسير نور الثقلين: ١/ ١٦٦- ١٦٧، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٢/ ٢٤٣.

(١٥٥) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية): ١٤٨.

(١٥٦) مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة: ١٣٤.

(١٥٧) ينظر: المنهج التوليدي والتحويلي- دراسة وصفية تاريخية منحنى تطبيقي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات: ١٠١.

(١٥٨) ينظر: تهذيب اللغة: ١٢/ ٢٦، تاج العروس: ١٨/ ٣٦٣ (مادَّة: رَمَضَ).

(١٥٩) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ١/ ١٠١٤، ينظر: دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ٢/ ١٠٣.

(١٦٠) النوادر: ١٩٥، بحار الأنوار: ٧٣/ ٣٥٨، مستدرك الوسائل: ٢/ ٣٦.

(١٦١) بحار الأنوار: ٧٣/ ٣٥٨.

(١٦٢) تكرَّر لفظ ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾ مرَّتين بالسياق نفسه ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ

﴿وَلَا جَانٌّ﴾ في سورة الرحمن في الآية (٥٦ و ٧٤).

(١٦٣) العين: ٧/ ٤١٢، تهذيب اللغة: ١٣/ ٢١٦، الحور العين: ١٢، لسان العرب: ٢/ ١٦٦، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/ ٩٥ (مادة: طمَثَ).

(١٦٤) ينظر: تهذيب اللغة: ١٣/ ٢١٦، أساس البلاغة: ١/ ٦١٣، الغريبين في القرآن والحديث: ٤/ ١١٨٠، لسان العرب: ٢/ ١٦٦، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: ١/ ٢٠٨، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/ ٩٥.

(١٦٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢/ ٣٧٧ (مادة: طمَثَ).

(١٦٦) ينظر: تهذيب اللغة: ١٣/ ٢١٦، أساس البلاغة: ١/ ٦١٣، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢/ ٣٧٧، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/ ٢٩٦ (مادة: طمَثَ).

(١٦٧) ينظر: تهذيب اللغة: ١٣/ ٢١٦، أساس البلاغة: ١/ ٦١٣، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢/ ٣٧٧، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/ ٢٩٦، معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ١٤١٤ (مادة: طمَثَ).

(١٦٨) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٩/ ١٤٤ (مادة: طمَثَ).

(١٦٩) المحكم والمحيط الأعظم: ٩/ ١٤٤، لسان العرب: ٢/ ١٦٦ (مادة: طمَثَ).

(١٧٠) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/ ٩٥ (مادة: طمَثَ).

(١٧١) ينظر: العين: ٧/ ٤١٢، التقفية في اللغة: ٢٢٧، تهذيب اللغة: ١٣/ ٢١٦، الغريبين في القرآن والحديث: ٤/ ١١٨٠، لسان العرب: ٢/ ١٦٦، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/ ٩٥- ٢٩٦ (مادة: طمَثَ).

(١٧٢) تصحيح الفصيح وشرحه: ٤١٤.

(١٧٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/ ٢٠٤، التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٤٨١، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ٣٤٧، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ٢/ ٣٠١.

(١٧٤) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٩/ ٤٨١.

(١٧٥) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ١١/ ٧٢٣٩، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٠٥٦، البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٦٩، الميزان في تفسير القرآن: ١٩/ ١١٠.

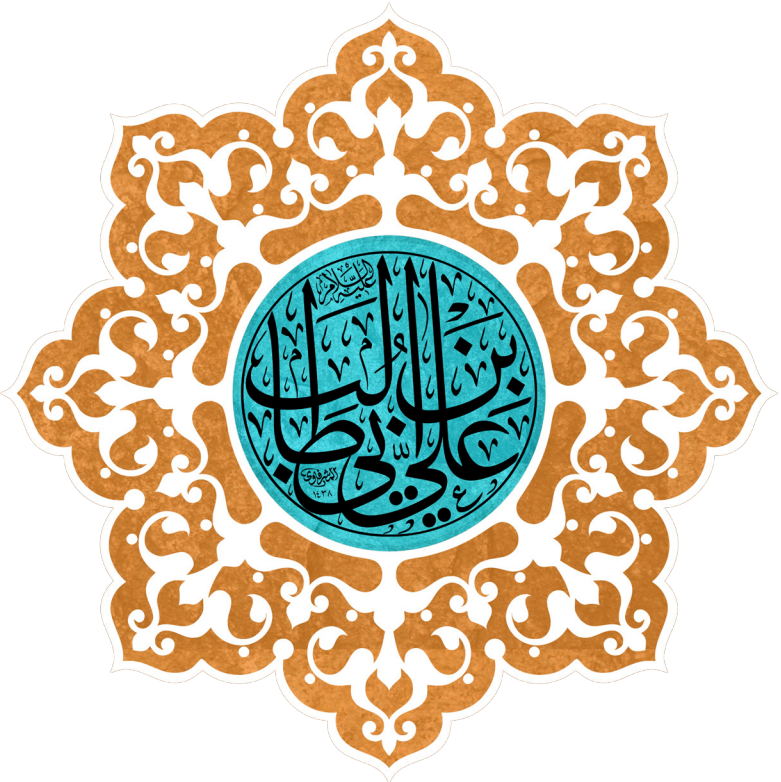

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم، كلام الله تعالى.

• الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م.

• أخبار النحويين البصريين، الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد (ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي - المدرسين بالأزهر الشريف، مصطفى البابي الحلبي، (د ط)، ١٣٧٣ هـ- ١٩٦٦ م.

• أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، (د ت)، (د ط).

• أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

• أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

• الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

• الأصلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، ط٤ مزيدة ومنقحة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

• الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت (د ط)، (د ت).

• الأعلام من الصحابة والتابعين، الحاج

حسين الشاكري، مطبعة ستارة، ط٢، ١٤١٨ هـ.

• الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

• الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، (د ط)، (د ت).

• الاقتراح في أصول النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدم له: علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط٢، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م.

• الألسنية- علم اللغة الحديث المبادئ والإعلام، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٣ م.

• الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية- الجملة البسيطة، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

• أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار- الأردن، دار الجيل- بيروت، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.

• الأمالي، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة- قم، ط١، ١٤١٧ هـ.

• الأمالي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت، ط٢، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

• إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٢م.

• الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، دار البشير، طنطا، ط١، ١٤٠٨ هـ.

• إيضاح الوقف والابتداء، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م.

• بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء- بيروت- لبنان، ط٢ المصححة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣ م.

• بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، (د ط)، (د ت).

• بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، السيد مير محمدي زرندي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١، جمادي الأولى/ ١٤٢٠ هـ.

• البخلاء، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٩ هـ.

• البرصان والعرجان والعميان والحولان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ.

• البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

• البلغة إلى أصول اللغة، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، كلية التربية للبنات- جامعة تكريت.

• البنى النحوية، نعوم جومسكي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافة

العامة، بغداد، (د ط)، ١٩٨٧ م.
• بيان المعاني مرتب حسب ترتيب النزول، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي- دمشق، ط١، ١٣٨٢ هـ- ١٩٦٥ م.
• البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
• تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د ط)، (د ت).
• تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، ط١، ١٩٦٠- ١٩٩٥ م.
• تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.
• تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت: ٤٤٢هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
• تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط) ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
• التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، رمضان المبارك ١٤٠٩هـ.
• تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: سمير المجذوب،

المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

• تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الشهير بـ «الذهبي» (٦٧٣- ٧٤٨ هـ)، تحقيق: غنيم عباس غنيم- مجدي السيد أمين، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.

• الترادف في اللغة، د. حاكم مالك الزيادي، الدار الوطنية، بغداد، (د ط) ١٩٨٠م.

• تصحيح الفصيح وشرحه، أَبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (المتوفى: ٣٤٧هـ)، المحقق: د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

• التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤١٨ هـ- ١٣٧٦ ش.

• تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين البروجردي (ت: ١٣٤٠ هـ)، صححه وعلق عليه الشيخ غلامرضا بن علي أكبر مولانا البروجردي، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، المطبعة: الصدر- قم، ١٤١٦- ١٩٩٥ م.

• تفسير الطبري- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م.

• تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز-

المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.
• تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م.
• تفسير الماتريدي- تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥م.
• التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ م- ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.
• تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.
• تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت: ١١٢٥هـ)، تحقيق: حسين درگاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث- بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
• تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي (ت: ١١١٢ هـ)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع- قم، ط٤، ١٤١٢ هـ- ١٣٧٠ ش.
• التقفية في اللغة، أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، (ت: ٢٨٤ هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية- وزارة الأوقاف- إحياء التراث الإسلامي (١٤)- مطبعة العاني- بغداد،

١٩٧٦ م.
• تهذيب الأصول، تقرير بحث السيد الخميني للسبحاني (ت: ١٤١٠ هـ)، انتشارات دار الفكر- قم.
• تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
• تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢ هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م.
• تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
• الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: د. محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ م.
• جامع الرواة، محمد علي الأردبيلي (ت: ١١٠١ هـ)، مكتبة المحمدي (د ط)، (د ت).
• الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
• جوانب من نظرية النحو، نعوم جومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، (د ط)، ١٩٨٥ م.
• الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار

ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩ م.
• حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة- بجوار محافظة مصر، (د ط)، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
• الحور العين، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣ هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٤٨ م.
• حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت: ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ.
• الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ.
• خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.
• الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (د ت).
• خلاصة الأقوال، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦ هـ)، تحقيق : الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، عيد الغدير/ ١٤١٧ هـ.
• خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني)، أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي اليمني، صفي الدين (ت: بعد ٩٢٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر- حلب/ بيروت، ط٥، ١٤١٦ هـ.
• الخلاف، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق: جماعة من المحققين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم

المشرفة، جمادي الآخرة/ ١٤٠٧ هـ.
• الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (ت: ١٣٣٢هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط١، ١٣١٢ هـ.
• دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، (د ت).
• دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
• الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية، د. عقيد خالد العزاوي ود. عماد خليفة الداينى، دار الماجد، دار العصماء، دمشق، ط١، ٢٠١٤م.
• الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرگ الطهراني (ت: ١٣٨٩ هـ)، دار الأضواء، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت).
• روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر- بيروت (د ط)، (د ت).
• روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (الأول) (ت: ١٠٧٠ هـ)، تحقيق: نمقه وعلق عليه وأشرف على طبعه : السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي پناه الاشتهاردي، المطبعة العلمية، ربيع الأول/ ١٣٩٩ هـ، قم.
• روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨ هـ)، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي- قم، (د ط)، (د ت).
• رياض العلماء وحياض الفضلاء، العلامة المتتبع الخبير الميرزا عبد الله افندي الأصبهاني (من أعلام القرن الثاني عشر)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، من منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، (د ط)، ١٤٠٣ هـ.
• الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد

بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (المتوفى: ١١٥٠ هـ)، تحقيق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم)، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ط١، ١٤٢٧ هـ.

• سبب وضع علم العربية، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: مروان العطية، دار الهجرة- بيروت/ دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

• السرائر، ابن إدريس الحلي (ت: ٥٩٨ هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤١٠ هـ.

• سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (ت: ١٠٦٧ هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول- تركيا، (د ط)، ٢٠١٠ م.

• سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، مطبعة مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م.

• سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.

• سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، (د ط)، (د ت).

• شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.

• شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت: ٢٣١ هـ)، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ)، دار القلم- بيروت، (د ط)، (د ت).

• شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي (٨٩٩ - ٩٧٢ هـ)، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، المدرس في كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر، والأستاذ المساعد في كلية التربية بالمدينة المنورة جامعة الملك عبد العزيز، مكتبة وهبة- القاهرة، ط٢، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: ٣٦٨ هـ) تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

• شرح مقامات الحريري، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي (ت: ٦١٩ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ٢٠٠٦ م- ١٤٢٧ هـ .

• شعب المقال في درجات الرجال، ميرزا أبو القاسم النراقي (ت: ١٣١٩ هـ)، تحقيق: الشيخ محسن الأحمدي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤٢٢ هـ.

• الشواهد والاستشهاد في النحو، عبد الجبار علوان النايلة، مطبعة الزهراء، بغداد، ط١، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

• الشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر، (د ط)، (د ت).

• الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت ، (د ط)، ١٣٨٢

هـ- ١٩٦٣ م.
• صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، (د ط).
• طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
• طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت: ٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف- القاهرة، ط٣، (د ت).
• الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م.
• طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: ٣٧٩ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، (د ت) .
• طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت: ٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني- جدة، (د ط)، (د ت).
• طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، السيد علي البروجردي، تقديم: آية الله العظمى المرعشي النجفي، إشراف: السيد محمود المرعشي (ت: ١٣١٣ هـ)، تحقيق : السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة- قم المقدسة، ط١، ١٤١٠ هـ.
• عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي (ت: ٨٤١ هـ)، تصحيح: أحمد الموحدي القمي، مكتبة وجداني- قم، (د ط)، (د ت).
• علل الشرائع، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية

ومطبعتها - النجف الأشرف، (د ط)، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م.

• علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن ابن الوراق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية، ط١، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م.

• العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ط)، (د ت).

• غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر، (د ط)، (د ت).

• غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر، (د ط)، (د ت).

• غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (ت: ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.

• الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩ م.

• فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا- بَيروت، (د ط)، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م.

• فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير

الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِيّةِ)، ط١، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.

• فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.

• الفصول المختارة، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: السيد نور الدين جعفريان الاصبهاني، الشيخ يعقوب الجعفري، الشيخ محسن الأحمدي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

• الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني، المطبعة: نگين- قم، ط:١، ١٤١٨ هـ- ١٣٧٦ ش.

• الفهرست، لأبي الفرج محمد بن اسحاق بن الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت: ٣٨٠هـ)، تحقيق: د. إبراهيم رمضان، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩١م، (د ط).

• في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم خليل، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.

• في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، د. خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٤ م.

• قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ - ٩٤٧ هـ)، عُني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج- جدة، ط١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٨ م.

• الكافي، الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩ هـ)، تحقيق: صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مطبعة: چاپخانه حيدري، دار الكتب الإسلامية- تهران- ايران، ط٥، تابستان ١٣٦٣ ش.

• الكافية في علم النحو، ابن الحاجب

جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (توفي: ٦٤٦ هـ)، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠١٠ م.

• الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

• الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين ، دار التفسير، جدة- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦ هـ- ٢٠١٥ م.

• الكليات- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصرين مؤسسة الرسالة- بيروت، (د ط)، (د ت).

• كنز العمال، المتقي الهندي (ت: ٩٧٥ هـ)، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.

• الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي (ت: ١٣٥٩هـ)، تقديم محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر- طهران، (د ط)، (د ت).

• اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

• لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

• اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: حامد المؤمن،

مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٨٢م.
• مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٤- ١٩٨٤م.
• مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٢٤، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠م.
• المتفق والمفترق، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.
• مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٥- ١٩٩٥ م.
• المحرر في علوم القرآن، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط٢، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.
• المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.
• المدارس النحوية، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت: ١٤٢٦هـ)، دار المعارف، (د ط)، (د ت).
• مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١- ٦٥٤ هـ)، تحقيق وتعليق: مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، دمشق- سوريا، ط١، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣ م.
• مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة المجلسي (ت: ١١١١ هـ)، قدّم له: العلم الحجّة السيّد مرتضى العسكري، إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرّسولي، مطبعة: مروي، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠٤- ١٣٦٣ ش.

• مراتب النحويين، علي عبد الواحد أبو الطيب اللغوي (ت: ٣٥١هـ)، تحقيق: د. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، مصر، (د ط)، ١٩٧٤م.

• المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار التراث، القاهرة، ط٣، (د.ت) .

• المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل (ت: ٧٦٩ هـ)، تحقيق: د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، دار الفكر، دمشق- دار المدني، جدة، ط١، ١٤٠٠- ١٤٠٥ هـ.

• مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨- ١٩٨٧ م.

• مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت: ١٤٠٥ هـ)، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، ١٤١٩هـ.

• مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت: ١٤٠٥ هـ)، مطبعة حيدري- طهران، ط١، محرم الحرام/ ١٤١٤ هـ.

• مسند الإمام علي (عليه السلام)، السيد حسن القبانجي، تحقيق: الشيخ طاهر السلامي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

• المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية- بيروت، (د ط)، (د ت).

• المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (ت: ٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط٢،

١٩٨٤ م.
• المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
• معالم التنزيل في تفسير القرآن- تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.
• معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، ١٣٧٩- ١٣٣٨ ش.
• معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.
• معجم اللسانيات الحديثة، د. سامي عيّاد حنّا، ود. كريم زكي حسام الدين، ود. نجيب جرجيس ، مكتبة لبنان ، (د ط) (د.ت) .
• معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.
• معجم المفسرين- من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨ م.
• معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د ط)، (د ت).
• معجم رجال الحديث، السيد الخوئي (ت: ١٤١٣ هـ)، ط٥، ١٤١٣- ١٩٩٢ م.
• معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين

(ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ط)، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

• معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار- المدينة المنورة- السعودية، ط١، ١٤٠٥- ١٩٨٥م.

• معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

• مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

• المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ)، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

• المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال- بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

• المفيد من معجم رجال الحديث، محمد الجواهري، المطبعة العلمية، قم- ايران، ط٢، ١٤٢٤ هـ.

• المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

• المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، (د ط)، (د ت).

مقدمة في اللسانيات، د. عاطف فضل محمد، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط١،

١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م.
• من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت:٣٨١ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤٠٤ هـ.
• مناقب آل أبي طالب، ابن شهر (ت: ٥٨٨ هـ)، صحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية- النجف الأشرف، (د ط)، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٦ م.
• مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، (د ت).
• المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، ابن إدريس الحلي، (ت: ٥٩٨ هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، إشراف: السيد محمود المرعشي، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، ط١، ١٤٠٩ هـ.
• المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م.
• منتهى المقال في أحوال الرجال، الشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني (ت: ١٢١٦ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التّراث- قم، ط١، مطبعة ستاره، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التّراث- قم، ط١، رجب/ ١٤١٦ هـ.
• مواقف الشيعة، الأحمدي الميانجي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ط١، سنة الطبع/ رجب المرجب ١٤١٦ هـ.
• موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري- أحمد عبد الرزاق عيد- محمود محمد خليل، عالم الكتب، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.
• موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ،

محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، دار الحديث للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٥ هـ.

• الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم)، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر- بريطانيا، ط١، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م.

• الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، (د ت).

• نثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (ت: ٤٢١هـ)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

• النحو العربي نقد وبناء، د. ابراهيم السامرائي، مطابع دار الصادق، بيروت، (د ط)، (د ت).

• النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، د. عبده الراجحي، دار النهضة- بيروت، ١٩٧٩م.

• نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن، ط١، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

• نظام الحكومة النبوية المسمَّى التراتيب الادارية، الشيخ عبد الحي الإدريسي الكتاني الفاسي (ت: ١٣٨٣ هـ)، مطابع الشركة العامة، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

• نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ط)،

(د ت).
• نقد الرجال، التفرشي (ت: ق ١١ هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، مطبعة : ستارة- قم، ط١، شوال ١٤١٨ هـ.
• نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ المحمودي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، مؤسسة التضامن الفكري- بيروت، ط١، ١٣٨٦- ١٩٦٦ م.
• النوادر، فضل الله الراوندي (ت: ٥٧١ هـ)، تحقيق: سعيد رضا علي عسكري، دار الحديث، مؤسسة دار الحديث الثقافية- قم، ط١، (د ت).
• الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.
• الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دار العلوم الانسانية- دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨ م.
• الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
• الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
• وسائل الشيعة، الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط٢، مهر- قم، ١٤١٤ هـ.
• وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن

إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، (د ط)، (د ت).

• الينابيع الفقهية، علي أصغر مروارید، مؤسسة فقه الشيعة- بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣- ١٩٩٣ م.

الرسائل والأطاريح

• المنهج التوليدي والتحويلي- دراسة وصفية تاريخية منحنى تطبيقي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات، أطروحة دكتوراه، رفعت كاظم السوداني، جامعة بغداد- كلية الآداب، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

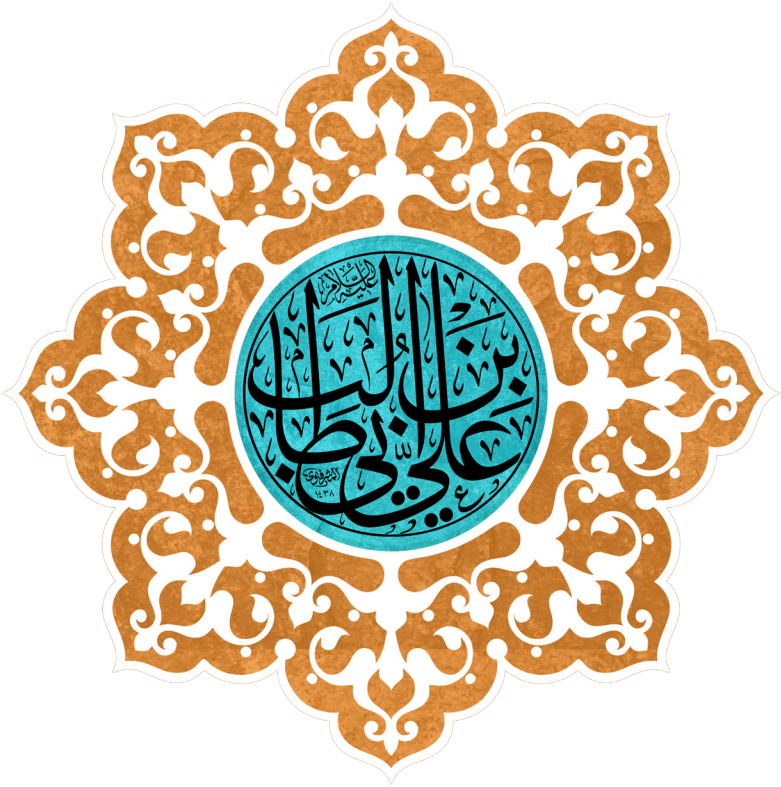

شذرات من كتاب نهج البلاغة ...

ومن خطبة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) [الحثّ على التآلف]: لِيَتَأَسَّ[1] صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلاَ عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ، كَقَيْضِ[2] بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ[3] يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

معاني المفردات:

١. لِيَتَأَسّ: لِيَقْتَدِ. ٢. القَيْض: القشرة العليا اليابسة على البيضة. ٣. الاداحِي: جمع أَدْحِي ـ كُلَّجِيّ ـ وهو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه. المصدر: نهج البلاغة ص ٣٧٢.

فضائل الإمام علي (عليه السلام)...

قال رسول اللَّه (صلى الله عليه وآله وسلم): من سرّه أن يجوز على الصراط كالريح العاصف، ويلج الجنّة بغير حساب، فليتول وليّي ووصيّي وصاحبي وخليفتي على أهلي وأمتي عليّ بن أبي طالب. ومن سرّه أن يلج النّار فليترك ولايته، فوعزة ربّي وجلاله إنه لباب اللَّه الذي لا يؤتى إلا منه، وإنّه الصراط المستقيم، وإنّه الذي يسأل اللَّه عن ولايته يوم القيامة.

المصدر: بحار الأنوار ج٣٨ ص٩٧ ح١٦ بشارة المصطفى (ص) ص٣٤

حُضُورُ شَخصِيَّةِ الإِمَامِ عَلِيٍّ (عَلَيهِ السَّلَامُ) فِي القَصَائِدِ الأَندُلُسِيَّةِ
قَصِيدَتَي ابنِ جَابرٍ وَابنِ الجيَّابِ أنمُوذَجًا
دِرَاسَةٌ فِي الوَصفِ وَالسَّردِ

The presence of the personality of Imam Ali (peace be upon him) in the Andalusian poems

The poems of Ibn Jaber and Ibn al-Jayyab as a model.

Descriptive and Narrative Study

أ. م. لَيلَى منَاتِي مَحمُود

Laila Manati Mahmoud

ملخص البحث

تم اختيار قصيدتين لشاعرين أندلسيين في مدح شخص الإمام علي (عليه السلام)، هما ابن جابر وابن الجياب، ميدانًا للبحث لما تحملانه من تقنيات فنية متماسكة فيما يتعلق بالوصف والشخصية والسرد. وقد اتخذ الشاعران من شخصية الإمام علي (عليه السلام) الذي كان منارًا ينير لنا درب القرب إلى الله تعالى، فقد كانت أخلاقه قبسًا من نور خلق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي تربى في حجره وعاش على مائدة مكارم أخلاقه، فكان أنموذجًا قياديًا علميًا خلقًا وسياسة، يندر أو ينتفي وجوده في أمم أخرى، حوت القصيدتين مقاطع وصفية متنوعة الأشكال والتعابير، لذا جاء هذا البحث ليجري دراسة عليها عبر تحليل النصوص الوصفية وبيان أبعادها الفنية والجمالية.

Abstract

Two poems by two Andalusian poets in praise of the person of Imam Ali (peace be upon him), they are Ibn Jaber and Ibn Al-Jayyab, were chosen as a field for research for their coherent artistic techniques with regard to description, character and narration. The two poets took on the personality of Imam Ali (peace be upon him), who was a beacon illuminating us the path of proximity to God Almighty. A leadership model, scientific, ethical, and political, which is rarely found in other nations. The two poems contained descriptive passages of various shapes and expressions, so this research came to be studied by analyzing the descriptive texts and clarifying their artistic and aesthetic dimensions.

المقدمة:

تم اختيار قصيدتين لشاعرين أندلسيين في مدح شخص الإمام علي (عليه السلام)، هما ابن جابر وابن الجياب، ميدانًا للبحث لما تحملانه من تقنيات فنية متماسكة فيما يتعلق بالوصف والشخصية والسرد. وقد اتخذ الشاعران من شخصية الإمام علي (عليه السلام) الذي كان منارًا ينير لنا درب القرب إلى الله تعالى، فقد كانت أخلاقه قبسًا من نور خلق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي تربى في حجره وعاش على مائدة مكارم أخلاقه، فكان أنموذجًا قياديًا علميًا خلقًا وسياسة، يندر أو ينتفي وجوده في أمم أخرى، حوت القصيدتين مقاطع وصفية متنوعة الأشكال والتعابير، لذا جاء هذا البحث ليجري دراسة عليها عبر تحليل النصوص الوصفية وبيان أبعادها الفنية والجمالية، والكشف عن الدلالات المختلفة التي تمخضت عنها بمقدمة وتمهيد وأربعة محاور، تضمن التمهيد تحديد مفهوم الوصف وبيان وظائفه وعلاقته بالسرد، واختص المحور الأول بدراسة الوصف المقيد بالسرد من حيث السرد الوصفي، والوصف الموجه من السرد بأنماطه الثلاثة: الوصف البسيط والوصف المركب، والوصف الانتشاري، وخص المحور الثاني بدراسة (الوصف الحر) من حيث الوصف الدال على انفعال داخلي، والوصف الممهد للحدث، والوصف الدال على الحدث، واختص المحور الثالث بالوصف التصنيفي، أمّا المحور الرابع فتضمن الوصف التعبيري.

تمهيد:

يشكل الوصف «نظامًا أو نسقًا من الرموز والقواعد يستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات

أي مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية»[١]، أي إنّ الوصف يعكس الصورة الخارجية لحال من الأحوال أو لهيأة من الهيئات، فيحولها من صورتها المادية القابعة في العالم الخارجي إلى صورة أدبية قوامها نسيج اللغة، وجمالها تشكيل الأسلوب [٢]. إذ يقوم الوصف بالوقوف عند الملامح الخارجية للموصوف أو الموضوع الوصفي الواحد، وينشأ عن ذلك عدد غير محدد من الموضوعات التي تقبل الوصف [٣].

يقدم الوصف جملة من الأشياء التي ينبغي تصور دلالتها بصريًا، أي إنّه يسم كل ما هو موجود بطابع التميز والتفرد[٤]، فيعد الوصف بذلك «فاعلية بصرية مشهدية وهذا المجال الواسع الذي ترتع فيه العين وتمارس عن طريقه وظيفتها»[٥]. ويحدد الوصف الحدث ويأخذ هويته ويعمل على تصويره وتشخيصه ما يمكن للوصف أن يحدد الواقع ويكشف الرابط بين الشخص والطبيعة [٦].

من الصعب تصوير مقطع سردي خال من العنصر الوصفي، وكذلك إنّ اقتران الوصف بالسرد له تأثير مباشر في بناء الشخصية، وله أثر غير مباشر في تطور الحدث[٧]. ويعمل الوصف على إعطاء الإيقاع للراوي سمه عبر وصف تحركات الشخصية في الفضاء[٨].

إذ تربط السرد والوصف علاقة قوية تعود إلى الوظائف التي يؤديها في السرد والوصف في جوهر القصة وتعمل في إظهار الفقرات والملامح الوصفية على حساب اقتصادي في السرد[٩]. إذ إن السرد يخص المظهرين الزمني والدرامي. أمّا الوصف فعلى العكس من ذلك يقف عند الأشخاص والأشياء بوصفها عناصر

متجاورة متعاصرة[١٠]. بالرغم من ذلك يبقى الوصف عنصرًا مساعدًا للسرد إذ ليس بمكان الوصف أن يحل محل السرد فيقوم مقامه ويؤدي وظيفته، ولا السرد يمكن أن يستغني عن الوصف بذلك يكون الوصف نافعًا في السرد ومطورًا للحدث.

ومما سبق يعمل السرد على كشف الأحداث ويظهر حركة الشخصية، ويساعد الوصف على إعطاء أوصاف الشخصية والحدث والأشياء.

المحور الأول

الوصف المقيد بالسرد

١ـ السرد الوصفي: تتمثل العلاقة بين السرد والوصف بوجود أفعال حركية ووصفية في آن واحد. وهذه الأفعال تخضع في عملية تحققها كتابيًا للقوانين المتحكمة نفسها في إنتاج كل عملية وصفية.... إن كل حدث يمكن التعبير عنه بوساطة عدد من الأفعال التي تناسبه. ولذلك فإنّ اختيار فعل بعينه هو انتقاء لحالة وصفية تحدد نوعية الحدث أو نوعية الوعي به أو التفاعل معه حتى مع كل فعل عملية وصفية دائبة في العملية السردية أو خاضعة لها[١١]، ومن هنا تكثر الأفعال في السرد لتدل على الحركة وتبرز الأحداث والاعمال كافة، مما يبرر المقاطع الوصفية من الجمل السردية لذا تغدو الأفعال السردية في خدمة الوصف[١٢]. وفي سياق السرد الوصفي تأتي دلالات الوصف في مستوياتها المختلفة بحيث يمكن إلحاق الوصف بجدول السرد في مستوياتها المختلفة، إذ إن بؤرة السرد المركزية تتجمع في المقاطع الوصفية وتماثلها مع دلالات المستويات السردية الأخرى مما يؤدي إلى دفع الحدث ونموه وتطوره[١٣]. ومن أمثلة السرد الوصفي، قول ابن الجياب[١٤]:

وحَلّهُ مِنْهُ كهارون الرّضا
مِنْ صنْوهِ مُوسَى أخًا مسْتُوزرا
وكَفَاهُ أن نَطَق الكِتابُ بفضلهِ
فَغَدا الثّناءُ عَلَيه فيهِ مُسَطّرا
فأقرأ تَجد في سُرة الإنسانِ مِنْ
أوصافِهِ العزَ الرَّفيعَ الأخطرا
وشَهادةٌ فُرقانيّة مِثْلَ الذّي
مَلأَ القُلوبَ عليه حَسْرَةً وتَفطّرَا
طود النهى بحرُ النَّدى عَلمُ الهُدى
سمُّ العِدَى خَيرُ البَرِيّةِ مَعشَرا

تحوي الأبيات الوصفية سيلًا من الجمل السردية المتلاحقة التي لا تخلو أفعالها المتضمنة في القول (المنزلة، المدح، الثناء، والعز) من الصدى الوصفي أمام ذروة ربانية شامخة تجتمع فيه خلاصة المقامات الإلهية التي يعطيها الله لخاصة أوليائه؛ إذ أفصح الشاعر عن منزلة الإمام علي (عليه السلام) مستفيدًا من قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبّي بعدي»[١٥]، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحرص كل الحرص أن يشبه أمير المؤمنين (عليه السلام) بهارون، في كل شيء، وقد ذكرت الآيات القرآنية أن هارون أخوه، وابن أمه، وخليفتهُ في قومه، ووزيرهُ الذي يشدُّ به أزرهُ، فجعله النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، مع هارون في دفة القيادة وجعل الأمة تبعًا له، ماعدا النبوة التي كان يتحلى بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم ينتقل ابن الجياب إلى الأوصاف في سورة الإنسان المباركة، المذكورة في الآية القرآنية: ﴿ويُطعمونَ الطعّامَ على حُبّهِ مسكينًا ويتيمًا وأسيرا﴾[١٦]، وقد أفادت أسباب نزول هذه الآية في الإمام علي (عليه السلام)، لتكون شهادة فرقانية قائمة على الدليل والبرهان.

٢ـ الوصف الموجه من السرد:

فهو الوصف المنصب على الشخصية والأشياء التي تنتمي جميعها إلى سيرورة السرد، فكلما همّ السارد بتقديم شخصية، فإنّ السرد يفسح المجال أمام العملية الوصفية لأنه لابد من تقديم المظهر الخارجي للشخصية وسمات الأشياء القابعة داخله أو حواليه، وهي عملية تسبق عادة بتمهيد يضطلع به السارد مهيّئًا به القارئ لتلقي الوصف وفاسحًا المجال أمام الوصف الذي يعلن عن نفسه. وبذلك يكون منتميًا للسرد وموجهًا من طرفه بوساطة الموصوف والشيء أو الشخصية في استقبال التفاصيل الوصفية غير أنه من انتمائه للموصوف المشكل للحظة من لحظات قوة السرد يستطيع أن يتجاوز غائبة السرد[١٧].

أ ـ الوصف البسيط: يتكون هذا الوصف من جملة وصفية مهيمنة وقصيرة لا تحتوي إلّا على بعض التراكيب الوصفية الصغرى. إذ لا يستطيع هذا النمط من الوصف مجاوزة دلالته المسخر لها من السرد إلّا أنّه بفضل تلاحمه مع بقية الإشارات الوصفية الأخرى الخاصة بالشخصيات يشكل دلالة اجتماعية يكون لها دور فعال في فهم النص وتأويله[١٨]، ما يُعد هذا الوضع بصرف النظر عن أوصاف أخرى للشخصية[١٩].

ومن أمثلة الوصف البسيط، قول ابن جابر[٢٠]:

وكان من الصّبيانِ أوّلَ سابقٍ
إلى الدّينِ لم يُسبَق لطاعةِ مُرشِدِ

قدم البيت الوصف البسيط لإيمان الإمام علي (عليه السلام)، عبر تحديد أنَّه أول من آمن من الصبيان؛ لأنه أوّل الناس إسلامًا، فإن الروايات الصحيحة والمعتبرة الواردة عن النبي (صلى الله عليه

وآله وسلم) في هذا الشأن كثيرة..... ومنها أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد علي (عليه السلام) فقال: هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر»[٢١]، وبهذا يعطي هذا الوصف أمرًا مسلمًا به ومجمعًا عليه، ولا يمكن إنكاره لأحد، أنه لم يسبقه أحد في طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أمّا قول الشاعر بأنّه (عليه السلام) أوّل من أسلم من الصبيان فهو ممّا نسجته أيدي المخالفين ليرجح بهذا القول أسبقية إسلام غيره من الرجال والنساء ولا ينظر إلى أسبقية اسلامه (عليه السلام) بشيء لكونه صبيًا والسؤال المطروح إذا كان هو الأوّل من الصبيان فمن الثاني منهم والثالث؟ فلماذا يترك هؤلاء ولم يذكرهم التاريخ؟ وهم من السابقين.

وعليه لم يسبقه سابق في كونه أول من أسلم من الخلق ولم يكن سنُّهُ عائقًا في قبول إسلامه وقد خصه الله تعالى بصفات الأنبياء (عليهم السلام) ما خلا النبوة، فكان كنبي الله يحيى (عليه السلام) إذ أتاه الله الحكم صبيا، قال تعالى: ﴿**يا يحيى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وأتيناهُ الحُكمَ صَبِيًّا**﴾[٢٢].

ب ـ الوصف المركب: هو الوصف الذي ينصب على الشيء الموصوف الذي ينتمي إلى السرد شريطة كون هذا الوصف معقدًا، إما بفضل الانتقال من الموصوف إلى أجزائه ومكوناته أو الانتقال إلى المحيط الضام لهذا الموصوف أو المضموم ضمنه[٢٣]، ويتحقق هذا الوصف عن طريق أفعال السرد بوصفها حوافز تقع على شخصية عمل ما. وفي مثل هذه الحالة فإنّ انتقال الوصف من الشخصية إلى الأشياء وجمعها بمكان

واحد لا تتم بوضوح إلا إذا أتقن عليه الانتقال بدقة[٢٤].

ومن أمثلة الوصف المركب، قول ابن الجياب[٢٥]:

فمحبّةٌ لاشكَ في إيمانهِ
عَهدٌ به عَهدَ الرسَّول وأخبرا
حَكمُوا بِمفهوم الخِطابِ لصَدّهِ
فَمُبدعًا ومُفَسّقًا ومُكفّرا
سِيَّان مُبغضِه ومن فيهِ غَلاَ
حَادَا عَن النَّهجِ القّويم فأكبرا
لا تَسمعنَّ لِناصبٍ أو رافضٍ
فكلاهُما رَكِبَ الهَوَى فتحيّرا
والحَقُّ بَيَنَ الباطلين فخُذْ بهِ
وَتَحرَّ مَنهَجهُ الجليّ الأنوَرا

تؤدي الأفعال السردية في الأبيات الوصفية المتضمنة في القول (الإرشاد، والتهكم، والسخرية، والمنع) من شخصية أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى وصف شخصين الأول الذي أحب نصب العداء له، والثاني من آمن به وأحبه وغالا في حبه، فكلاهما زاغ عن الطريق القويم، وقد كانت الانتقالة واضحة بفضل إظهار صيغة النهي (لا تغل....)، و (لا تسمعن....)، مستفيدًا من حكمة الإمام علي (عليه السلام) «اياكم والغلوُّ فينا.. هلك فيَّ رجلان، محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ»[٢٦]، فترجم هذا المعنى عندما ساوى بين المحّب المغالي للإمام (عليه السلام)، والمبغض الناصب له العداء، وبذلك يركب ابن الجياب الموقف تلو الموقف في تناسق واضح من الانتقالات عبر هذه الأبيات الشعرية.

ج ـ الوصف الانتشاري: هو الوصف الذي يتخذ لنفسه محورًا في نقطة ما بحيث يسمح له أن يراقب الأشياء والمشاهد واللوحات عبر صيغ سردية غير أن هذه التفاصيل التي تستقر نحو الوصف يكون المعنى فيها معروفًا سلفًا. ويعد هذا

النمط من الوصف أعلى درجات اقتراب الوصف من السرد، إذ يفسح المجال لاكتشاف حقائق أخرى في العلاقة بين السرد والوصف[٢٧].

ومن أمثلة الوصف الانتشاري، قول ابن جابر[٢٨]:

فنادى عليًّا ثم أبرأ عينَهُ
بِنَفثٍ كأن لم يُمسِ قبلُ بأرمدِ
فأعطاهُ إيّاها وقال لهُ ادعُهُمْ
ومهما أبَو فازهُد إليهم تُؤَيَّدِ
فجدّلَ منهم مَرحبًا عندما دعا
إلى الحربِ دعوى الفاتك المُتَمرّدِ
وقاتل طوْدَ اليوم والبابُ تُرسُهُ
يجولُ به للقومِ في كلِّ مَرصَدِ
فأعجَز هذا البابُ مِنْ بعد عَشرةٍ
فما الظنُّ في هذا القوي المُؤَيَّدِ

ينتقل الوصف في الأبيات السابقة من شفاء عيني الإمام علي (عليه السلام)، عندما كان أرمد، فبرئت حتى كأن لم يكن بهما وجع[٢٩]، إلى إعطائه الراية من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحّب الله ورسوله، ويحّبه الله ورسوله كرار غير فرار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه»[٣٠].

ومن ثم بيان المكانة لأمير المؤمنين (عليه السلام) عند الله ورسوله، ثم الوصف العام للمعركة التي خاضها الإمام مع مرحب، ليبين قوة الإمام البالغة، وشجاعته النادرة في مواجهة مرحب وقتله، لتحقيق أهداف الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومقاصد الرسالة. وعن طريق حركة الإمام عبر أفعال عديدة هي (جّدل، دعا، قاتل، يجول، أعجز)، فضلًا عن الأوصاف (الفاتك، المتمرد، القوي، المُؤيّد).

ويعبر هذا الوصف عن مشهد معروفٍ سلفًا إلّا وهو الدور الأكبر للإمام علي (عليه السلام)، حينما قلع باب خيبر وبها انتصر المسلمون على اليهود، وقد قتل الإمام (عليه

السلام) مرحبًا وجملة من الأبطال الشجعان، وعليه فقد تواشجت جزئيات الوصف مع الأفعال والنعوت لإيضاح المشهد، فضلًا عن الدقة في التعبير.

ومن أمثلة الوصف الانتشاري، قول ابن الجياب[٣١]:

وعِبادةً وزَهَادةً وتواضعًا
وتشاغلًا بِمعاده مُتفكّرا
وتَجلّيًا بشمائلِ الفَضل الّتي
عَنَها يُقصّرُ من أطالَ وقَصّرا
لم يَقن مالًا غيرَ لامةِ حَربهِ
بيضاءَ صافية وَلدنا أسَمَرا
وسوابغًا تَذر السّيُوفَ عليةً
وسَوابقًا جُردًا، عِتاقًا ضُمّرَا
ألقَتْ لهُ الدُّنيا الحَلالَ فَرّدهُ
مُتَنَزهًا مُتزَهدًا وتنكّرَا

ينتقل الوصف السابق من الوصف العام لشخصية الإمام علي (عليه السلام)، (عبادة، زهادة، تواضعًا، تشاغلًا بالمعاد، تفكرًا)، إلى الجزئيات، بالرغم من أن الإمام هو المسؤول عن بيت مال المسلمين، إلّا أنه لم يملك من المال إلّا عّدة الحرب وهي السيف والدرع والفرس، للتعبير عن ترفّع الإمام عن الدنيا وشهواتها فردّ حلالها. وعن طريق الحدث الذي تقوم به شخصية الإمام علي (عليه السلام) عبر الأفعال (ألقت، ردّه، تنزه، تزهد، تنكرا)، ومما سبق فقد قدم الوصف الانتشاري مشهدًا معروفًا سلفًا للفعل (زهد)، فقد زهد الإمام في الدنيا، وأعرض عن ملذاتها طمعًا بما عند الله عزّ وجّل، ولو أراد لسجدت أمام قدميه الدنيا بما فيها، إلّا أنه رغب عنها متّبعًا سُنّة الأنبياء والصالحين، ففي وصفه لها يقول: «**وإنَّ دُنياكُم عندي لأهونَ من ورقةٍ في فمِ جرادةٍ تقضُمها مَا لِعَليٍّ ولنعيمٍ يَفنى ولَذّةٍ لا تبقى**»[٣٢]. مما يعكس إيحاءات كثيرة منها أن الدنيا لم تترك

في نفسه أثرًا كثيرًا كان أو قليلًا.

المحور الثاني: الوصف الحر

هو الوصف الذي يندمج مع السرد في شكل مشهد قصير أو لقطة موجزة كأنه إقحام مفاجئ يوقف تسلسل السرد، وهو أداة فنية تتأرجح بين كونها وصفًا وصورًا، وصفًا لأنها تقدم مشهدًا، وصورًا: لأنها تحاول التعبير بالرمز عن حدث فعلي أو انفعال داخلي[٣٣]. ويمثل هذا النمط من الوصف مجالًا للإسقاطات الذاتية التي تسمح للإنسان أن يدرسها عبر أوصافها الداخلية مما يضعه في صراع مستمر داخل الإنسان[٣٤].

١ ـ الوصف الدال على انفعال داخلي:

هو الوصف الذي يتيح للشاعر تدفق انفعالات داخلية تختلج في نفسيته أو بمعنى آخر رديف سبر الاغوار الداخلية، وتنفعل تحت تأثير حدث ما، إذ يتم التعبير بوساطة المشهد عن الإحساس المرفق لهذا الحدث[٣٥]. ومن أمثلة الوصف الدال على انفعال داخلي، قول ابن الجياب [٣٦]:

فلقد عُرفتُ بحب كل مُبيّضٍ
وعليه أرجو أن أموتَ وأحشرا
مِنْ أجلِ آل عَلِيٍّ الأعلى الذي
جَلَّتْ مناقِبُ مَجْدِه أنْ تُحصّرا
بَدْرٌ بَدَا في خَير آفاقِ العُلى
مِنْ هاشِمٍ أزكَى البَرِيّةِ عُنصُرَا
لمّا رأى شمْسَ الرّسالةِ والهُدى
قَدْ أشرقتْ قَبلَ الضياءِ فأبدرا
سبق الأنام مُصَدِقًا بالمصْطفى
ومُصلّيًا ومُهَلّلًا ومُكبّرا

تعبر الأبيات الوصفية عن الانفعال الداخلي للشاعر ابن الجياب الذي انجذب لكمالات أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد تحرك قلب الشاعر منجذبًا بحبه نحو علي وآله الأطهار، عن طريق العبارات (عرفت بحب....)،

(ارجو أن أموت....)، ليؤكد عمق ولائه لرسالة الإسلام وشدة ارتباطه بالقادة الرساليين، إذ إنهم (شمس الرسالة) التي غطت بنورها أرجاء المعمورة، فأبوهم علي الأعلى الذي سبق الخلق في التصديق بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبذلك فإنّ تدفق الانفعالات الداخلية للشاعر تؤكد إيمانه بالحّب الدال على الثبات، الذي يرجو أن يُحشر عليه.

٢- الوصف الممهد للحدث:

ينشأ الحدث من موقف معين ثم يتطور. وهذا التطور من نقطة لأخرى يتطلب التفسير ومن أجل أن يستكمل الحدث وصولًا إلى النهاية فلابد إذن من إرهاصات تمهد لهذا الحدث[٣٧]، لذا يأتي الوصف الممهد للحدث الذي يستند إليه الشاعر للإشارة إلى طبيعة اللحظات الموالية أو إلى طبيعة الحدث القادم وبفضله يقدم جوًا مناسبًا للحدث[٣٨]. ومن أمثلة الوصف الممهد للحدث، قول ابن جابر[٣٩]:

فمسّح عنهُ التُّرابَ إذ مَسَّ جلدَهُ
وقد نامَ نَومَ النّافر المُتفرَد
وقال له قولُ التّلطُّفِ قُمْ أبا
تُرابٍ كلامَ المُخْلصِ المُتورِّدِ
وأرسله عنهُ الرسولُ مبلّغًا
وخصَّ بهذا الأمرِ تخصيص مُفرَدِ
وقال هلِ التبليغُ عنّي ينبغي
لمن ليس من بيتي فبالقومِ فاقتدِ

تعطي الأبيات الوصفية السابقة تمهيدًا للحدث القادم، بوصف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو يمسح التراب عن جلد الإمام علي (عليه السلام)، في غزوة العشيرة[٤٠]، حين وجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام (عليه السلام) وعّمار بن ياسر نائمين في دقعاء من التراب، فأيقظهما وحرك عليًّا، ولا يكتفي الوصف بالتمهيد

بل يقرنه بقول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام: «قم أبا تراب»[41]، وبذلك يكون أمير المؤمنين هو أول من كُني بأبي تراب، حين وجده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) راقدًا وعلى جنبيه التراب[42]. وبذا يقدم جوًا مناسبًا لتهيئة القارئ للحدث القادم، ذلك أنه لما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش فسار بها يومًا وليلة ثم قال لعلي (عليه السلام): «اتبع أبا بكر فبلغها» ورد أبا بكر، فقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال: «لا إلا أنه لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني»[43]، وبذلك يقدم الوصف منقبة أخرى لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد كان أحرص الناس على دين الله ودين رسوله، وقد ظهر ذلك عبر تضحياته وحرصه ومؤازرته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحروب والغزوات وغير ذلك من المواقف التي شهد لها الناس.

٣- الوصف الدال على الحدث:

هو الوصف الذي يتحقق عندما تكون مهمة الوصف سرد أحداث مخبوءة عن جمل وصفية[44]، فيستعرض المواقف والقيم والشخصيات التي ينضج بها الحدث الفني بكل أبعاده ومراحله المختلفة، فتأتي كل مرحلة بدورها المطلوب بشكل كامل وصولًا إلى الحدث العام[45]. ومن أمثلة الوصف الدال على الحدث، قول ابن الجياب[46]:

فَعليٌّ الأعلى أتتُهُ شهادةٌ
من كفِّ أشقَى العالمينَ وأخسَرا
ولِنجلهِ أرضى شهادته التّي
أعلى بها الله المقَامَ وأظهرا

يبدأ الوصف بمؤازرة الحدث، فيقوم بتقديم كل ما من شأنه توضيح العّلو والرفعة لمنزلة الإمام (عليه السلام)، فضلًا عن ذلك فإن السرد

الحكائي يسعى إلى إقناع المخاطبين بأن إطفاء أنوار الله المضيئة المتجلية في سيرته العلوية المباركة كانت على يد أشقى العالمين، مستفيدًا من قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «**أشقى الأولين والآخرين قاتل عليّ**»[٤٧]، وما يثبت ذلك عبارة (أشقى العالمين وأخسرا)، ثم ينمو الحدث ويتطور عندما يقدّم الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه وعياله في معركة لم يكن لها مثيل؛ لأجل إعلاء الحق وإحقاقه، وإماتة الباطل وإزهاقه وهكذا كان الموقف بشكله التام دالًا على الحدث العام واكتماله، لأجل إقامة دولة الحق والعدل الإلهي.

المحور الثالث: الوصف التصنيفي:

هو الوصف الذي يحاول تجسيد الموصوف بحذافيره كلها بعيدًا عن المتلقي وإحساسه بهذا الموصوف، ويلجأ في ذلك إلى الاستقصاء والاستنفاذ[٤٨]؛ لذا يسمى بالوصف التفصيلي[٤٩]، أو الفوتوغرافي[٥٠] أو الاستقصائي[٥١]. ويقوم هذا النمط عبر استقصاء الموصوف على تناول أكبر قدر ممكن من تفاصيله؛ لذا تكون مقاطع الوصف بشكل طويل[٥٢] ويعد (جيرار جينيت) الوصف المتسع والمفصل بمثابة وقفة أو استراحة للوصف في أثناء السرد[٥٣].

١- وصف الشخصية: ومن أمثلة الوصف التصنيفي، قول ابن جابر[٥٤]:

وإنّ عليًّا كانِ سيفَ رسولهِ
وصاحبُه السامي لَمجدٍ مُشيَّدِ
وصهرَ النبي المجتبى وابن عمهِ
أبا الحَسنَينِ المُحتوى كلَّ سُؤددِ
وزوَّجهُ ربُّ السما مِنْ سمائِهِ
وناهيك تزويجًا مِنَ العرشِ قد بُدِي

يعبر النص الوصفي عن تفصيلات استقصائية للإمام علي

(عليه السلام)، فوصفه من حيث بعده الاجتماعي، فهو ابن عم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، تربى في حجره وعاش على مائدة مكارم أخلاقه، فتنامت أخلاقه شموخًا، وسجاياه علوًا ورفعة، فهو أفضل هذه الأمة مناقبًا ـ بعد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأعلمها بالكتاب والسنة، ويمكن تلمس البعد الديني عن طريق الجهاد في سبيل دينه، فلولا سيفه لما قام الدين، ولا أنهدت صولة الكافرين. ويفصل الشاعر القول في شخصية ممسوسة بذات الله، فقد تواترت الأحاديث والروايات التي أكدّت أنّ زواج السيدة الزهراء وأمير المؤمنين (عليهما السلام)، كان بأمر الله عزّ وجل. فقد وظف الشاعر قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة (عليها السلام): «زوّجتك سيّدًا في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين. يا فاطمة، لمّا أراد الله أن أمّلكك بعلي، أمر الله جبريل فقام في السماء الرابعة، فصفّ الملائكة صفوفًا ثمّ خطب عليهم فزوجك من علي، ثّمّ أمر الله شجر الجنان فحملت الحليّ والحلل، ثمّ أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منه شيئًا يومئذ أكثر مما أخذ غيره افتخر به إلى يوم القيامة»[٥٥]، مما يعكس البعد الفكري للشاعر في معرفته أن زواج النورين كان زواجًا مباركًا من عند الله، وقد شكّل نبراسًا لكلّ السالكين في طريق الهداية والرشاد.

ومن أمثلة الوصف التصنيفي ما جاء في تفصيلات استقصائية عن أفعال شخصية أمير المؤمنين على الوفق ما يلي، في قول ابن جابر[٥٦]:

لقد طلّقَ الدنيا ثلاثًا وكلّما
رآها وقد جاءت يقولُ لها ابعِدي
وأقربهم للحق فيها وكلُّهمْ
أُولو الحقّ لكن كان أقربَ مُهتدي

يعبر التفصيل الدقيق في الأبيات الشعرية عن إعراض الإمام العارف المستطيع التارك، فهو الباب الواسع والمدخل الرئيس الذي يستطيع الإنسان سلوكه من دون أن ينحرف عقائديًا أو يضلّ فكريًّا أو سلوكيًّا. لقد وظف الشاعر قول الإمام علي (عليه السلام): «يا دنيا غُرّي غيري قد طلقتك ثلاثًا»[٥٧]، في نصه الشعري؛ ليكون مثالًا تربويًا للإنسان المسلم بأن يجعل نفسه لا تطلب إلّا ما عند الله عز وجلّ، ولا تركن إلى إغراءاتها وشهواتها، ثم يستمر الشاعر في السرد، فيذكر لنا سمة بارزة وهي انقياده للحق حيث كان وأنى كان، انطلاقًا من إيمانه بالعدالة الاجتماعية، وأن لا تمايز بين المسلمين أبدًا.

المحور الرابع: الوصف التعبيري:

هو الوصف الذي يبين وقع الشيء والإحساس الذي يثيره هذا الشيء في نفس الذي يتلقاه[٥٨] ويقدم هذا الوصف عبر جملة وصفية قصيرة لا تحتوي إلّا على بعض التراكيب الوصفية الصغرى[٥٩]. ويلجأ هذا الوصف إلى الإيحاء والتلميح[٦٠]؛ لذا يسمى بالوصف الإجمالي أو الانتقائي[٦١].

ومن أمثلة الوصف التعبيري، قول ابن الجياب[٦٢]:

فإذا العساكر أحجمتْ ألفيتَهُ
مُتَقَدِّمًا يَلقى الحِمامَ الأحمرا
أسَدٌ إذا لاقى الجيوش رأيتَهُ
مُتَحدّيًا أبطالها مُتَخيرّا
فلسيفه في رَأسِ كُلِّ مُعانِدٍ
ومُكذّبٍ مِصداقُ ما قد أنكرا

تعطي الأبيات الوصفية السابقة، سمة بارزة عُرف بها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ألا وهي شجاعته النادرة، فقد كانت حالة عقلية أكثر منها حالة عاطفية، امتزج فيها اليقين بالله وحب لقائه أكثر منها

حالة جسدية، فيتقدم لملاقاة الموت المضرج بالدم، وهكذا فإن هذه التراكيب الوصفية لا تمر بواقعة من الوقائع إلّا ويكون الإمام كالأسد متحديًا أبطال العرب الذين التحقوا بجيوش الكفر فيتخيرهم لمنازلتهم في ساحة المعركة، وهناك فعلان منجزان في صيغة الماضي اشتركا في إبراز المشهد الوصفي (لاقى، ورأيته)، فضلًا عن ذلك فإن سيفه الذي حصد رؤوس المعاندين المكذبين لدين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي قال: «**ما قام ولا استقام ديني إلّا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب**»[٦٣].

ومن أمثلة الوصف التعبيري، قول ابن جابر[٦٤]:

وقد قالَ رسول الله إني مدينةٌ
مِن العلم وهو البابُ فالبابَ فاقصدِ
ومن كنتُ مولاه عليٌّ وليُّهُ
ومولاهُ فاصدق حب مولاك ترشدِ

تدل الأبيات السابقة عن تركيب وصفي بسيط جدًا لجوانب من هذه الشخصية العظيمة ذات الأبعاد العميقة والآفاق الوسيعة، فإن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد خصّ الإمام عليًا (عليه السلام)، بعلوم ومعارف لم يخص بها أحدًا غيره، فقد أفاد من قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «**أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب**»[٦٥]، فيصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) علمه بالمدينة، ثم يحصر طريق الدخول إليها بباب واحد وهو أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعلى هذا فقد جعله الطريق الوحيد لأخذ تعاليم الشريعة، ومن ثم يوحي هذا الوصف أنه معصوم من الذنب والخطأ والاشتباه والسهو والنسيان؛ لأن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أدب عليًّا بالآداب التي

أدبّه بها الله، فلمّا استحكم الآداب كلهّا فوّض الأمر إليه، فقال: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه**»(٦٦)، وقد عضد هذا الوصف فعل الأمر (أصدق) للإفادة بأن حب الأمام دال على الرشاد، وحبه متأصل في الذات المؤمنة، فهذه المنزلة العالية التي حصل عليها الإمام إنما تمثل درجة إيمانية في الذات المؤمنة.

الخاتمة:

١. يكثر الوصف المقيد بالسرد في قصيدتي ابن جابر وابن الجياب، من حيث نوعية: السرد الوصفي، والوصف الموجه من السرد ففي السرد الوصفي تكثر الجمل السردية المتضمنة التي لا تخلو من الصدى الوصفي أمام ذروة ربانية شامخة تجتمع فيه خلاصة المقامات الإلهية التي يعطيها الله لخاصة أوليائه، ليفصح لنا الشاعر عن منزلة أمير المؤمنين (عليه السلام) من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). أما الوصف الموجه من السرد فيأتي بثلاثة أنماط: الوصف البسيط بجمل قصيرة تتلاءم مع بقية الإشارات؛ ليقدم لنا الشاعر إيمان الإمام علي (عليه السلام) عن طريق تحديد أنّه أوّل الناس إسلامًا. أما الوصف المركب فيأتي عبر تركيب الشاعر للموقف تلو الموقف في تناسق واضح من الانتقالات عبر الأبيات الوصفية، فيساوي بين المحّب المغالي للإمام علي (عليه السلام) والمبغض له. أما الوصف الانتشاري فهو ينقل المتلقي إلى مشاهد عدة، ولوحات كما في وصف مشهد شفاء عين الإمام (عليه السلام) عندما كان أرمدًا، إلى إعطائه الراية من قبل الرسول. (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن ثم الوصف العام للمعركة التي خاضها ليبين لنا قوة الإمام البالغة وشجاعته النادرة في

الحروب. أو وصف إعراض الإمام عن الدنيا.

٢. يقوم الوصف الحر في القصيدتين بتقديم مشاهد بعيدة عن السرد، فيأتي بثلاثة أنماط: الوصف الدال على انفعال داخلي كما في انجذاب الشاعر ابن الجياب لكمالات أمير المؤمنين (عليه السلام)، ليؤكد عمق ولائه لرسالة الإسلام وشدة ارتباطه بالقادة الرساليين. أما الوصف الممهد للحدث فهو يأتي في مقاطع وصفية كثيرة، كالوصف الممهد لإرسال عليٍّ (عليه السلام) ببراءة إلى مشركي قريش، وبذلك يقدم الوصف منقبة أخرى لأمير المؤمنين فقد كان أحرص الناس على دين الله ورسوله. أما الوصف الدال على الحدث فيوضح العلو والرفعة لمنزلة الإمام (عليه السلام)، فضلا عن ذلك فإن السرد الحكائي يسعى إلى إقناع المخاطبين بأن إطفاء أنوار الله المضيئة المتجلية في سيرته العلوية المباركة كان على يد أشقى العالمين.

٣. يعمد الشاعران في القصيدتين إلى الوصف التصنيفي عبر استقصاء المعلومات واستنفاذها عن أوصاف الإمام (عليه السلام)، فيصفه من حيث بعده الاجتماعي فيفصل القول في زواج علي من فاطمة الزهراء (عليهما السلام).

٤. يقوم الوصف التعبيري بجملة وصفية قصيرة ليترك المجال للقارئ ليكتشف أن شجاعة الإمام علي (عليه السلام) كانت حالة عقلية أكثر منها حالة عاطفية، امتزج فيها اليقين بالله وحب لقائه أكثر منها حالة جسدية، وكذلك كونه معصومًا من الخطأ؛ لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أدب عليًا بالآداب التي أدبه بها الله.

الهوامش:

١. ضحك كالبكاء، إدريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٦، ص١٢٧.

٢. في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م، ص٢٥٨.

٣. قضايا السرد عند نجيب محفوظ، وليد نجار، منشورات دار الكتاب اللبناني، المكتبة الجامعية، مكتبة المدرسة، ١٩٨٥م، ص١٤٩.

٤. قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردو، ترجمة: صباح الجهيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م، ص ٤٠.

٥. جدل العين والذاكرة في مجموعة حائط البنادق القصصية لعبد الخالق الركابي، إبراهيم جنداري، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (٢٧) لسنة ١٩٩٥م، ص٧٨.

٦. الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، موريس أبو ناضر، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٣٣.

٧. البيئة في القصة، وليد أبو بكر، مجلة الأقلام، بغداد، العدد (٧) لسنة ١٩٨٩م، ص٦٤.

٨. الإيقاع في القصة القرآنية، إبراهيم جنداري ونبهان حسون السعدون، مجلة التربية والعلم، كلية التربية ـ جامعة الموصل، العدد (٢٩) لسنة ٢٠٠١م، ص٥٢ـ٥٣.

٩. بنية الشكل الروائي (الفضاء. الزمن. الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٧٧.

١٠. النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، بغداد، ١٩٨٦م، ص٤٤١.

١١. وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، دار اليسر للنشر، المغرب، ١٩٨٩م، ص٣٠.

١٢. الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، موريس أبو ناضر، دار النهار

للنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٣٣.
١٣. أبحاث في النص الروائي العربي، سامي سويدان، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٥٨.
١٤. ديوان (أبو الحسن علي) ابن الجياب الأنصاري الأندلسي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: د. جمعة شيخة، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠١٦م، ص١٤٨.
١٥. صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، (كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي)، دار ابن كثير، لبنان، بيروت، ٢٠١٨م، ج٣ / ٢٣/ ح٣٧٠٦.
١٦. سورة الإنسان، آية (٨).
١٧. وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، ص٣٢.
١٨. المصدر نفسه، ص٣٣.
١٩. أبحاث في النص الروائي العربي، سامي سويدان، ص١٤٤.
٢٠. شعر ابن جابر الأندلسي (محمد بن أحمد بن علي الضرير) (ت٧٨٠هـ)، صنعه د. أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م، ص٤٩.
٢١. تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن (ابن عساكر ت: ٤٩٩هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة، عبد الله بن سالم، عبد الله بن عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ج٤٢ص٤١- ٤٣.
٢٢. سورة مريم: اية ١٢
٢٣. وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، ص٣٣.
٢٤. في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، ص٣٠٠.
٢٥. ديوان ابن الجياب، ص١٥٣.
٢٦. غُرر الحكم ودُرر الكلم للإمام علي (عليه السلام) (ت ٤٠هـ)، جمع: عبد الواحد بن محمد الآمدي (ت٥٥٠ هـ)، تحقيق: مصطفى الدرايتي، وحسين الدرايتي، إيران، الناشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٠هـ، ج٢ ص١١٨.
٢٧. قضايا السرد عند نجيب محفوظ، د. وليد نجار، منشورات دار الكتاب

اللبناني، المكتبة الجامعية، مكتبة المدرسة، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٦.
٢٨. شعر ابن جابر، ص٤٩.
٢٩. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ج٤١ص٢١٩.
٣٠. السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٣٦م، ج٣ ص٣٤٩.
٣١. ديوان ابن الجياب، ص١٥٢.
٣٢. نهج البلاغة (المختار من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، للإمام علي (عليه السلام)، تصنيف: محمد بن الحسين الملقب بـ (الشريف الرضي)، تحقيق: صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٣٤٧.
٣٣. وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، ص٣٨.
٣٤. أبحاث في النص الروائي العربي، سامي سويدان، ص١٤٢.
٣٥. وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، ص٣٩.
٣٦. ديوان ابن الجياب، ص١٤٨.
٣٧. فن القصة، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، ط٧، بيروت، ١٩٧٩م، ص٣٩.
٣٨. وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، ص٣٩.
٣٩. شعر ابن جابر، ص٥١.
٤٠. غزوة العشيرة الواقعة في جمادي الأول من السنة الثانية الهجرية، السيرة النبوية لابن هشام، ج٢ ص٦٠١.
٤١. خصائص أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، لأبي عبد الرحمن الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣ هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ٤١٩هـ، ص٢١١.
٤٢. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ج٣ ص١٢.
٤٣. علل الشرائع، الصدوق، ص١٩٠. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٨ ص٢٣٩.
٤٤. وظيفة الوصف في الرواية، عبد

اللطيف محفوظ، ص٤٠.

٤٥. النهايات المفتوحة (دراسة نقدية في فن انطوان تشيكوف القصصي، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤٩.

٤٦. ديوان ابن الجياب، ص١٥٤.

٤٧. مسند أحمد (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١ هـ))، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن، التركي الناشر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ، ج٤ ص٢٦٤.

٤٨. بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، أحمد قاسم سيزا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٨١.

٤٩. ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق (دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة)، عبدالله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٨م، ص١٣٢.

٥٠. ينظر: فضاء النص الروائي، د. محمد عزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، مطبعة اليمامة، حمص، ط١، ١٩٩٦م، ص١١٥.

٥١. ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٠م، ص٢٣.

٥٢. ينظر: بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، أحمد قاسم سيزا، ص٨١.

٥٣. ينظر: حدود السرد، جيرار جينيت، ترجمة: بنعيس بو حمالة، مجلة آفاق المغربية، العددان (٨ـ ٩) لسنة ١٩٨٨م، ص٦٠.

٥٤. شعر ابن جابر، ص٤٩.

٥٥. لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، اعتنى به الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، سلمان عبد الفتاح، دار النشر الإسلامي، لبنان، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٣ ص٩٦.

٥٦. شعر ابن جابر، ص٥١.

٥٧. غُرر الحكم ودُرر الكلم، الإمام علي

(عليه السلام)، ص٥٧٥.
٥٨. بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، أحمد قاسم سيزا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٨١.
٥٩. فضاء النص الروائي، د. محمد عزام، ص٨١.
٦٠. بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، أحمد قاسم سيزا، ص٨١.
٦١. ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني، ص٢٣.
٦٢. ديوان ابن الجياب، ص١٤٩.
٦٣. شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٦٨هـ، ط٥، ج٢ ص٢٣٣.
٦٤. شعر ابن جابر، ص٤٩.
٦٥. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥ هـ)، طبعة فريدة بفهرس الأحاديث الشريفة، بإشراف الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج٣ ص١٢٦.
٦٦. روح المعاني، أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠ه)، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ج٤ ص٢١٢.

المصادر:

١. القرآن الكريم.

٢. أبحاث في النص الروائي العربي، سامي سويدان، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦م.

٣. الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، موريس أبو ناضر، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٤. الإيقاع في القصة القرآنية، إبراهيم جنداري ونبهان حسون السعدون، مجلة التربية والعلم، كلية التربية ـ جامعة الموصل، العدد (٢٩) لسنة ٢٠٠١م.

٥. البيئة في القصة، وليد أبو بكر، مجلة الأقلام، بغداد، العدد (٧) لسنة ١٩٨٩م.

٦. السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٣٦م.

٧. البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٠م.

٨. البناء الفني لرواية الحرب في العراق (دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة)، عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٨م

٩. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع، دار صادر، بيروت.

١٠. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥ه)، طبعة فريدة بفهرس الأحاديث الشريفة، بإشراف الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

١١. النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، بغداد، ١٩٨٦م.

١٢. النهايات المفتوحة (دراسة نقدية في فن أنطوان تشيكوف القصصي، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٥م.

١٣. بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، أحمد قاسم سيزا، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٤. بنية الشكل الروائي (الفضاء. الزمن. الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي

العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.
١٥. تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن (ابن عساكر ت٤٩٩ه)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة، عبد الله بن سالم، عبد الله بن عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.
١٦. جدل العين والذاكرة في مجموعة حائط البنادق القصصية لعبد الخالق الركابي، إبراهيم جنداري، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (٢٧) لسنة ١٩٩٥م.
١٧. حدود السرد، جيرار جينيت، ترجمة: بنعيس بو حمالة، مجلة آفاق المغربية، العددان (٨-٩) لسنة١٩٨٨م.
١٨. خصائص أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، لأبي عبد الرحمن الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ٤١٩هـ.
١٩. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.
٢٠. ديوان (أبو الحسن علي) ابن الجياب الأنصاري الأندلسي (ت٧٤٩ه)، تحقيق: د. جمعة شيخة، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠١٦م.
٢١. روح المعاني، أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠ه)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
٢٢. شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٦٨ه.
٢٣. شعر ابن جابر الأندلسي (محمد بن أحمد بن علي الضرير) (ت٧٨٠هـ)، صنعه د. أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٤. صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦ه)، (كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي)، دار ابن كثير، لبنان، بيروت، ٢٠١٨م.
٢٥. ضحك كالبكاء، إدريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٦.
٢٦. غُرر الحكم ودُرر الكلم للإمام علي (عليه السلام) (ت٤٠هـ)، جمع: عبد

الواحد بن محمد الآمدي (ت٥٥٠هـ)، تحقيق: مصطفى الدرايتي، وحسين الدرايتي، إيران، الناشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٠هـ.

٢٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.

٢٨. فضاء النص الروائي، د. محمد عزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، مطبعة اليمامة، حمص، ط١، ١٩٩٦م.

٢٩. فن القصة، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، ط٧، بيروت، ١٩٧٩م.

٣٠. في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م

٣١. قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردو، ترجمة: صباح الجهيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م.

٣٢. قضايا السرد عند نجيب محفوظ، د. وليد نجار، منشورات دار الكتاب اللبناني، المكتبة الجامعية، مكتبة المدرسة، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.

٣٣. لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، اعتنى به الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، سلمان عبد الفتاح، دار النشر الإسلامي، لبنان، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣٤. مسند أحمد (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ))، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن، التركي الناشر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٥. نهج البلاغة (المختار من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، للإمام علي (عليه السلام)، تصنيف: محمد بن الحسين الملقب بـ (الشريف الرضي)، تحقيق: صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، ط٤، ٢٠٠٤م.

٣٦. وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، دار اليسر للنشر، المغرب، ١٩٨٩م.

ومن كلام لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في [الأمانة] : ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّماوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ، وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلاَ أَطْوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ، وَلاَ أَعْلَى وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُول أَوْ عَرْض أَوْ قُوَّة أَوْ عِزٍّ لاَمْتَنَعْنَ، وَلكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وَهُوَ الْأِنْسَانُ، {إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولا}.

المصدر: المصدر: نهج البلاغة ص ٥٠٥

الملحق:

قراءة في مقدمة سماحة آية اللّه محمد رضا الخرسان لكتاب الانتصار للشريف المرتضى (عليهما رحمة اللّه ورضوانه)

بقلم: أ. د. صلاح مهدي الفرطوسي.

قدَّم لي الصديق العزيز السيد العلامة المحقق محمد صادق الخرسان مشكورًا نسخة من كتاب (صدى الرحيل) الذي أشرف على إعداده السيد عبد الستار الحسني، وطبعته مطبعة الرائد سنة ٢٠١٩م في مائتين وأربع وستين صفحة؛ ونشر بعد رحيل السيد الفقيه محمد رضا الخرسان إلى جوار ربه (رضوان الله عليه)؛ واحتوى الكتاب على مقدمة، وخواطر مع رحلة الفجر تناول فيها السيد صادق سيرة حياة والده ومكانته العلمية والاجتماعية والتربوية، وتراثه المطبوع والمخطوط؛ وهو عرض على وجازته جامع لأطوار حياة الراحل الكبير من المهد إلى اللحد؛ ثم اختار من تراثه ثلاث مقدمات قدم فيها الفقيد ثلاثة كتب فقهية تراثية قديمة؛ وهي (كتاب المناقب) للخوارزمي من تأليف أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكري المكي الحنفي المتوفى سنة ٥٦٨هـ، و(كتاب مقدمة النصائح الكافية لِمن يتولى معاوية) من تأليف السيد محمد بن عقيل بن عبد الله الحسيني المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، و(كتاب الانتصار) للسيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ، الذي أنا بصددها.

ونشر بعد المقدمات بعض ما أبَّن به الفقيد (رضوان الله عليه)، وهو بعنوان (نشيج الغياب) لما جادت به قرائح بعض الأدباء والشعراء من مشاعر ومواساة. وتبعه من بعد بثلاث إجازات حبرها للفقيد بعض الأعلام، منها إجازة بعنوان ثبت الإثبات، وهي للسيد شرف الدين العاملي المطبوعة بصيدا سنة ١٩٤٩م، وتبعها بإجازة الشيخ حسين القديحي، وهي بخط يده، ثم إجازة

الشيخ أغا بزرك الطهراني، وختم برسالة للسيد شرف الدين (رضوان الله عليه) التي أرسلها للسيد الفقيد في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٧٦هـ، ردًّا على رسالته، ثم كلمة الرضا في المؤتمر الدولي لتكريم الإمام شرف الدين. وختم الكتاب بمجموعة من صور الفقيد في المناسبات المختلفة. فله الشكر والمنّة على ما أهدى، وعظم الله له الأجر والثواب بمصابه الجلل، إنه على كل شيء قدير. وبسبب صلة الرحم التي ربطتني بآل الخرسان عامة وبالصديق العزيز العلامة المحقق السيد صادق، رأيت أن أواسيه بفجيعته، وذلك بعرض ما حبّره الفقيد في مقدمته لكتاب الانتصار للشريف المرتضى رضوان الله تعالى عليهما.

أقول: مازال لقائي بالسيد الرضا الخرسان (طيَّب الله ثراه) كأنه الساعة على الرغم من مرور سنيات على آخر مرة تشرفت فيها بزيارته، وما زرت ساحته مرة إلَّا وخرجت من داره العامرة وأنا أشعر بالدهشة الممزوجة بالمتعة والإجلال والاحترام لذلك السيد الوقور، والإفادة من مجلسه المتخم بالأطايب، من علم، وثقافة، وأدب، وفقه، ورواية، ودروس تربية وأخلاق.

ويوم ذهب إلى جوار جده المرتضى (عليه السلام) لم أكن بالمدينة المقدسة حين ذاك كي أواسي أخي الصادق بمصابه وأشارك بتشييع الفقيد إلى مثواه الأخير؛ فشعرت بفجيعة كبيرة، وأسف وحزن شديدين؛ إذ خسرت المدينة برحيله عالمًا يصعب أن يجود الدهر بمثله علمًا، ووسطية، وسماحة، وتواضعًا، وطيب معشر؛ وكان فوق هذا وذاك تربويًا أنفق ربيع عمره وخريفه في الاهتمام

بتنشئة جيل صالح من أبناء وطلبة حوزة.

ولد السيد الخرسان سنة ١٩٣٣م ورحل مأسوفًا عليه سنة ٢٠١٩م، عن عمر جاوز الثمانية عقود كان فيها زاهدًا بما في أيدي الناس، منصرفًا إلى درسه وتدريسه ورعاية أبنائه وطلبته في النجف الأشرف، ولم تستطع تقلبات الأحداث التي مرّ بها أن تجرفه إلى مهاويها كما جرفت غيره، واستطاع بحنكة وتدبر أن يبتعد عن مزالقها على الرغم من الترهيب والترغيب الذي تعرض له؛ فرضوان الله عليه يوم ولد، ويوم ارتحل، ويوم يبعث حيًّا، ويكفيه عزًّا فوق مجده الباذخ أن يكون من أبنائه النجباء بكره العلامة الكبير السيد محمد صادق الخرسان أطال الله عمره، أحد أساتذة الحوزة العلمية اليوم في مدينة إمام المتقين، وأول من صلّى الجماعة من علماء مدينته في حَرَمِهِ (عليه السلام) بعد السقوط.

وقد ربطتنا أبناء جدِّي الشيخ علي الفرطوسي طيب الله ثراه بالسادة آل الخرسان خؤولة نعتز بها ونفخر، ونتمسك، ونتعلق؛ لما لهذه الأسرة الكريمة من باع طويل في خدمة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)؛ إذ عرفت فيهم الحوزة العلم والتواضع الجم، والوسطية التي تجمع ولا تفرق، والبعد عن كل ما يشين، والانصراف إلى الله جيلًا بعد جيل.

فتح الفقيد العزيز عينيه في بيت عربي من بيوتات المدينة العلمية الأصيلة التي لا تعرف غير الدرس والتدريس، فوالده السيد حسن من آيات الله في زمانه علمًا وثقافة وحرصًا على تنشئة أبناء أسرته تنشئة علمية فاضلة، وفقيهًا من

كبار فقهاء عصره، وأستاذًا يشار إليه بالبنان، وكادت المرجعية الدينية تحط رحالها عنده لولا أنه اعتذر عنها وَرَعًا وخوفًا من أن ينزلق في مهاوي دنيوية عافتها نفسه الأبية الزاهدة، وقد تربى السيد الرضا أيضًا في عين البيت الذي ربَّى والده، بيت عميد أسرة آل الخرسان آنذاك السيد عبد الرسول؛ فأخذ السيد حسن ولده الرضا بما أخذه به أبوه مقتديًا بسيرة أجداده أهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم).

والحديث عن هذه الأسرة الفاضلة طويل لا يمكن عرضه في هذه العجالة التي خصصتها لموضوع بعينه.

وما إن تعدَّى السيد الرضا مرحلة الطفولة إلى الشباب حتى أحس بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، والعبء الثقيل الذي عليه أن يحمله بكل قوة وإباء وشمم بعد رحيل والده.

وأما المرتضى فولد سنة ٣٥٥هـ في عصر العصور القرن الرابع، قرن الدولة الشيعية في المشرق والمغرب، عصر القمم الشامخة والانفجار الحضاري في تاريخ الإسلام المعرفي، وهو عصر النور والتنوير الذي ليس له من مثيل في تاريخ الإنسانية الزاهر، وقد قلت عنه من قبل من بين ما قلت: إنه (عصر التوهج، والانفتاح، والتحضر، والتزاوج، والتلاقح؛ إذ أظلَّ أمّة من أبرز علماء العربية والإسلام، كالطبري، والهمداني، واليعقوبي، والرازي، والفارابي، وابن النديم، والصاحب، وابن دريد، وابن جنِّي، والأزهري وأبي الفرج الأصفهاني، والهروي، والبيهقي، واللخمي، وابن رشيق، والقزاز، والقالي، والزبيدي، وغيرهم، وهو بلا شك عصر

التفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، وعلوم العربية، وعلم الكلام، والرياضيات، والفلك، والكيمياء، والفيزياء، والطبيعيات، والطب، والصيدلة، والفلاحة، والتاريخ، والجغرافيا، والرحلات، والسير، والأنساب، والملل، والنحل، والأهواء.. وهو أيضًا عصر الزهد، والتصوف، واللهو، والمجون، والفسق، والتفكك، والخلاعة، والفقر، والكدية، والشطَّار).

وما بين ولادة المرتضى وحين رحيله سنة ٤٣٦هـ (رضوان الله عليه) في ذلك العصر العجيب حياة حافلة بالعلم والمجد والسؤدد والعظمة؛ إذ نهل من معين أئمة عصره من مراجع الشيعة الكبار ببغداد وغيرهم، وشب نابغة لا يدانيه أحد بعد أن تجاوز شيوخه في فنون المعرفة التي كانت سائدة في زمانه.

وأزعم أن السيد حينما تصدى لعرض أطوار حياة المرتضى (نور الله تربته)، كان عارفًا بأنه يتصدى لأمر جلل، وعملاق من عمالقة الفكر والثقافة الإسلامية، وبحر من بحور الأدب والفقه والتفسير وعلم الكلام، وقامة عالية من قامات الشعر في ذلك العصر المتخم بالكبار. ولم يكن الرضا غافلًا عن كل هذا، ولا أظنه كان مترددًا في ولوج ذلك الصعب، فقد تأسس تأسيسًا علميًّا متينًا ونهل من مناهل المعرفة العذاب، في بيئة مدينة إمام المتقين العلمية زمن المراجع الكبار في العصر الحديث. والنجف منذ عصر الشيخ الطوسي إلى يوم الناس هذا بيئة التشيع في العالم، فما من طالب علم أو مجتهد أو عالم أو مرجع في أقطار الدنيا إلَّا حجَّ لها، وتزود من زاد علمائها الأعلام، وكان الزحام على أشده في حلقاتها

التي تبدأ مع الفجر ولا تنتهي إلا بعد غسق من الليل.

ومما يحسب للسيد الخرسان قدرته الهائلة على لي معصم اللغة إلى جانبه، ويوم قرأت ما قرأت له أصبت بالدهشة من لغته التي يصعب الوقوف على مثيل لها فيما قرأته لغالبية الباحثين من رجال الدين خاصة، وأزعم أنه حينما كتب مقدمة الانتصار علا فيها على لغة كثير من الكتاب العراقيين والعرب أيضًا، ففاز بالقدح المعلَّى؛ أنظر إليه كيف افتتح تلك المقدمة الرائقة الجميلة كي يحدث الدهشة في نفس قارئه ويمسك بتلابيبه حتى لا يهرب منه؛ قال: (كنت أحسبني -وأنا أنتظم حلقات الدراسة العليا في حوزتنا- أن فرص التفرغ والتعمق العلميين ستكون أكثر سنوحًا لي، وأوفى مواصلة واستدامة، ولكن ما إن توغلت في المضمار حتى بدا لي أن الشوط أكثر طولًا مما قدَّرت، وأكبر جهدًا ومعاناة مما تصورت، وأن ما أنهد إليه من تعمق في دراساتنا ليس بالأمر الذي يحسبه البعض هيِّنًا، وإن الطريق إليه معبدة سالكة، بل الأمر أخطر من أن يُلَمّ به في سنوات قابلة للتحديد بالكم...)، وهكذا شرق بقارئه بعيدًا عن المرتضى وكتابه الانتصار، كي يلفت نظر من لا علاقة له بالدراسة الحوزوية إلى صعوبة الغوص في غمراتها بسبب يبسها ووعورتها، وصعوبة مباحثها، وما تحتاج إليه من صبر وجدٍّ وجلدٍ ومثابرة في لغة مشرقة فصيحة، وبمسحة بلاغية آسرة.

ثم أخذ بيده ثانية إلى التعريف بعلم الهدى عن طريق مدخل رائق أيضًا، كي لا يسارع الضجر إليه، بعبارة حلوة بليغة فصيحة، فهو

معجب بالشريف، ويريد من قارئه أن يعجب به أيضًا، ولاسيما بعد أن طغت سمعة الرضي صاحب النهج على سمعته، وسار نهجه في آفاق الدنيا، وتلاقفته أيدي الكتاب والباحثين والمحققين منذ عصر الرضي إلى يوم الناس هذا، فشرح مرات كثيرة وحقق مرَّات، في وقت لا يقل فيه أخوه المرتضى عنه علمًا وأدبًا وشعرًا، بل قد تجاوزه، فأراد أن ينصف المرتضى الذي لم يفز بما فاز به أخوه من مجد باذخ وسمعة شغلت الباحثين والكتاب؛ قال: (ولكنني ما إن بدأت بسبر أحوال سيدنا المرتضى، حتى أحسست بطارئ غريب كاد يدهشني ويأخذ على فكري كل منافذه، فقد وجدتني أمام عملاق من عمالقة الفكر، وقمة من قمم الإسلام الشامخة.. وسيرته حافلة بكثير مما ينبغي أن يتمهل عنده الكاتب لاستخلاص العبر واستجلاء الحقائق، وآثاره هي بالطبع عصارة أفكاره التي تمخضت عنها حياته هي أيضًا ما لا يسعه المرور عليها مرورًا لا يتجاوز في حدوده مطالعة الأسماء والرموز)، ولم يكتف بهذا كي يمهد لقارئه فسحة الدخول إلى سيرة هذا الكبير قبل أن يدخل إلى كتابه الانتصار، وإنما قال: (إن جوانب العظمة في الشريف المرتضى منفسحة انفساح مدة عمره التي تجاوزت الثمانية عقود، وأبعادها مترامية ترامي آثاره ومآثره)، ونقل عن ابن بسام قوله: إنه كان (إمام أئمة العراق بين الاختلاف والافتراق، إليه فزع علماؤها، وأخذ عنه عظماؤها، صاحب مدارسها وجامع شاردها وآنسها، ممن سارت أخباره، وعرفت بها أشعاره، وحُمدت في ذات الله مآثره وآثاره، وتواليفه في

أصول الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين مما يشهد أنه فرّع تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل)، ونقل شهادات غيره.

وذكر أن السياسة أخذت مأخذها من والده الشريف أبي أحمد الحسين بين التغييب والنفي، فقد كان بحسب ما نقله السيد الخرسان سيّدًا عظيمًا مطاعًا، وكانت هيبته أشد من هيبة الخلفاء؛ فخاف منه عضد الدولة فاستصفى أمواله بعد أن رأى شدة سطوته وبأسه وغلبته على أعدائه، فقبض عليه وسجنه بقلعة شيراز، وظل سجينًا منفيًّا عن بلده إلى أن مات عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ، مما أبعده عن النشأة الأولى لولديه المرتضى والرضي؛ ولكنّ الله رزق الشريفين ومنَّ عليهما بأمهما السيدة فاطمة بنت أبي محمد الحسن الناصر الصغير، وهي من عين البيت الشريف الذي انحدر منه أبوهما، وبسبب محنتها بتغييب زوجها (يممت بوجهها شطر شيخ الإمامية في عصره، وفقيههم المتكلم الشيخ المفيد طالبة منه أن يتولَّى تعليمهما.. فلبَّى الشيخ طلبها بعد أن احتفى بالزائرة الجليلة، وبالغ في احترامها، ولهذه السيدة الجليلة ألف الشيخ المفيد كتابه أحكام النساء). وهكذا أثار السيد الخرسان في نفس متابعه ما أثار من أحاسيس تدفعه لمواصلة الدرب معه حتى نهايته، بتركيز شديد وعبارة تبتعد عن الإطالة التي لا طائل من ورائها، وأسلوب يذكرنا بفن القول الجميل. وكان لابد أن يمنح القارئ فرصة لمعرفة هذا العملاق الكبير بمسرد على إيجازه أشار فيه إلى جميع جوانب نشأته ونسبه الشريف، فقد ولد في أوج الانفجار الحضاري الكبير الذي

ألمحت إليه.

ومن عجيب ذلك العصر الذي ولد فيه المرتضى أن طالب العلم لم يكن في حاجة إلى مال أو تذكرة سفر للقاء الكبار من علماء الأمة، فهو بكفالتها في حلِّه وترحاله، يشرق ويغرب في آفاق الدنيا تلميذًا وشيخًا؛ وقد شهدت النجف الأشرف ما شهدته تلك العصور من كفالة طالب العلم المهاجر إليها مسكنًا ومأكلًا، وما يحتاج إليه من مصاريف.

قال: (كان مولده الشريف في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد الذي يعرف اليوم بالكرخ في رجب سنة ٣٥٥هـ أيام خلافة المطيع لله ابن المقتدر الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء بني العباس)، وقد ترى ما رأيت من جمعه ما بين الجغرافية والتاريخ بعبارة سلسة شديدة الإيجاز، فإن كنت لا تعرف محلة باب المحول، فهي في الجانب الغربي من بغداد، وإن كنت لا تعرف هذا الجانب منها، فأنت تعرف جانب الكرخ منها، وحتى لا ينبهم تاريخ ولادته عندك، ويذكرك بعصر المرتضى قال: ولد أيام خلافة المطيع ابن المقتدر الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء بني العباس.

والمرتضى ليس كبقية المولودين يوم ولد، ولا كبقية العلماء الذين ذكرت أسماؤهم، وإنما ولد (حيث اكتنفه المجد والفخار، وحفت به العظمة من شتى نواحيها، من أبوين كريمين ماجدين يرفل كل منهما بأثواب العزّ والسيادة)؛ ووليد مثل هذا ولد في فمه ملعقة من ذهب كما كان يقال، قد لا ينصرف إلى ما انصرف إليه، وأنت تعلم أن كثيرًا من أبناء العلماء الميسورين قد انحرفوا عن جادة آبائهم، وأخذتهم الدنيا إلى مراتع

اللهو، وأضاعوا تاريخ آبائهم، كما أضاعوا ثرواتهم في الملاهي؛ ولكن الوليد السعيد لم تغره المغريات، وإنما جاهد أن يكون عند حسن ظن ذلك الشرف، فزاحم السابقين واللاحقين، وفاز بالحسنيين.

كان المرتضى بحسب ما قال عنه السيد الخرسان عن مصادره، وما ذكره المؤرخون من شمائله وسماته: (إنه رحمه الله كان ربع القامة، نحيف الجسم، أبيض اللون، حسن الصورة، فصيح اللسان يتوقد ذكاءً). وحين عرض مصادر معرفته لم يكن مروره عليها عابرًا، وإنما تحدث عن شيوخه ومكانتهم العلمية بين علماء عصرهم، وعن مؤلفاتهم وأثرها على المرتضى؛ فذكر له ستة عشر شيخًا هم من أساطين العلوم في عصرهم، فأخذ عنهم اللغة والأدب والفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام وما إلى ذلك من علوم؛ وفي مقدمتهم الشيخ المفيد شيخ الطائفة في زمانه، وأبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي الأديب الشاعر، والشيخ أبو عبد الله المرزباني الذي كان من أئمة الأدب وفنونه، وأبو علي الفارسي النحوي الشهير صاحب كتابي الإيضاح في النحو والحجة في علل القراءات، وغيرهم من الأعلام.

وبعد تزوُّد المرتضى من زاد الكبار، واستوعب ما قدموه من مفاخر مازالت الأمة تفاخر بها، بدأ بنشر ما استوعبه بعد أن أضاف إليه من علمه وعبقريته ما أضاف، فأخذت عنه أمَّة من طلاب العلوم في زمانهم ممن لا يحصيهم إحصاء، وقد اكتفى السيد الخرسان طيب الله ثراه بذكر أربعة وثلاثين تلميذًا هم من أعلام زمانهم، وفي مقدمتهم الشيخ الطوسي

شيخ الطائفة من بعده، والشيخ النجاشي، وابن الحاجب، وأحمد النيسابوري، والقاضي أبو القاسم علي التنوخي، وأبو الفتح عثمان بن جني، وغيرهم.

برع الشريف (في مختلف العلوم والفنون، وطار صيته في الأوساط العلمية والأدبية، ولمع اسمه في سماء الثقافة العربية والإسلامية التي كانت بغداد يوم ذاك تزخر بالعديد من ألوانها)، وفي أوليات القرن الخامس (كانت حياته تتسم بالعطاء الجزل والحركة النابضة، فما من شيء كان تعلمه إلّا وأفاض به، وما من مسألة تطرح عليه إلّا وأجاب عنها الجواب الشافي الكافي، وهو عبر هذا كله يؤلف ويفتي ويناظر ويستمع لمشكلات الناس التي تطرح عليه ابتغاء حلها، وطلبًا لرأيه فيها... فكان لا يفتأ عن الإفادة والاستفادة، ولا يصرفه شيء عن الاستزادة من القراءة والدرس والتدريس والتصنيف والفتيا، خصوصًا وراعي نبوغه ومتعاهد فقهه الشيخ المفيد مازال على قيد الحياة، والسيد في عز النشاط وكامل، الاستعداد، والفرصة سانحة، والوقت مؤات). تلك عبارة الفقيد السعيد، وقد تشعر بما شعرت به من أنها حينما تمر عليها تدفقت من بين أصابعه بيانًا وإيجازًا ورشاقة، وقد يظن من استعجل الحكم أن السيد غالى في التعبير عن مكانة صاحبه، ومنحه ما لم يكن يستحقه من عبارات الإطراء والوصف الجميل، إلا أنك ما إن تسير معه صفحات معدودات، حتى يأخذك العجب أيما مأخذ؛ إعجابًا بعبارته الآسرة، وإعجابًا بتوثيق ما ذكره عن هذه العبقرية التي زاحمت كبار علماء عصره فزحمتهم؛ وزاحمت

أيضًا كثير ممن نذر جانبًا من ماله على دور العلم وطلبته؛ ولاسيما أن بغداد كانت مقصد الدارسين لكثرة علمائها الأعلام، وطلبة العلم آنذاك حين يرحلون إليها من أقاصي الأرض بالآلاف لا يفكرون بزاد أو مؤونة، فقد كفلت معاشهم وسكنهم، كما كفلت مكتباتها التي لم يشهد العالم مثيلًا لها أدوات بحثهم. ولم يغال السيد الخرسان بما نعت به صاحبه، فقد كانت دور المرتضى (منتجعًا لأهل العلم وطالبي الفضل والمعرفة يرتادونها للتعلم والمدارسة والرفادة، ويستريح في رحابها الوافدون عليه من شتى الجهات)؛ وبيَّن أن السنوات الست ما بين سنة ٤٠٠ ولغاية سنة ٤٠٦، كانت سني بحث وتأليف ودرس، فلم يكن فيها مطوقًا بما طُوِّق به أخوه الرضي، فكأنها سنوت تفرغ علميٍّ، وإعداد فكري، إذ كان أخوه الرضي هو المكلف بأعباء نقابة الطالبيين، ولكن بعد رحيله انتقلت إليه، إذ لا يوجد بين الطالبيين من يستطيع مزاحمته في مكانته العلمية والاجتماعية والنسب الشريف الذي حازه بكل فخر واعتداد.

على أن رحيل الرضي (رضوان الله عليه) يوم الأحد السادس من المحرم سنة ٤٠٦هـ كان له أعمق الأثر في نفسه، ولعل فجيعته بوقع وفاته وحزنه عليه لا تعدلها المصائب التي مرَّ بها (حتى كادت روحه تتلف ولم يعد يتمالك على نفسه، ولا يقوى حتى على معاينة جنازة أخيه).

وما إن مرّ شهر على الرحيل حتى طُوِّقَ بما كان مطوقًا به الرضي من أعباء ولاية المظالم ونقابة النقباء الطالبيين وإمارة الحج والحرمين، وهي أعباء لا تقوم بها العصبة،

بالإضافة إلى تصديه لأعباء المرجعية الدينية بعد نكبته برحيل شيخه المفيد طيب الله ثراه الذي وافاه أجله في الثالث من شهر رمضان سنة ٤١٣هـ، وبرحيله أضيف إليه عبء جديد هو عبء المرجعية الدينية. وكنت قبل عقود مغرمًا بالسيد الرضي بعد قراءة ما حبره الدكتور زكي مبارك (رحمة الله عليه) عنه في كتابه عبقرية الشريف، وأنفقت من بعد خمس سنوات بالتمام والكمال بإعادة تحقيق نهجه والتعليق عليه، وإثبات تعليقات السيد الراوندي على نسخته من النهج التي عدها الفقيد عبد العزيز الطباطبائي أقدم شروح النهج.

وأشهد أن الفقيد العزيز (رضوان الله عليه) بما سطره عن المرتضى في تقديمه كتاب الانتصار قد يكون أول من أنصفه وحببه إلى القراء -وأنا منهم- ومن بين ما قال (رضوان الله عليه): (ولقد كان سيدنا المرتضى -كما تحدث مؤرخوه- أكثر استيعابًا من غيره لمشكلات الأمة وقضاياها، وأحفل بأمورها، وأبصر في تشخيص أدوائها وعلاجاتها، وذا روح رياضية عالية، وفكر قيادي ممتاز أهَّلاه للاضطلاع بمسؤوليات الأمة، والتصدي لقضايا المرجعية الدينية العامة وإدارة شؤونها)، ثم عرج على ذكر مقومات نجاحه في إدارتها، مع اختيار أمثلة لتوثيق ما ذهب إليه؛ منها: زكاوة البيت، وشرف الأرومة، وطهارة النفس، وإشراق الضمير، ورقة الشعور، والإحاطة اللازمة، والتوفر على صنوف المعرفة، ويسر الحال الذي مكنه من تحقيق ما كان يسعى إلى تحقيقه.

وقبل أن يذكر ما تركه المرتضى من إرث معرفي قال: (كان السيد المرتضى

نمطًا فذًّا في عالم المرجعية الدينية، زخرت أدوار حياته بالعطاء الوافر والخير العميم، وكان لنا من تراثه الفكري الذي أبدع فيه وجلَّى ما يدل بوضوح على ما كان عليه السيد المرتضى من تركيز علمي، وكفاءات وخبرات نادرة أغنى بثمارها المكتبة العربية والإسلامية).

خص الفقيد كتب المرتضى المطبوعة بالتنويه لضيق وقته أثناء طباعة الانتصار؛ أما التي لم تطبع بعد فلم يتحدث عنها، لأن (الحديث عنها يطول ويتشعب، لما تستلزمه طبيعة التحقيق من التثبت من أسمائها، وتمييز المفرد منها بالبحث عن المبحوث ضمنًا وفي جملة؛ لأني وجدت كثيرين ممن عنوا بعدِّها وتبيانها أغمضوا وخلطوا واشتبهوا.. فلا يسعني الإسهاب في بيانها وتعدادها، لذلك آثرت أن أخص الحديث بخصوص المطبوع من آثاره..). وإن كان لم يذكر بقية مؤلفاته فإنه لم يترك الباحثين من دون تشوق الطريق إليها؛ قال: (ومن أراد الاستزادة عن بقية آثاره فعليه بملاحظة ما ذكره تلميذه النجاشي في رجاله ص ١٩٢- ١٩٣، وتلميذه الآخر الشيخ الطوسي في الفهرست ص ١٢٥- ١٢٦، وابن شهراشوب في معالم العلماء ص ٦٩- ٧١، وأعيان الشيعة ٤١/ ١٩٥، والغدير ٤/ ٢٦٥- ٢٦٦، ومقدمة الأمالي ١/ ١٢- ١٧، ومقدمة الصفار لديوان المرتضى ١/ ١١٧، سوى ما يجده مبثوثًا منها في أجزاء الذريعة للطهراني حسب أوائلها) وفي هذا ما يغني الباحثين ويدلهم على التراث الخالد للسيد المرتضى (رضوان الله عليه).

تحدث السيد الفقيد عن اثنين

وعشرين كتابًا للرضي طبعت في أزمنة متفاوتة، وأماكن مختلفة ما بين مصر والعراق وإيران وغيرها، فذكر لكل كتاب منها سنة طبعه ومكانه وعدد صفحاته، وعدد طبعاته، ومناسبته، وموضوعه؛ أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: المسائل الناصريات التي استلها المرتضى من فقه جده لأمه الناصر الكبير، فشرحها واستدل على صحتها، والشافي في الإمامة الذي أبطل فيه حجج العامة، وتصدى للرد على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي، وغيرها.

وخص كتاب الانتصار الذي هو بصدده بدراسة معمقة، وكان الفقيد قد وضع القارئ نصب عينيه، فقال: (ولكي نلج - أنا والقارئ - في رحاب الانتصار وننعم النظر بظلاله لابد لنا من الإلمام بأمور تعيننا على ذلك). فدرسه في أربعة محاور هي:

- الانتصار فكرة وأسلوبًا.
- في رحاب الانتصار وظلاله.
- الانتصار والفقه المقارن وعلم الخلاف، وما هما؟.
- طبعاته والحديث عن هذه الطبعة.

رأى السيد (رضوان الله عليه) أن المرتضى ألف كتابه الانتصار بعد سنة ٤٢٠ هـ بأدلة موضوعية عن طريق ما ورد في الكتاب نفسه، وتحدث بإيجاز وتركيز في القسم الأول من تقديمه الذي ألمحت إليه إلى أن مهمة الكتاب الامتناع من الظالم والاستظهار على الخصم لتجلية الحقائق الفقهية التي كادت تنطمس معالمها وتنبهم جراء المؤثرات العاطفية والتضليل اللذين كانا يمارسان على فقه الشيعة الإمامية بسبب أزمنة الاضطهاد والمحن المذهبية؛ لأنهم انفردوا

بفتاوى - بزعمهم- مما مهد عندهم بفكرة الابتداع، وقد أشار (رضوان الله عليه) إلى كل ذلك في مقدمته إذ بين (المسائل الفقهية التي شُنِّع بها على الشيعة الإمامية، وادُّعِي عليهم بمخالفة الإجماع)، فانتصر المرتضى عليهم بالحجة الدامغة، لأن ما اعترضوا عليه وافق غيرهم من العلماء المتقدمين أو المتأخرين، فحلل السيد وعلل على وفق ما ذكره المرتضى (رضوان الله عليه)؛ ثم انتقل للحديث عن أسلوبه في الانتصار فقال: (وجدته يتميز ببساطة التعبير، وتحاشي كل المعوقات البيانية التي يمكن أن تؤثر على الغاية، وتخل بالقصد والغرض، مع التزام تقليدي في طريقة العرض، حيث يبتدئ من مسائل الطهارة وينتهي بمسائل المواريث)، وبعد أن أوجز هذا الإيجاز الجميل تابع ما أورده الشريف في هذا الشأن، ومن بين ما ذكره أنه أحصى المسائل الفقهية التي انفردت بها الإمامية مما أورده المرتضى في كتابه فكانت ٢٥٢ مسألة في جزأي الكتاب، أما المسائل المظنونة فكانت ٨٢ مسألة في الجزأين.

وتلاحظ أن العنوان يوحي أن لغة الفقيد ميالة إلى الأسلوب الأدبي الرائق الذي يبتعد عن جفاف العبارة؛ وبيَّنَ من بينِ ما بيَّنَه أن كتاب الانتصار تخللته تحقيقات أدبية ولغوية وفقهية، فرصدها بذكر مواضعها في الكتاب؛ وقال أيضًا: إن المرتضى لم يغفل رأيًا أو يقلل من قيمته وإن كان يختلف مع صاحبه، مادامت الغاية تحرِّي الحقيقة وإصابة الواقع، فرصد أربعة وخمسين شخصية ورد ذكرهم في الكتاب، وعزف عن ذكر الباقين منهم، وهم كثر.

وقال: إن المرتضى قد يعمد أحيانًا إلى ذكر المصدر وصاحبه، أو يكتفي بذكره، وقدم أمثلة من الكتاب على ذلك، وقال من بين ما قال أيضًا: إن المرتضى في بيان ما انفردت به الإمامية من أحكام، أو ظُنَّ انفرادهم بها بيَّن ما يجب الإحاطة به عن طبيعة الأدلة التي اعتمدت عليها الإمامية، وعلى الرغم من توسع الفقيد في عرض هذا المبحث ودقته فيه، فإنه رآها نبذة وجيزة عن الإجماع الذي احتج به المرتضى في مسائل الانتصار، في وقت أبهر قارئه بحسن عرضه في وجازة تبتعد كل البعد عن الإخلال والإسفاف والإطالة، فكانت قراءة موضوعية يغبط عليها.

وفي مبحث الانتصار والفقه المقارن أو علم الخلاف، وما هما؟ عرف الفقه المقارن تعريفين؛ الأول: يراد به جمع الآراء المختلفة في المسائل الفقهية على صعيد واحد من دون إجراء موازنة بينها؛ والثاني: يراد به جمع الآراء الفقهية المختلفة وتقويمها، والموازنة بينها بالتماس أدلتها، وترجيح بعضها على بعض، والأخير أقرب إلى ما سمَّاه الباحثون القدامى بعلم الخلاف أو الخلافيات، وبعد هذا التعريف نقل الفقيد ما ذكر في هذا الاتجاه من آراء.

وبشأن أهمية الكتاب في ميدانه قال: (ويلوح لي أن السيد المرتضى بعمله هذا في الانتصار يكون أول من خطا خطوة جادة بيِّنة في إشاعة الفقه المقارن وتعميمه، بتصنيفه فيه كتابًا تنتظم فيه كل أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات والحدود والديات والمواريث، كما يبدو لي أنه نمط فذ من أنماط الفقه المقارن...)، وفي هذه

الأثناء عرّج على ذكر بعض كتب الإمامية التي اهتمت بالفقه المقارن. وتمنى في نهاية عرضه طيب الله ثراه على مرجعية النجف أن تبادر إلى تحقيق هذا الكتاب وأمثاله وتيسيره لطلبة العلم، وتعميمه على المعاهد الدينية، وإلزام طلبتها بمدارسته.

وختم بحثه من بعد بالحديث عن طبعات الانتصار، فذكر أن أول طبعاته كانت سنة ١٢٧٦هـ، وهي طبعة حجرية نشرها محب الخير محمد باقر بطهران، وبعد تسع وثلاثين سنة طبع ثانية بطهران طبعة حجرية أيضًا سنة ١٣١٥هـ، ولم يطبع سوى هاتين الطبعتين، ثم أشار إلى هذه الطبعة التي تولاها الكتبي. وذكر أنها قوبلت على مصورة من الانتصار بخط أبي الحسين علي بن إبراهيم الفرهاني كتبت سنة ٥٩١هـ وقابلها سماحته بالتعاون مع الشيخ الكتبي على مخطوطة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء انتهى ناسخها من نسخها سنة ١٠٨٧هـ، وبسبب كثرة هناتها، اقترح سماحته على الكتبي إهمالها؛ وذكر أن الكتبي حرص حرصًا بالغًا على تنقية هذه الطبعة من الأخطاء، مؤثرًا أن يكون تصحيح الملازم معه، إلا أن السيد كان ينقطع عنه لكثرة مشاغله.

وأزعم في ختام هذ العرض الموجز الذي لم أستطع إنصاف الباحث فيه أنه (رضوان الله عليه) كان أكاديميًّا في دراسته، التزم بشروط البحث العلمي، جادًّا في تقديمه، حريصًا كل الحرص على نسبة المعلومات لمصادرها الأصيلة، من دون تحيز لمصدر بعينه على آخر، وقد بلغت مصادر التقديم ستة وثمانين مصدرًا ما بين قديم وحديث، وكتب دراسته الماتعة بأسلوب جمع بين

البيان والفصاحة وسديد القول، وسحر العبارة، وقد لا أكون مغاليًا إذا قلت: إنها تنماز على كثير من كتابات الباحثين لسلاستها وحسن صياغتها وجودة سبكها.

رحم الله الفقيد، وطيب ثراه، وأسكنه فسيح جنانه، وحشره محشر أجداده آل البيت (سلام الله عليهم)، وهو اليوم بجوار جده المرتضى (عليه السلام).

وبعد: فيظهر لي على الرغم من الجهد الذي بذله الكتبي في هذه النشرة من الانتصار فإنها لم تحقق على أصول خطية معتبرة، وإن طبعاته السابقة الحجرية هي بمنزلة النسخ المخطوطة، ولكن لا تعرف المخطوطات التي اعتُمدت في طبعها، وهي قديمة من زمان الطبع الحجري.

وإن كان الكتاب قد طبع حديثًا فلا أظنه أخذ حقه من التحقيق العلمي الرصين؛ ولأهميته وقيمته العلمية والتاريخية تمنيت على أخي العلامة المحقق السيد محمد صادق (دام عزه) أن يجمع مخطوطات الانتصار، ويعيد تحقيقه على أسس التحقيق التي لا تغيب عنه، لإخراجه بأفضل صورة كي ييسره على طلبة العلم من الدارسين، وعلى الباحثين في ميدان الفقه المقارن.

وبعد فهذا جهد المقل أضعه بين يدي أخي محمد صادق -على استحياء- وأدعو الله أن يوفقنا جميعًا لما يحبه ويرضاه، ويتجاوز عن خطايانا ويجعل خواتيمنا على خير، إنه على كل شيء قدير.

فضائل الإمام علي (عليه السلام)...

قال رسول اللَّه (صلى الله عليه وآله وسلم):

يا عليّ لو أن عبداً عَبَدَ اللَّه عز وجل مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحدِ ذهبا فأنفقه في سبيل اللَّه، ومدّ في عمره حتى حج ألف عام على قدميه ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً ولم يوالك لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها.

بحار الأنوار ج٢٧ ص١٩٤ ح٥٣ * ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٩

Editors Board

Prof. Dr. Salah Mahdi Al- Fartousi
University of Rotterdam-Holland

Prof. Dr. Abdul Ali Safih al-Tai
Advisor to the Ministry of Education
France

Prof. Dr. Jawad Kazem Al -Nasrallah
University of Basra- College of Arts

Prof.Dr. Abdul Hussain Abdul Rida Al Omari
University of Dhi Qar- College of Arts

Prof. Dr. Hussein Ali Al-Sharhani
Dhi Qar University- College of Education
for Human Sciences

Prof. Dr. Mohamed Hassanein Al-Naqawi
University of Bahaauddin- Pakistan

Prof. Dr. Mustafa Kadhim Shgedl
College Of Arts/Baghdad University

Asst. Prof. Dr. Nieamah Dahsh Farhan Al- Taee
University of Baghdad
College of Education Ibn Rushd

Asst. Prof. Dr. Ahmed Hussein Abdel Sada
University of Muthanna
College Of Education For Human Sciences

Dr. Haidar Hadi Khalkal Al Shaibani
Directorate of Education - Najaf Ashraf

Copy Editors (Arabic)

Asst. Prof. Dr. Karim Hamza Hamidi

Dr. Ammar Hassan Al Khozai

Asst. Lectur. Ali Abbas Al-Rubaie

Financial and Management

Asst. Lectur. Ali Abbas Al-Rubaie
Ahmed Adnan Al-Muamar
Zaman Jaafar Kadhim
Asst. Lectur. Ali Jassim Mohammed Ali

Copy Editors (English)

Hassanein Ali Abdul Amir Al-Tai

Design And Production

Ahmed Abbas Mahdi

Editor-In-Chief

Prof. Dr. Abbas Ali Hussein Al-Faham

University of Kufa- College of Education for Girls

Managing Editor

Prof. Dr. Hassan Hamid Fayyad

College of Basic Education - University of Kufa

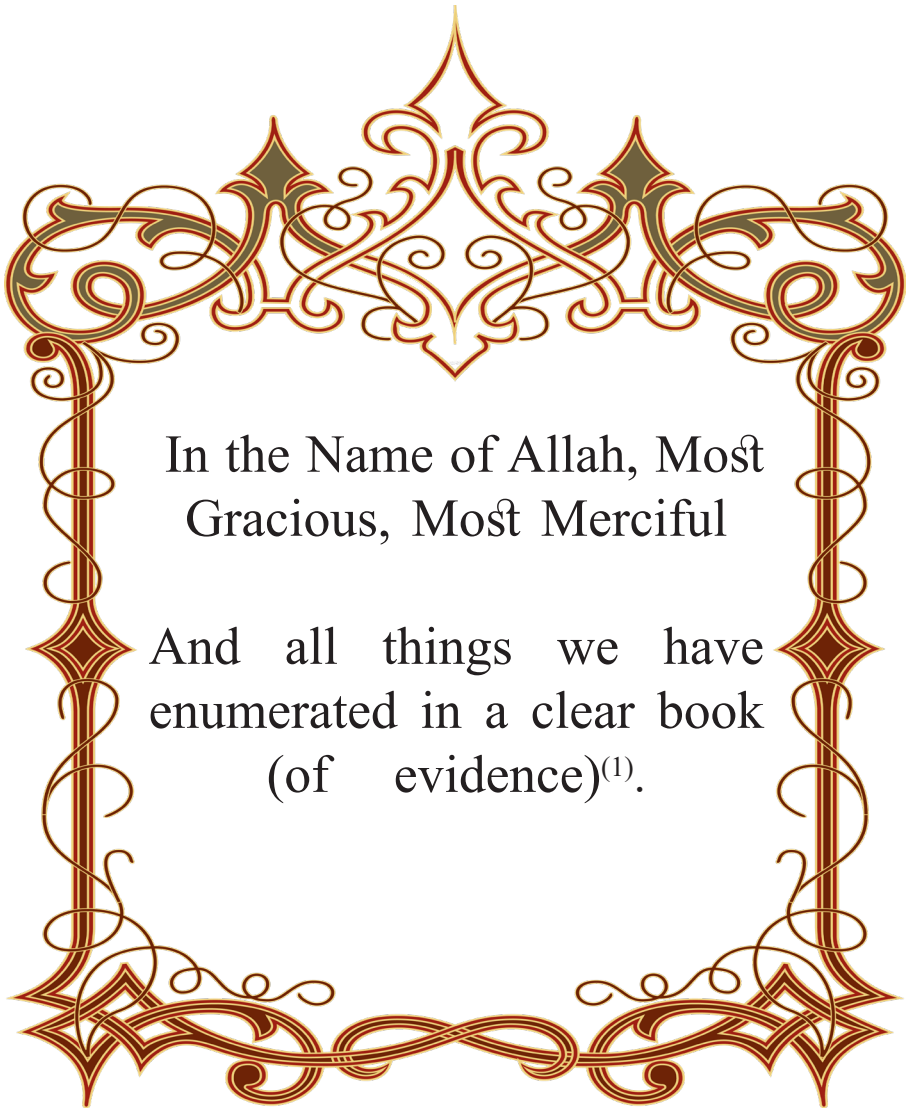

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

And all things we have enumerated in a clear book (of evidence)[1].

1- Abodullah Yussif Ali, The Holy Quran, Text Translation and Comment,(Kuwait: That El-salasil,1989) , Iyat 12,Sura,Yasin.

Al-MUBEEN

Quarterly Adjudicated Journal

Concerned with the Sciences of Road of Eloquence
(Nahj Albalagha) and the chronicle of Imam Ali (a.s)
And his thought

Issued By

General Secretariat of the Holy Al-hussien Shrine

Nahjul Balagha Sciences Foundation

Licensed by

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Reliable for Scientific Promotion

Seventh Year. Fifteenth Edition

RAMADAN month 1443 AH - April 2022 AD